The Islamic University–Gaza

Research and Postgraduate Affairs

Faculty of Theology

Master of Interpretation and Quran science

الجامعـــــــة الإســـلاميـة – غـزة

شئون البحث العلمي والدراسات العليا

كليـــــــــة أصـــــول الديـــــن

ماجستير التفســـــير وعلـــوم القـرآن

الدراسة التحليلية

لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والأربعين من القرآن الكريم

(من الآية 47 من سورة فصلت إلى الآية 23 من سورة الزخرف)

The analytical study The purposes and objectives of the party and the forty-nine of the Quran (Surat Fussilat verses: 47 to Surat Az-Zukhruf verses: 23)

إِعْدَادُ البَاحِثَةِ

مها محمد إبراهيم أبو جياب

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور

عصام العبد محمد زهد

قُدِمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصُولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليَّةِ أُصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

سبتمبر/2016م – ذو الحجة/1437هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية
لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والأربعين من القرآن الكريم
The analytical study The purposes and objectives of the party and the forty-nine of the Quran

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	مها محمد أبو جياب	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	30-10-2016م	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ..... ج س غ/35/
التاريخ Date ..... 2016/10/30م م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **مها محمد إبراهيم أبوجياب** لنيل درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم** التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدارسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والأربعين من القرآن الكريم من الآية 47 من سورة فصلت إلى الآية 23 من سورة الزخرف

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأحد 29 محرم 1438هـ، الموافق 2016/10/30م م الساعة الثانية مساءً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. عصام العبد زهد	مشرفاً و رئيساً	.....
د. صبحي رشيد اليازجي	مناقشاً داخلياً	.....
د. عبد الله علي الملاحي	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم** التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف Tel: +970 (8) 286 0700 فاكس fax: +970 (8) 286 0800 P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine
www.iugaza.edu.ps public@iugaza.edu.ps

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

إن القرآن الكريم دستور هذه الأمة وكتابها الخالد الذي خص الله به أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–، وقد جعله الله سبيلاً لها لتكون رائدة الأمم إذا تمسكت وعملت به، ولقد أتممت بحمد الله وتوفيقه هذه الرسالة والتي بعنوان: (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والأربعين من القرآن الكريم)، والمكونة من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

هدف الرسالة: استخلاص الأهداف والمقاصد للحزب التاسع والأربعين مع تحليلاتها، وبيان علاقتها بالواقع المعاصر الذي نحياه.

منهج الرسالة: اعتمدت الباحثة المنهج الموضوعي في تحليل أهداف ومقاصد بعض السور القرآنية في التفسير القائم على الاستنباط.

أهم النتائج:

1- إن السور الثلاث (فصلت، الشورى، الزخرف) تمثل عقداً فريداً صيغت حباته بنظم رائع فهن كحلقات السلسلة كل حلقة تشدُ صاحبتها.
2- الدعوة إلى الله هو طوق نجاة الأمة الإسلامية، فلن يصلح حالنا إلا بالعودة إلى الخيرية التي امتدح الله بها أمة الإسلام.

أهم التوصيات:

1- ضرورة اهتمام الدعاة وطلاب العلم بتدبر وتلاوة كتاب الله –عزَّوجل– لاستخلاص الدروس والعبر، وربط كل ذلك بواقع المسلمين؛ سعياً لحل مشكلاتهم التي أنتجها العصر الحالي.

Abstract

Praise and Gratitude be to Allah, The Lord of All Worlds. And Prayers, peace and greetings upon the most noble of the prophets and messengers. Muhammad bin Abdullah, and upon his family, his companions and those who honestly followed him until the Day of Judgment.

Quran is the constitution of this Ummah and their holy immortal book that Allah especially revealed to the nation of Muhammad - may Allah's Peace be upon him - and made it a way for them to be the pioneer of nations if they grasped and worked according to its instructions. I've completed my thesis entitled (An Analytical Study of the Purposes and Objectives of Part Forty-Nine of the Quran), which consisting of preface, three chapters, and aconculusion.

Study Objective: extracting purposes and objectives of part forty-nine of the holy Quran, This is in addition to its analysis and clarification of its relationship with the current reality that we live.

Methodology: the researcher depended on inductive analytical approach of Tafsir, interpretation, based on deduction.

Study Results:

1. the three Surahs of Fussilat, Ash-Surah, Az-Zukhruf represent a unique necklace in which the beads had been wonderfully shaped like the rings of the chain that tighten each other.
2. The call to Allah, Da'wah, is the lifeline of Muslim Ummah. Our situation will not be reformed unless we returned to the right path, goodness, by which Allah has praised by the Muslim Ummah**.**

Study Recommendations:

1. Callers to Allah and students of knowledge should pay attention to the meditation and recitation of the Noble Qur'an for drawing lessons and linking them with the reality of Muslims in an effort to resolve the nowadays problems.

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾

[الأنعام: 162-163]

اَلإِهدَاْءُ

إلى والدتي الحبيبة التي ضحت وما زالت

لترى غرسها يانعاً

إلى والدي العزيز الغالي صاحب

الفضل والهيبة والوقار حفظه الله

إلى زوجي الحبيب رفيق الدرب

إلى أولادي قرة عَينَي

إلى إخوتي وأخواتي

إلى والد زوجي ووالدته حفظهما الله ورعاهما

إلى مشايخي وأساتذتي

إلى كل غيور على هذا الدين

إلى طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربَها

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع سائلةً الله عزَّوجل أن يتقبله مني

وأن يجعله في ميزان أعمالي يوم ألقاه

شكرٌ وتقديرٌ

بحمد الله –جلَّ في علاه– أولاً وقبل كل شيء الذي مَنَّ عليَّ بفضله وتوفيقه بإتمام هذا العمل، فله وحده الفضل والثناء الحسن، ونسأله أن يكتبنا في عباده المخلَصين.

وامتثالاً لهديه –صلى الله عليه وسلم– حيث قال في الحديث الصحيح: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"، فإني أتقدم بالشكر وجزيل العرفان لفضيلة **الأستاذ الدكتور: عصام العبد زهد** –حفظه الله ورعاه– الذي أجزل عليَّ بإرشاداته وتوجيهاته النيرة، وإني لأرجو الله أن يجزيه عني خير ما جزى مُعَلِّمٍ عن طالبه.

والشكر موصول لفضيلة **الدكتور: صبحي رشيد اليازجي**، وفضيلة **الدكتور: عبد الله الملاحي** اللذين أتشرف بمناقشتهما لرسالتي المتواضعة، فهم أهلُ المكانة والرفعة، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.

والشكر كذلك موصول لكل من كان عوناً لي في إتمام رسالتي، حيث خرجت بهذا الشكل المقبول، سواءً بفكرة أو رأي أو نصيحة، أو طباعة وتنسيق وتدقيق.

والشكر كذلك إلى جامعتي الغرَّاء الجامعة الإسلامية ممثلة برئيسها ومكتبتها والعاملين فيها، وأخصُّ بالذكر كلية أصول الدين بأساتذتها وعلمائها، فلهم عظيم الشكر والامتنان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

مها محمد أبو جياب

فهرس المحتويات

إقـــــرار ..... أ

نتيجة الحكم على أطروحة الماجستير ..... ب

ملخص الرسالة ..... ت

Abstract ..... ث

اَلإِهدَأءُ ..... ح

شكرٌ وتقديرٌ ..... خ

فهرس المحتويات ..... د

المقدمة: 1

التمـــهيد 7

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف 8

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية، وبيان متطلباتها 8

المطلب الثاني 12

تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها، وطرق معرفتها 12

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة فصلت والشورى والزخرف 19

المطلب الأول: تعريف عام بسورة فصلت 19

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة الشورى 22

المطلب الثالث: تعريفٌ عامٌ بسورةِ الزُّخْرُفِ 24

الفصل الأول 26

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت من الآية (47-54) 27

المطلب الأول: اختصاصُ عِلْمِ السَّاعةِ بِاللهِ تَعَالى 27

- تحليل المقاصد والأهداف: 28

1- استأثر الله تعالى بعلم الغيب: 28

2- علم الله بما في الأرحام: 29
3- انتهاء أسطورة الشرك: 30
المطلب الثاني: تَبَدُّلُ أَحْوالِ الإنسانِ وتغيّرُ أَطْوَارِهِ 31
- تحليل المقاصد والأهداف: 34
1- طبيعة النفس الإنسانية: 34
2- عبودية النعم: 34
3- الدنيا حلوة خضرة: 36
المطلب الثالث: ضرورةُ التأمُّلِ في الآياتِ الكونيَّةِ والأنْفُسِ 37
- تحليل المقاصد والأهداف: 38
1- ضلالُ مشركي العرب: 38
2- آياتُ اللهِ في الكَوْنِ: 38
3- كفى بالله شهيداً: 40
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (1-12) 41
المطلب الأول: الحروف المقطعة 41
المطلب الثاني: إنزالُ الوَحْي وعظمةُ اللهِ ورقابتُه أحوالَ المُشْركين 43
- تحليل الأهداف والمقاصد: 45
وحدة الوحي في الرسالات السماوية: 45
المطلب الثالث: مقاصدُ الوَحْي الإلَهِيّ 48
- تحليل الأهداف والمقاصد: 50
1- القرآن كتابُ الله الخالد: 50
2- مكةُ أمُّ القرى: 51
3- لله الأمر من قبلُ ومن بعد: 54
المطلب الرابع: قدرةُ اللهِ وسُلطانه 55

- تحليل الأهداف والمقاصد: 57
تنزيهُ الخالقِ عن مُشَابهةِ المَخلوقِين: 57
المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (13-19) 59
المطلب الأول: وِحْدةُ الأديانِ في أُصُولِهَا 59
- تحليل الأهداف والمقاصد: 61
1- تأخيرُ العذابِ حكمةٌ إلهيةٌ: 61
2- هلاكُ الأمَّةِ باختلاف وفُرْقة الأئمة: 62
المطلب الثاني: الأمرُ بالدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى 64
- تحليل الأهداف والمقاصد: 66
لا نجاة إلا بالاستقامة: 66
المطلب الثالث: دَحْضُ حُجَّةِ المُجَادِلِين 68
- تحليل الأهداف والمقاصد: 70
الساعةُ حقٌ لا ريبَ فيها: 70
المطلب الرابع: أصنافُ النَّاسِ بالنَّظَرِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ 73
- تحليل الأهداف والمقاصد: 75
لُطْفُ اللهِ بِعبادِهِ: 75
الفصل الثاني 77
المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (20-26) 78
المطلب الأول: جزاءُ مُرِيدِ الآخرةِ والدُّنيا 78
- تحليل الأهداف والمقاصد: 80
الدنيا مزرعةُ الآخرةِ: 80
المطلب الثاني: بُشْرى المُؤمنين 83
- تحليل الأهداف والمقاصد: 86

1- حبُ آلِ البيتِ قربةٌ لربِ البيتِ: 86
2- مسافرٌ في قطار الدعوة: 88
المطلب الثالث: قَبُولُ التوّبة 90
- تحليل الأهداف والمقاصد: 92
التوبة: 92
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (27-36) 95
المطلب الأول: الأَرْزَاقُ حقيقةٌ كونيةٌ 95
- تحليل الأهداف والمقاصد: 97
1- نعمةُ الغيثِ على العباد: 97
2- قِسْمَة الأرزاق: 100
المطلب الثاني: آياتُ اللهِ المعجزاتِ الباهراتِ في الكونِ الفسيحِ 103
- تحليل الأهداف والمقاصد: 105
1- المعاصي والذنوب سببٌ للمصائب والكروب: 105
2- عظمةُ الخلقِ تدلُ على عظمةِ الخالق: 108
المطلب الثالث: دلائلُ أُلوهيتِهِ في خَلْقِ البِحَار 111
- تحليل الأهداف والمقاصد: 113
1- الصبرُ والشكرُ من صفات المؤمنين: 113
-2 البحرُ مخلوقٌ من خَلْق اللهِ -عزَّوجل-: 116
المطلب الرابع: حقيقةُ الدَّارِ الدُّنيوية 119
- تحليل الأهداف والمقاصد: 120
1- يا أهلَ الجنَّةِ خُلُودٌ فلا مَوْت: 120
2- التوكُّلُ على اللهِ من صفاتِ المُؤْمِنينَ: 122
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الشورى من الآية (37-46) 125

المطلب الأول: عِبَادُ الرَّحْمَنِ 125
- تحليل الأهداف والمقاصد: 127
1- فَضيلةُ كَظْمِ الغَيْظِ: 127
2- الشورى دِعَامةُ الحكم الإسلامي: 130
المطلب الثاني: عدمُ مُؤَاخذةِ المُنْتصرِ بعدَ ظُلْمِهِ 134
- تحليل الأهداف والمقاصد: 136
مشروعيةُ الانتصارِ بعدَ الظلمِ مشروطةٌ: 136
المطلب الثالث: أحوالُ الكفارِ أمامَ نارِ جهنَّمَ 138
- تحليل الأهداف والمقاصد: 140
1- الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ: 140
2- الخسرانُ الأعظمُ يومَ القيامةِ: 144
المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الشورى من الآية (47-53) 146
المطلب الأول: وجوبُ الاستجابةِ للخالقِ قبلَ يومِ القيامةِ 146
- تحليل الأهداف والمقاصد: 148
كفرانُ ونُكْرانُ الجميلِ: 148
المطلب الثاني: للهِ في خَلْقِهِ شُؤُون 151
- تحليل الأهداف والمقاصد: 153
حكمةُ اللهِ في قِسْمةِ الأولاد: 153
المطلب الثالث: أصنافُ الوَحْي 156
- تحليل الأهداف والمقاصد: 159
1- كيفيةُ اتصالِ اللهِ بِرُسُلِهِ -عليهم السلام-: 159
2- هدايةُ النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى صراطٍ مستقيمٍ: 162
الفصل الثالث 167

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (1-11) 168
المطلب الأول: نزولُ القرآنِ بلغةِ العربِ 168
- تحليل الأهداف والمقاصد: 170
المطلب الثاني: عقابُ المُسْتهزِئِينَ بِالأنبياءِ 173
- تحليل الأهداف والمقاصد: 175
الانتقامُ منَ الجَبَابرةِ سُنَّةٌ كونيةٌ: 175
المطلب الثالث: دِقَّةُ صُنْعِ اللهِ للأرضِ والسَّمَاواتِ 178
- تحليل الأهداف والمقاصد: 180
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (12-14) 185
المطلب الأول: خَلْقُ اللهِ للأزواجِ والفُلْكِ والأنعامِ 185
- تحليل الأهداف والمقاصد: 186
نِعْمةُ الأنعامِ: 186
المطلب الثاني: نِعَمُ اللهِ في رُكُوبِ البِحَارِ والأنعامِ 191
- تحليل الأهداف والمقاصد: 192
1- رُكُوبُ الدَّوَابِّ: 192
2- التعوذ عند ركوب الدابة: 193
3- أحكامٌ تتعلق بالدابة: 194
4- رُكُوبُ البِحَارِ: 195
المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (15-23) 197
المطلب الأول: المشركونَ يَعْبدونَ المَلائكة 197
- تحليل الأهداف والمقاصد: 198
المطلب الثاني: اسْوِدادُ وُجُوهِ المُشْرِكينَ مِنْ إنجابِ الأُنْثَى 201
- تحليل الأهداف والمقاصد: 202

1- وَأْدُ البنَاتِ: 202
2- طبيعةُ الأنْثَى بِخلافِ طَبيعةِ الرَّجُلِ: 207
المطلب الثالث: وَصْفُهُم الملائكةِ بالإناثِ 211
- تحليل الأهداف والمقاصد: 213
1- عبادُ اللهِ المُكْرَمون: 213
2- إبْطالُ الاحتجاجِ بِالقدرِ عَقْلاً وَنَقْلاً: 215
المطلب الرابع: عَرْضُ مُفترياتِهِم والرَّدُ عليهَا 218
- تحليل الأهداف والمقاصد: 220
الخـــــاتمة 223
المصادر والمراجع 227
أولاً: فهرس الآيات 258
ثانياً: فهرس الأحاديث 276
ثالثاً: فهرس الأعلام 280

المقدمة:

الحمد لله ذي العزَّة والجبروت، مالك الملك والملكوت، القويّ القاهر الحيّ الذي لا يَموت، أعزَّ مَن تَمسَّكَ بكتابه وسنَّة نبيهِ ﷺ ورَفَعَه، وأذلَّ مَن خالفهما باتباع الهوى والشهوات وَوَضَعه.

وأحمدُهُ سبحانه حَمْدًا يَليق بجلاله وعظمة سلطانه، وأُمَجِّده بما مَجَّدَهُ به الأنبياء والمرسلون على كماله، وأشكرهُ على جلائِلِ ودقائقِ نعمهِ وإفضاله. وبعد:

إن القرآن العظيم هو كلام الله المعجز الذي لا تنتهي دُرَره، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق من كثرة الرد، فما أجدر بالآجال أن تفنى فيه، والأوقات أن تُشغل به.

وهذا القرآن العظيم قد أنزله الله– جلَّ وعلا– على قلب رسوله الكريم ﷺ؛ ليكون بشيراً ونذيراً ،وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وكانت مهمتُه ﷺ أن يوضح للناس رسالة ربه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فبيّن لهم معاني القرآن الكريم وما جاء به من أوامر ونواهٍ، وأدرك الصحابة – رضوان الله عليهم– هذه المعاني، وفهموا كتاب الله على أتم وجه، وقد جاء على وفق أساليب كلامهم.

وعلم التفسير من أفضل العلوم وأجلّها، فهو يتعلق بأشرف الكتب على الإطلاق، فالقرآن مصدر تشريع للمسلمين ومصدر للرقي بالأمة إن عملت به كمنهاج حياة، وما أعظم أن يسخر المسلم وقته وحياته لخدمة دينه، وقد كنت مولعةً بحفظ القرآن وتعلمه منذ كنت طفلة، فقد كان لوالديّ الفضل الأول بعد الله ومَنِّه عليَّ أني كنت أرتاد مراكز التحفيظ ؛لأنهل من معينه الذي لا ينتهي، فأنعم الله عليَّ بحفظه، فأحببت في هذه المرحلة أن أعمق دراستي للقرآن فاخترت هذه الدراسة، والتي تشتمل على تحليل مقاصد وأهداف آيات هذا الحزب وذكر لطائفه، وربط هذا التفسير بواقع الأمة وحالها المعاصر، وسيكون عنوان هذه الرسالة: **"الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والأربعين من القرآن الكريم"**.

أولاً: أسباب اختيار البحث:

1- المساهمة في الموسوعة التي أقرَّها قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة.

2- خدمة كتاب الله تعالى وذلك من خلال الكتابة في هذا الموضوع في إطار الدراسة التحليلية.

3- القرآن يقوي الصلة بين العبد وربه ويشفع لصاحبه يوم القيامة.

4- اشتمال القرآن الكريم على الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية والعمل على رقي مجتمعاتها.

أولاً- أهمية البحث:

تقوم الأهمية على أسباب اختيار الموضوع:

1- تعلُّق موضوع الدراسة بأشرف العلوم وأرفعها، وأجلِّ الكتب وأكرمها، ألا وهو القرآن الكريم.

2- يستمد هذا الموضوع أهميته كونه يبحث في التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والأربعين من القرآن الكريم من الآية (47 من سورة فصلت إلى الآية 23 من سورة الزخرف)

ثالثا- أهداف البحث:

1- ابتغاء الأجر والثواب من الله -عزَّوجل- في الدنيا والآخرة، وذلك لخدمة كتاب الله الكريم.

2- بيان أهمية التفسير التحليلي، وبيان المقاصد والأهداف الأساسية لسورة فصلت من الآية (47-54)، وسورة الشورى كاملة، وسورة الزخرف من الآية (1-23).

3- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسةٍ علميةٍ محكَّمة تتناول موضوعاً جديداً تفتقر إليه.

4- بيان الحكمة من ترتيب السور والآيات على الوجه الذي هو عليه، واستخراج المعاني والحكم واللطائف.

5- صقل الخبرة الذاتية للباحثة بالدراسة التحليلية المُعَمَّقة.

رابعاً- الدراسات السابقة:

تناولتُ هذا البحث للمشاركة في سلسلة الأبحاث التي تمَّ اعتمادها في قسم التفسير تحقيقاً للأهداف سابقة الذكر.

خامساً- منهج الباحثة:

اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي في التفسير القائم على الاستنباط، وذلك وفق الخطوات الآتية:

1- تقسيم آيات الحزب التاسع والأربعين من سورة فصلت والشورى والزخرف إلى مباحث متنوعة في ثلاثة فصول، جاعلةً لكل مبحث آياته المناسبة له حسب موضوع آيات المبحث نفسه.

2- اعتمدت الباحثة على المنهج التحليلي والاستقرائي في التفسير، وذلك بوضع مقدمة للسور، تبين اسم السورة ومكان وزمان نزولها، ومحورها الرئيس وجو نزولها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها.

3- استنباط ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف، وتحليلها وفق المنهج الموضوعي التحليلي، بما فيه من أدواتٍ متعددة تخدم هذا المنهج من علوم القرآن وعلوم اللغة، وإعجاز القرآن...إلخ.

4- ربط هذه المقاصد والأهداف بواقع الأمة وحالها، بقدر المستطاع بما يساهم في حل مشاكلها التي تعاني منها.

5- كتابة الآيات مُشكَّلة وطبقاً للرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، على مدار البحث مع عزوها إلى سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية وذلك في متن الدراسة، وليس في حواشي الصفحات بهدف تخفيف الحواشي.

6- تخريج الأحاديث التي وردت في الرسالة تخريجاً علمياً، مع ذكر حكم العلماء عليها، إن لم تكن في الصحيحين.

7- عمل تراجم للأعلام المغمورة الذين وردت أسماؤهم في الرسالة.

8- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها، مع توثيقها حسب الأصول، وإذا استخلصت المعنى العام من الأقوال أكتفي في الهامش بكتابة (يُنظر)، مع ذكر المراجع التي استندت إليها.

9- الاكتفاء في التوثيق بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة، وترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع وذلك تخفيفاً للحاشية.

10- عند إحالة القارئ إلى فكرة أو جزئية أو حديث سبق ذكره في البحث، أوضح أنه سبق الإشارة إليه مع تحديد مكانه في صفحات البحث.

11- الرجوع إلى المراجع الأصلية من كتب التفسير بالمأثور والرأي المحمود.

12- الرجوع إلى المعاجم اللغوية لبيان معاني المفردات الغريبة.

13- عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأسهل الطرق وأقربها.

التمـــهيد:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية، وبيان متطلباتها.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها.

المبحث الثاني: تعريف عام بسور فصلت والشورى والزخرف:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة فصلت.

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة الشورى.

المطلب الثالث: تعريف عام بسورة الزخرف.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت من الآية (47 – 54) وسورة الشورى من الآية (1 – 19)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت من الآية (47–54)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختصاص علم الساعة بالله تعالى.

المطلب الثاني: تبدُّل أحوال الإنسان وتغير أطواره.

المطلب الثالث: ضرورة التأمل في الآيات الكونية والأنفس.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (1–12)

وفيه أربع مطالب:

المطلب الأول: الحروف المقطعة

المطلب الثاني: إنزال الوحي وعظمة الله ورقابته أحوال المشركين.

المطلب الثالث: مقاصد الوحي الإلهي.

المطلب الرابع: قدرة الله وسلطانه.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (13-19)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : وحدة الأديان في أصولها

المطلب الثاني: الأمر بالدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: دحض حجة المجادلين.

المطلب الرابع: أصناف الناس بالنظر إلى قيام الساعة.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (20-53)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (20-26)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جزاء مريد الآخرة والدنيا.

المطلب الثاني: بشرى المؤمنين.

المطلب الثالث: قبول التوبة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (27-36)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأرزاق حقيقة كونية.

المطلب الثاني: آيات الله المعجزات الباهرات في الكون الفسيح.

المطلب الثالث: دلائل ألوهيته في خلق البحار.

المطلب الرابع: حقيقة الدار الدنيوية.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (37-46)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عباد الرحمن.

المطلب الثاني: عدم مؤاخذة المنتصر بعد ظلمه.

المطلب الثالث: أحوال الكفار أمام نار جهنم.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (47-53)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب الاستجابة للخالق قبل يوم القيامة.

المطلب الثاني: لله في خلقه شؤون.

المطلب الثالث: أصناف الوحي.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (1-23)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (1-11)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نزول القرآن بلغة العرب.

المطلب الثاني: عقاب المستهزئين بالأنبياء.

المطلب الثالث: دقة صنع الله جلَّ وعلا للأرض والسماوات.

المبحث الثاني : المقاصد والأهداف لسورة الزخرف من الآية (12-14)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : خلق الله للأزواج والفلك والأنعام.

المطلب الثاني : نعم الله في ركوب البحار والأنعام.

المبحث الثالث : مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (15-23)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : المشركون يعبدون الملائكة.

المطلب الثاني : اسوداد وجوه المشركين من إنجاب الأنثى.

المطلب الثالث : وصفهم الملائكة بالإناث.

المطلب الرابع : عرض مفترياتهم والرد عليها.

التمـــهيد

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المطلب الأول

تعريف الدراسة التحليلية، وبيان متطلباتها

أولا- تعريف الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحاً:

1-تعريف الدراسة لغةً:

"(دَرَسَ) الدال والراء والسين أصل واحد، يدل على خفاء وخفض وعفاء، فالدرس: الطريق الخفي، ودَرَسْتُ الحنطة في سنبلها إذا دُسْتها"[1].

ودرس الكتاب يَدرُسُه دَرْساً ودراسة ودارَسَه من ذلك، كأنَّه عانده حتى انقاد لحفظه، وقيل: دَرَسْت قرأت كتب أهل الكتاب، ودارست: ذَاكرْتُهم[2].

2-تعريف التحليلية لغةً:

التحليل مصدر من الفعل (حلّل).

وتحليلية مفرد: "اسم مؤنث منسوب إلى تحليل: دراسة تحليلية تتخذ التحليل أساساً لها"[3].

"حَلَلْت العقدة أَحُلُّها حلاً: فتحتها فانحلت"[4].

(التحليل) تحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها[5].

---

(1) أبو حيان، تحفة الأريب (ص127).

(2) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (ج79/6)، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج64/16).

(3) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج550/1).

(4) الفارابي، الصحاح تاج اللغة (ج1672/4)، والفراهيدي، العين (ج27/3).

(5) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج194/1).

3-تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

تختلف الدراسة التحليلية في تعريفها حسب نوع البحث والدراسة المرجوة منه، ونحن في هذه الدراسة تعنينا الدراسة لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والأربعين من القرآن الكريم.

وقد عرَّفت الباحثة الدراسة التحليلية القرآنية بأنها:

"تقسيم الآية إلى أجزاء، وتحليل مكوناتها والتعمق في البحث عن أسرارها وخباياها للوصول إلى المراد منها".

ثانياً- متطلبات الدراسة التحليلية:

للدراسة التحليلية متطلبات عديدة ذكرها العلماء في كتبهم، ومن هذه المتطلبات الموضوعية والنزاهة:

"إنَّ البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودُنُوِ قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة، والتفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله"[1].

إنَّ الدراسة التحليلية لأهداف القرآن الكريم ومقاصده تتناول كلام الله تعالى؛ لبيان مراده منه، لذلك يتعين على أي باحثٍ يخوض في هذا المجال أن تتوفر فيه متطلبات، وهي على النحو التالي:

- **متطلبات ذاتية[2]:**

1- أن يكون صحيح العقيدة؛ لأنَّ لها أثراً كبيراً في نفس صاحبها، وما يحمله من أفكار ومعتقدات تظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً، فهي بذلك تؤثر على دراسته وأهدافه المستخلصة منها.

2- أن يكون مؤمناً بالمقصد، تقياً، مقبلاً على طاعة الله تعالى، بعيداً عن المنكرات والمعاصي؛ لينال توفيق الله وتسديده.

---

(1) القطان، مباحث في علوم القرآن (ص340).بتصرف يسير

(2) يُنظر: معبد، نفحات من علوم القرآن (ص127).

3- التجرد من الهوى؛ لأنَّ الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم، والتعصب لها ولو كانت على غير حق.

4- حسن الخلق ولين الجانب والتواضع، فهي صفة الأبرار والصالحين الذين وصل علمهم إلينا بهذه الصفات.

5- أن يتحلَّى بالتأنِّي والرَّوية في حديثه؛ حتى يتسنى للذي يقرأ منه فهم كلامه، والوصول إلى مراده منه، وألا يُشْكِل عليه الكلام.

- **متطلبات علمية:**

1- العلم باللغة العربية وفروعها، فإنَّ القرآن نزل بلسانٍ عربي مبين، ويتوقف فهم الألفاظ والمفردات بحسب المعاني التي تختلف باختلاف الإعراب، وكذلك معرفة علوم البلاغة، قال أبو حيان الأندلسي: "اعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يعتلي صهوته إلا من كان متبحّراً في علم اللسان، مترقّياً منه إلى رتبة الإحسان"[1].

2- معرفة علوم القرآن فهي مفتاح التفسير، التي تبين مدلولات الآيات، وعلوم القرآن تشمل أسباب النزول، ومعرفة المكي والمدني وكذلك الناسخ والمنسوخ، والقراءات، والمحكم والمتشابه، فهذه الموضوعات لها عظيم الأثر في نجاح الدراسة.

3- كتب الحديث، والسيرة، والعقيدة، والفقه، كل ذلك من متطلبات واحتياجات الدراسة التحليلية، حيث لا يمكن الاستغناء عنها.

4- أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في موضعٍ قد فُصّل في موضع آخر، ثم يطلب التفسير من السنة فهي الشارحة الموضحة لما في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:105][2].

(1) أبو حيان، البحر المحيط (ج17/1).

(2) ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ص340، 341).

5- فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله[1]، فإذا لم يجد رجع إلى أقوال التابعين، كسعيد بن جبير، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب.

6- أن يربط الباحث الآيات بواقع الأمة المعاصر، وواقع المسلمين المؤلم، الذي دب فيه الوَهَن والضعف، وسادته الطوائف والفِرَق؛ ليساعد في إيجاد الحلول لمشكلات وأزمات المجتمعات الإسلامية.

إنَّ الدراسة التحليلية تتطلب من الباحث الدراسة المستفيضة، بحيث يتفاعل مع الآيات والنصوص، ويعيش في جوها؛ لينهل من مَعِينها الصافي ما يصل بالفرد والأسرة والمجتمع إلى مراتب العلا في عالم الأخلاق والمُثُل، وبناء الأمن والاستقرار في المجتمع.

(1) يُنظر: معبد، نفحات من علوم القرآن (ص128).

المطلب الثاني

تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها، وطرق معرفتها

أولاً- تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً:

- **المقصد لغةً:**

1- **استقامة الطريق:** قَصَدَ يقصد قصداً، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:9]، أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة. وطريق قاصد: سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب ومنه قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة:42][1].

2- **العدل والوسط بين الطرفين:** "قصد يقْصد قصداً فهو قاصد، والقصد في المعيشة ألا يسرف ولا يقتر"[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:19].

3- **الاعتماد والأَمُّ وطلب الشيء وإتيانه:** تقول قصده يقصده قصداً، وقصد له وأقصدني إليه الأمر، ومقصدك أي اتجاهك وقصد الشيء: تقول قصدته وقصدت له، وقصدت إليه[3].

4- **الغاية والهدف:** "مقْصِد مفرد مقاصد، وهو اسم مكان من قَصَدَ، قَصَدَ إلى، قَصَدَ في، قصد لـ: "مقصدي مكة"، وأيضاً بمعنى غاية، فحوى مقصدي من فعل كذا مساعدته، ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها"[4].

---

(1) يُنظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج9/ 35-36)، وينظر كذلك: الفارابي، القاموس المحيط (ص310).

(2) الهروي، تهذيب اللغة (ج274/8).

(3) يُنظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج36/9)، وابن منظور، لسان العرب (ج353/3).

(4) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1820/3).

- **المقاصد اصطلاحاً:**

إن للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية ذُكرت في كتب العلماء المعاصرين وبحوثهم، أما السابقون فلم يحددوا تعريفاً جامعاً مانعاً لها، ومن هذه التعريفات:

تعريف أبي حامد الغزالي: حيث قال: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"[1].

وعرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته سبحانه، وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة التي تدل على حكمته البالغة"[2].

ومن العلماء المعاصرين الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في تعريف المقاصد، **محمد الطاهر بن عاشور**، حيث عرَّفها قائلاً: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[3].

وعرفها الشيخ القرضاوي بقوله: "إن مقاصد الشريعة إنما هي جلب المصالح للناس، ودرء المضار والمفاسد عنهم"[4].

وبعد ذكر هذه التعريفات المتعددة لمفهوم المقاصد في اصطلاح الشرع، نلحظ أنه لا يوجد خلاف جوهري بينها، فهي لا تخرج عن مضمونٍ واحد.

وعليه يمكن تعريف مقاصد القرآن إجرائياً بأنها: الحكم الجليلة، والمعاني السامية المقصودة من كلام الله –عزَّوجل– والغايات الحميدة التي سعى الشارع الحكيم إلى تحقيقها، والوصول إليها من خلال النص القرآني.

---

(1) الغزالي، المستصفى (ج174/1).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج19/3).

(3) الحسني، مقاصد الشريعة عند ابن عاشور (ص115).

(4) القرضاوي، فقه الزكاة (ج39/1).

ثانياً- تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً:

- **الأهداف لغةً:**

الأهداف جمع مفردها هدف "وهو كل شيء مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبلٍ، ومنه سمي الغرض هدفاً وبه شُبه الرجل العظيم"[1]، "وهدف: دعاءٌ للنعجة إلى الحلب، وهل هدف إليكم هادف: هل حدث ببلدكم أحد سوى من كان به، والهادفة: الجماعة، والهِدْفة بالكسر: القطعة من الناس والبيوت يقيمون في مواضعهم"[2].

- **الأهداف اصطلاحاً:**

هناك تعريفات عدة للأهداف اصطلاحاً، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن تعريف الأهداف من الناحية التعليمية، فلكل تخصص من مجالات العلم أهدافه المنوطة به، ولكنَّا بصدد الحديث عن الأهداف من الناحية التربوية الإسلامية، فقد عرَّفها الكيلاني[*] بقوله: "تلك التغيرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد، وفي ممارسات المجتمع الإنسانية ... وهذه الأهداف هي الثمرات النهائية للعملية التربوية"[3].

ومن وجهة نظر الباحثة فإن تعريف الأهداف من نظرة إسلامية هي: التغيرات التي يسعى الإسلام لتحقيقها من خلال تربية وإعداد جيل مسلم نافع لنفسه ولمجتمعه، صاحب شخصية مستقلة كاملة في شتى مجالات الحياة العقدية، والأخلاقية والمجتمعية.

ثالثاً- أهمية معرفة مقاصد السور والآيات وأهدافها:

أنزل الله القرآن لهداية الخلق، وإرشادهم إلى طريق الحق، وهذه الهداية لن تتحقق إلا بالتأمل الدقيق في نصوص القرآن الكريم، ومن هنا يأتي علم مقاصد السور وأهدافها، فهو علمٌ وثيقُ الصلة بالقرآن الكريم الذي يعتبر أول مصدر من مصادر التشريع، وأساس هذا العلم يراد منه الوقوف على

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج346/9).

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج861/1).

(*) ماجد عرسان الكيلاني، مواليد الأردن سنة 1932م، من مؤلفاته: "هكذا ظهر جيل صلاح الدين"، "التربية والمستقبل في المجتمعات الإسلامية"، "الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي".

(3) الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية (ص27).

الأغراض والمعاني، والموضوعات الرئيسة التي تدور حولها السور والآيات، لذلك تبرز أهمية هذا العلم فيما يلي:

أ- علم مقاصد السور راجع إلى بيان المقصد من إنزال القرآن كله، وهو التدبر والهداية، كما قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: 29]، فالله أمرنا بالتدبر والتمعن في الآيات للوصول إلى مراد الله من كلامه، قال **الإمام الشاطبي:** "فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في معرفة المراد به، وهذا لا يرتاب منه عاقل"[1].

فمقاصد السور تعين على فهم القرآن فهماً صحيحاً، والتبحر في الآيات ودلالاتها.

ب- إن علم المقاصد يبرز إعجاز القرآن وبلاغته، فإن السورة في وحدة بنائها وتناسقها وترابطها هو قمة الإعجاز والبلاغة، لذا تحدى الله -عزَّوجل- العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

"إن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال... يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، وعقد فريد يأخذ بالأبصار"[2].

ج- إنَّ علم المقاصد يساعد على تفسير القرآن بالقرآن، وذلك بالبحث والتأمل في الآيات، وفهم ما تحمله في طياتها من الأسرار.

د- بها تنتظم آيات السورة، وتظهر المناسبات بينها، فتكون لُحمةً واحدةً يجمعها معنىً واحداً. "إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها وجميع أجزائها"[3].

هـ- إدراك المقاصد يساعد الدعاة والباحثين على الفهم الصحيح لغايات كلام رب العالمين، وتحقيق أهدافهم، فلا ينشغلون بالمظاهر الفارغة الجوفاء، ويحفظهم من الزلل والاعوجاج[4].

---

(1) الشاطبي، الموافقات (ج262/4).

(2) حوى، الأساس في التفسير (ج25/1).

(3) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ج149/1).

(4) يُنظر: محمد ربيعة، علم مقاصد السور (ص11-13).

و- إنَّ هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان، وزيادة الثقة في النفس، فيستنير القلب وتقرُ العين بما يتضح لها من حِكم ومقاصد جليلة، وأسرار تم اكتشافها، تلك التي تمثل روح القرآن وأسراره، وذلك مما لا يحصل في غيره.

رابعاً- طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

لقد أمرنا الله -عزَّوجل- بالتدبر في آيات كتابه، وما ذلك إلا لهدفٍ نبيل، ومغزىً عظيم يغفل عنه كثير من الناس، وهو فهم أهداف القرآن الكريم، وسبب نزوله، وأن ندرك مقاصده، وأن نفهم مراده، قال **شيخ الإسلام ابن تيمية:** "والتنبيه على مقاصد الشريعة وما فيها من إخلاص الدين لله -عزَّوجل- وعبادته وحده لا شريك له وما سدته من الذريعة إلى الشرك دِقَّه وجُلَّه، فإن هذا هو أصل الدين وحقيقة دين المرسلين وتوحيد رب العالمين"[1].

ومن هنا نستطيع أن نتعرف إلى مقاصد السور والآيات، وأن نستكشف دلائلها من طرق وأسس ومبادئ عدة من أهمها:

أ- القرآن الكريم:

هو المصدر الأول لمعرفة مقاصد السور والآيات وأهدافها، فهو الطريق السريع الذي يوصلنا إلى ذلك، فمقاصد الشرع تعرف أولاً بكتاب الله -عزَّوجل-، قال **الشاطبي:** "نصوص الشرع مفهمة لمقاصده، بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد الشرعية"[2]، وقال **ابن عاشور:** "في القرآن أدلة على مقاصد الشريعة"[3]، وقد ذكر القرآن الكريم أمثلةً كثيرةً تبين لنا أنَّه المرشد الأول في معرفة المقاصد والأهداف، نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

- ذكر القرآن الكريم الحكمة من خلق الثقلين، وهي تحقيق العبودية لله -عزَّوجل-، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

---

(1) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (ج385/2).

(2) الشاطبي، الموافقات (ج125/3).

(3) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (ص189).

- وضح القرآن الكريم الغاية والمقصد من إرسال الرسل –عليهم السلام–، وإنزال الكتب السماوية، فقال الله –جلَّ وعلا–: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].
- ذكر القرآن المقصد من فريضة الصيام، فقال جلَّ شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، وقال في القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، فمن خلال هذه الأمثلة يتضح لنا أنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأول، لبيان مراعاة الشريعة للمقاصد ومصالح العباد.

ب– السنة النبوية:

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ونجد أنَّ النبي –ﷺ– له بعضٌ من الأقوال والآثار الواردة في فضائل السور والآيات، بما يؤكد أن عظم فضل هذه السور منبثق من عظم حكمها ومقاصدها، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطان ينفرُ من البيت الذي تُقْرأُ فيه سورة البقرة**"[1].

فيتضح من هذا الحديث أن هناك مقصداً عظيماً من تلاوتها –سورة البقرة– فهي حِرْزٌ من الشيطان، وعلاج ووقاية للبيوت والقلوب من القلق والاضطراب.

والأمثلة من السنة النبوية كثيرةٌ لا مجال لحصرها، ولا يتسع المقام لذكرها.

خامساً– أهم المصنفات في مقاصد السور والآيات وأهدافها:

انقسم العلماء والمفسرون في الحديث عن علم المقاصد إلى أصناف، صنفٌ أشار إليه من غير تصريحٍ بلفظ الغرض أو المقصد، وآخر بدأ بالتصريح بذكر مقصد السورة، وسلكوا في هذا العلم منهجاً، وبناءً على ذلك يمكن تقسيم المفسرين في العناية بهذا العلم على النحو التالي:

(1) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/استحباب صلاة النافلة في بيته، 539/1: رقم الحديث 780].

1- المفسرون والعلماء الذين أشاروا إلى مقصد السورة، وكان لهم عناية في هذا العلم، دون أن يكون لهم تصريح محدد، من هؤلاء:

أ. الزمخشري: في كتابه "الكشاف عن حقائق التنزيل".

ب. الشاطبي: في كتابه "الموافقات".

2- المفسرون والعلماء المحدثون الذين عنوا بعلم مقاصد السور، وسلكوا فيه منهجاً في تفاسيرهم، ومن هؤلاء:

أ. ابن عاشور: في كتابه "التحرير والتنوير".

ب. وهبة الزحيلي: في كتابه " التفسير المنير".

جـ. سيد قطب: في كتابه "في ظلال القرآن".

د. البقاعي: في كتابَيْه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة فصلت والشورى والزخرف

المطلب الأول

تعريف عام بسورة فصلت

أولاً- اسم السورة وعدد آياتها، مكان وزمان نزولها:

أ- اسم السورة:

ذكر المفسرون أسماء عديدة لهذه السورة مما يدلل على مكانتها بين السور، ومن هذه الأسماء ما يأتي:

1- سميت سورة "فصلت" لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:3]، وقد فصّل الله تعالى فيها الآيات، وتسمى أيضاً "حم السجدة"؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قرأ أولها على زعماء قريش فلما انتهى إلى السجدة منها سجد [1].

2- "وتسمى "سورة المصابيح"، لقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[فصلت:12]"[2].

3- وتسمى سورة "فصلت" بسورة الأقوات، لقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت:10]، وتسمى سجدة المؤمن، ووجه هذه التسمية قصد تمييزها عن سورة السجدة المسماة "سورة المضاجع"[3].

ب- عدد آياتها:

أما عن عدد آياتها فهي أربعٌ وخمسون آية مكية نزلت بعد غافر، وقيل ثلاث وخمسون آية[4].

---

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج179/24).

(2) شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج31/8).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج227/24-228).

(4) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج217/3)، والثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (ج125/5)، وتفسير المراغي (ج102/24).

وقال القرطبي "سورة فصلت مكية في قول الجميع"[1].

"وهي خمسون وآيتان بصري وشامي وثلاث مدنيان ومكي وأربع كوفي، اختلافها آيتان (حم) عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون (عاد وثمود) لم يعدها البصري والشامي وعدها الباقون، وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع موضعان، وهما قوله تعالى:﴿**عَذَابًا شَدِيدًا**﴾، ﴿**هُدًى وَشِفَآءٌ**﴾[2].

جـ- مكان وزمان نزول السورة:

1- مكان النزول:

"أخرج ابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس، وابن الزبير أنها نزلت بمكة"[3].

2- زمان النزول:

"سورة فصلت سورة مكية نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة"[4].

ثانياً- محور السورة وخطوطها الرئيسة:

عالجت سورة فصلت عدداً من القضايا الفكرية الأساسية، ومن أبرزها قضية العقيدة وحقائقها، ويرى سيد قطب أن أبرز القضايا هي الألوهية فيقول: "إنَّ قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة ... الألوهية الواحدة. والحياة الآخرة. والوحي بالرسالة. يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخُلق الداعية وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق واستدلال عليها. وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق"[5].

ثالثاً- مناسبتها لما قبلها:

تظهر مناسبة "فصلت" لما قبلها وهي سورة "غافر" من وجهين:

أحدهما: افتتاح كلتيهما بوصف الكتاب الكريم وهو القرآن العظيم.

---

(1) القرطبي، تفسير القرطبي (ج337/15).

(2) الداني، البيان في عد آي القرآن (ج220/1).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج578/4).

(4) شرف الدين، الموسوعة القرآنية (ج31/8).

(5) قطب، في ظلال القرآن (ج2105/5).

والآخر: اشتراكهما في تهديد المشركين المجادلين، ووعيدهم في آيات الله بمكة[1]. حيث ختمت سورة غافر بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ**﴾ [غافر: 78]، فقد جاءت الآيات لتذكر بآيات الله المتمثلة في نعمه على عباده من الأنعام، ثم بيان آيات الله في أخذه للظالمين، ثم تلتها سورة فصلت لتصل هذا الحديث الذي يُذَكّر بآيات الله، وينذر المكذبين الضالين، وما نَزَل بهم من نقمٍ، فعميت أبصار المشركين عن أن ترى هذه الآيات التي تدعوهم بلسانٍ عربيٍ مبينٍ، وتكشف لهم معالم الطريق إلى الهدى ودين الحق[2].

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج179/24).

(2) يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج1278/12).

المطلب الثاني

تعريف عام بسورة الشورى

أولاً- اسم السورة وعدد آياتها، مكان وزمان نزولها:

أ- اسم السورة:

سميت سورة الشورى لوصف المؤمنين فيها بالتشاور في أمورهم، قال تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: 38] [1]، ومن أسمائها "عسق" لافتتاحها بها[2].

يقول **البيضاوي** في تفسيره: "حم عسق"، "لعله اسمان للسورة، ولذلك فُصِلَ بينهما وَعُدَّا آيتين، وإن كانا اسماً واحداً، فالفصل بينهما؛ ليطابق سائر الحواميم"[3].

ب- عدد الآيات:

مكية وهي ثلاث وخمسون آية[4]، "وقد عدَّها الكوفي خمسون وثلاث آيات، أما الباقون فعدوها خمسون، واختلافها ثلاث آيات (حم) و(عسق) و(كالأعلام) عدَّهن الكوفي، ولم يَعُدُهن الباقون"[5].

جـ- زمان نزول الآيات:

سورة مكية نزلت بعد "رحلة الإسراء" وقبيل الهجرة[6].

ويتضح أنها في نفس الفترة التي نزلت فيها "سورة فصلت". قال ابن عاشور: "نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة إبراهيم، وعُدَّت التاسعة والستين في ترتيب نزول السور، والسورة نزلت في حدود ثمانٍ بعد البعثة"[7].

---

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج20/25).
(2) يُنظر: شرف الدين، الموسوعة القرآنية (ج55/8).
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل (ج76/5).
(4) يُنظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج301/8).
(5) الداني، البيان في عد آي القرآن (ج221/1).
(6) يُنظر: شرف الدين، الموسوعة القرآنية (ج55/8).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج24/25).

د. مكان نزول الآيات:

مكية في قول الحسن وعكرمة، وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربعُ آياتٍ منها نزلت بالمدينة ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [الشورى: 23] إلى آخرها[1].

ثانياً- محور السورة وخطوطها الرئيسة:

تعالج هذه السورة قضية العقيدة كباقي السور المكية، وتركز بشكل خاص على حقيقة الوحي والرسالة، فهي المحور الرئيس الذي ترتبط به السورة كلها، وباقي الموضوعات فيها تبعاً لذلك المحور[2]. يقول وهبة الزحيلي في محورها: "ومحورها الأساسي الكلام عن ظاهرة الوحي"[3].

ثالثاً- مناسبتها لما قبلها:

تظهر المناسبة بينها وبين سورة فصلت من جهاتٍ عدة:

1- وصفُ كلٍ منهما للكتاب العزيز، وتأكيد نزول الوحي به على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- وإثبات الساعة.

2- مناقشة عقائد الكفار وتهديدهم، وإثبات وجود الله ووحدانيته.

3- ترغيب المؤمنين بالاستقامة، وتحذير الكافرين من الانحراف.

4- تسليةُ النبي -صلى الله عليه وسلم- عمَّا يلقاه من أذى قومه[4].

---

(1) يُنظر: القرطبي، أحكام القرآن (ج1/16)، والشوكاني، فتح القدير (ج601/4).

(2) يُنظر: شرف الدين، الموسوعة القرآنية (ج55/8).

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج21/25).

(4) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج21/25).

المطلب الثالث

تعريفٌ عامٌ بسورةِ الزُّخْرُفِ

أولاً- اسم السورة وعدد آياتها وزمان ومكان نزولها:

أ- اسم السورة:

بحثت عن أسماءٍ أخرى لهذه السورة في كتب المفسرين، فلم أجد لها اسماً غير اسمها، حيث يقول ابن عاشور في وجه تسميتها بكلمة الزخرف: "أنَّها وقعت فيها، ولم تقع في غيرها من السور، فعرّفوها بهذه الكلمة"[1].

يقول وهبة الزحيلي في تفسيره: "سميت سورة الزخرف؛ لاشتمالها على وصف بعض مظاهر الحياة الدنيا ومتاعها الفاني وهو الزخرف، أي الذهب أو الزينة المزوقة، ومقارنته بنعيم الآخرة الخالد"، في قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:34-35][2].

ب- عدد آياتها:

قال أبو عمرو الداني: "وهي ثمانون وثمانٍ في الشامي، وتسعٌ في عدد الباقين، اختلافها آيتان (حم) عدَّها الكوفي ولم يعدها الباقون، و(هو مهين) لم يعدها الكوفي والشامي، وعدَّها الباقون"[3].

ج- مكان نزول الآيات:

قال القرطبي: "هي مكية بالإجماع، فعن ابن عباس قال: نزلت سورة حم الزخرف بمكة"[4]. إلا مقاتل خالف في ذلك واستثنى منها قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾، فقال نزلت بالمدينة"[5]، والذي نراه أنها مكيَّة بإجماع أهل العلم والله أعلم.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج157/25).
(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج112/25).
(3) الدَّاني، البيان في عدِّ آي القرآن (ج223/1).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج61/16).
(5) الشوكاني، فتح القدير (ج626/4).

د- زمان نزول الآيات:

نزلت بعد سورة الشورى، وقد نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين في مكة بعد رحلة الإسراء، وقبيل الهجرة[1]. ويتضح مما سبق أن كلاً من الشورى والزخرف قد نزلتا في نفس الفترة الزمنية.

ثانياً- محور السورة وخطوطها الرئيسة:

تدور السورة حول النفوس البشرية، ونظرتها للدعوة الإسلامية بكل ما لاقته من مصاعبٍ وعقباتٍ وجدالٍ، فتتحدث عن تصحيح الخرافات الاعتقادية، وردّ النفوس إلى الفطرة، والحقائق الأولى، وبيان الأساطير الوثنية والانحرافات العقدية، والتأكيد على أهمية الآخرة والاستعداد لها[2].

ثالثا- مناسبتها لما قبلها:

إنَّ العلاقة بين سورتي الشورى والزخرف لهي ظاهرةٌ جليَّةٌ، حيث يقول المراغي في تفسيره: "ووجه مناسبتها لما قبلها أنَّ مفتتح هذه -الزخرف- يُشَاكل مختتم تلك -الشورى- "[3].

فلمَّا كان الكفار ينكرون الرجوع بالقرآن عمّا هم فيه، وأن يكون من عند الله، أكَّد القرآن ما يكذبهم من قوله فيما مضى آخر "سورة الشورى" أنه نورٌ وهدىً وروحٌ[4].

وتظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من آل حم من وجهين:

أحدهما: تشابه مطلع سورة الزخرف مع مطلع وخاتمة سورة الشورى المتقدمة في وصف القرآن الكريم، والآخر: التشابه في إيراد الأدلة القاطعة على وجود الله -عزَّوجل- ووحدانيته، ووصف أحوال الآخرة من أهوال النار، ومقارنتها بنعيم الجنّة[5].

---

(1) يُنظر: شرف الدين، الموسوعة القرآنية (ج79/8).

(2) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن (ج3174/5-3176).

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج67/25).

(4) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج378/17).

(5) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج112/25).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت من الآية (47 – 54) وسورة الشورى من الآية (1 – 19)

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فصلت من الآية (47-54)

المطلب الأول

اختصاصُ عِلْمِ السَّاعةِ بِاللهِ تَعَالى

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت:47-48].

- **المعنى الإجمالي:**

بيَّن الله تعالى في هذه الآيات أن علم الغيب ينحصر في ذاته العلية سبحانه، فليس لأحد من خلقه علمٌ بالغيب وخاصة علم الساعة وقيامها، فهو محيط بكل الكائنات فما تخرج من ثمرة من وعائها وتظهر إلا يعلمها سبحانه مهما كان كثرتها وكثرة ثمارها وأشجارها ويعلم سبحانه كل أنثى وما تحمله من جنينٍ ولا تضعه أو تسقطه إلا بعلمه وإذنه، وهذه مظاهر الربوبية المستلزمة للألوهية، فلا إله غيره ولا رب سواه[1].

ومع كل هذا، فالجاهليون يتخذون له شركاء من أصنام وأوثان يعبدونها معه سفهاً بغير علم، ويوم القيامة ينادي الله المشركين فيسألهم أين ما كنتم تشركون معي في العبادة؟، فيقولون: أعلمناك ما منا من أحد يشهد بأن لك شريك، وغاب عنهم ما عبدوا من الأصنام فيتيقنوا بأنه لا مهرب لهم من العذاب[2].

- **المناسبة بين المقطع والآيات السابقة:**

بعد تهديد الله للكفار بأن جزاء كل إنسان بما كسب سيصله يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ﴾ [فصلت: 46].

---

(1) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج4/587).

(2) يُنظر: الخطيب، أوضح التفاسير (ج1/588-589).

أوضح الله عزوجل بأن علم القيامة مختص به سبحانه وتعالى، ثم ذكر انتهاء أسطورة الشرك، وتبدد كل الآمال في الأصنام[1].

- **المفردات اللغوية:**

1- أكمامها: جمع كِمّ بكسر الكاف، وهو ما يغطي الثمرة كجُفِّ الطَّلْع، ويطلق على ما يغطي اليد من القميص[2]، وقيل بأنه: وعاءٌ للثمرة، وقد يطلق على كل ظرف لمال أو غيره[3].

2- آذنَّاك: "أي أعلمناك، ما من أحد يشهد بأن لك شريكاً"[4].

- **تحليل المقاصد والأهداف:**

1-استأثر الله تعالى بعلم الغيب:

لا بد أن نوقن بأن الله هو المطَّلع على علم الغيب، فلا يعلم الغيب سواه، فهو علاَّم الغيوب، علمه يقينياً جازماً قطعياً، أما علم التنجيم فهو محدود جداً، وأكثره من التخمين والحدس والظن، فيجب على الخلق ألا يتعلقوا بالسحرة والمشعوذين الذين يدَّعون علم الغيب، لأنه من العبث أن يتبع المخلوق مخلوقاً آخر ويترك خالقه سبحانه وكذلك للمسلم أن يحذر إتيان أهل السحر والشعوذة الذين يدَّعون الغيب، فعن صفية عن بعض أزواج النبي أن رسول الله ﷺ قال: "**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**"[5].

يقول الله تعالى: ﴿**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: 59].

---

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج6/25).

(2) يُنظر: الحلبي، الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون (ج534/9).

(3) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج5/25).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج598/4).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/باب تحريم الكهانة وإتيان الكاهن، 1751/4: رقم الحديث 2230].

2-علم الله بما في الأرحام:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: 47]، يقول صاحب البحر المديد في تفسيره للآية: "ما يتعلق بالنطفة في رحمها، وما ينشأ عنها من ذكورة وأنوثة، وأوصاف الخلِقة تامةً أو ناقصة، ولا تضع حملها إلا بعلمه، ولا يضع واضع، ملابساً لشيء من الأشياء، إلا ملابساً بعلمه المحيط"[1].

وفي الآية توكيد على علم الله الشامل الذي يقع في محيطه كل شي في هذا الوجود، لا علم الساعة وحده، وكذلك شأن علم الحيوان والإنسان، فما حملت أنثى ولا وضعت إلا ويعلم ربنا وضعها، وعلمه سبحانه بما تحمل كل أنثى، لا يمنع من أن يعلم الناس من هذا العلم ما يقع لحواسهم، من حمل الحوامل من إنسان وحيوان، فعلم الله سبحانه قديم، واقعٌ قبل أن يقع الحمل وبعده، يقول -جلَّ جلاله-: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8][2].

ولا بد من التأكيد على أمرٍ مهم هو: أن ما يكون على لسان بعض العارفين من الإخبار بوقت تكوّن الحمل، وزمن الوضع وبيان الموضع، هو من إلهام الله تعالى إياهم، فليس لهم علمٌ من الغيب، أما ما يقوله المنجمون والسحرة والكهنة، فمن طريق الحسبان والظن والتوسم فقط، ولا علاقة له بمعرفتهم بعلم الغيب[3].

وقد استدل علماء السلف على أن هذه الآية تثبت صفة علم الله القديم وهي: علم الله الذي لا أول له، يتعلق بالمعلومات كلها على اختلاف أنواعها من قديم ومحدث، وموجود ومعدوم، على الجملة والتفصيل، وهذا العلم ليس بعلم ضروري ولا استدلالي، فقد أثبت الله في هذه الآية العلم لنفسه، ونصَّ على أنه صفة له تعالى[4].

فعن ابن عمر-رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: "**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ**

---

(1) ابن عجينة، البحر المديد (ج8/186-187).

(2) يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج13/4،5).

(3) يُنظر: ابن مُلَّا، بيان المعاني (ج4/22).

(4) يُنظر: ابن العربي، قانون التأويل (ص310).

مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ"[1].

يقول ابن بطّال: "غرضه في هذا الباب إثبات أن علم الله صفةٌ لذاته؛ إذ العلم حقيقة في كون العالم عالِماً، فمن دفع علم الباري تعالى الذي هو حقيقة في كونه عالماً، وزعم أنه عالم بنفسه لا بعلمٍ، فقد ردَّ نص الله تعالى على إثبات العلم الذي هو حقيقة في كونه عالماً، وقد اجتمعت الأمة على أن من نفى كونه عالماً فهو كافر"[2].

فحين يخبر الأطباء النساء الحوامل عن جنس الحمل، فهذا لا يعني بأنه علم بالغيب، بل هي علوم آتاها الله لهم، دون أن يكون للطب علم بحياة هذا الجنين، وهل هو من أهل السعادة أم من أهل الشقاء؟، فهي همسة في أذن كل مسلم بأن الطبيب لا يستطيع الخلق، ولا يستطيع تغيير خلق الله إلا إذا شاء الله تعالى.

3-انتهاء أسطورة الشرك:

يعلن المشركون يوم القيامة بأن الله واحد لا شريك له، فلن ينفعهم شركاؤهم، فبدأوا بنفي الشرك عن رب العزة لما عايشوا يوم القيامة، ولات حين مناص، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام:23].

فهذا حال الكفر في العالم، فهو ملة واحدة لا يتعظ إلا بعد فوات الأوان، وقديماً قالوا السعيد من اتعظ بغيره والشقي من اتعظ بنفسه، وما أكثرهم حين يعاينون العذاب والهلاك،! فتأخذهم الحسرة بأنهم لو فعلوا الخير، لكنَّ الله يُخبر عنهم فيقول: ﴿**وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا**﴾ [الكهف:53].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/باب قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: 26]، 116/9: رقم الحديث 7379].

(2) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج10/407-408).

المطلب الثاني

تَبَدُّلُ أَحْوالِ الإنسانِ وتغيّرُ أَطْوَارِهِ

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت:49-51].

- **المعنى الإجمالي:**

هذا هو الإنسان على طبعه وحقيقته، كما وصفه خالقه -سبحانه وتعالى-، فهذه النفس لا يخفف من حدتها ويعدِّل من سورتها إلا اتّباع الدين، وتطهير النفس بطهر القرآن، فهو لا يملُّ من طلب الخير كالمال وغيرها، وهذا ينشأ من حبه للدنيا[1].

فإن حلَّت به مصيبة أو فقر أو مرض، فهو عظيم اليأس، قانط من روح الله ورحمته، وإن أعطاه الله غنىً وصحةً من بعد شدة وبلاء، ليقولن هذا بسعيي واجتهادي، وما أعتقد أن القيامة ستكون، وعلى فرض أنها حاصلة، فليُحسننَّ إليَّ ربي كما أحسن لي في الدنيا[2].

فلننبئن الذين كفروا بما عملوا من الأفعال السيئة ولنجازيهم بعذاب شديد لا يمكنهم التخلص منه، وإذا رزقنا الإنسان نعمة أعرض عن شكرها وطاعة صاحبها، وإذا تبدل حاله وأصيب بشر، أطال الدعاء والسؤال بأن يكشف الله ما به من شدة[3].

- **سبب النزول:**

"نزلت هذه الآيات في الكفار، قيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في عتبة بن ربيعة، وكثير من المسلمين يتصفون بوصف أولّها من دعاء الخير"[4].

---

(1) يُنظر: الحجازي، التفسير الواضح (ج351/3).

(2) يُنظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج118/3).

(3) يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج316/9).

(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج10/25).

- **المناسبة بين الآيات:**

لمَّا ذكر الله الوعيد العظيم على الشرك وبين أن المشركين يرجعون عن القول بالشرك يوم القيامة، ويظهرون من أنفسهم الذلة والخضوع بسبب استيلاء الخوف عليهم، بيَّن الله أن الإنسان جُبِل على التَبدل، فإن وجد في نفسه قوة بالغ في التكبر، وإلا بالغ في إظهار الذلة والمسكنة[1].

- **المفردات اللغوية:**

1- لا يسأم: سَئِمَ الشيء، وسئم منه، وسئمت أسأم سأماً، وسَأْمَةً: مَلَّ، والسآمة: الملل والضَّجر[2].أي: لا يفتر من دعاء الخير وطلب السعة في النعمة والمال[3].

2- يؤوس: يئس من الشيء ييأس وهو: القنوط، وتأتي على لغتين: يئس ييأس، ويأس ييئس[4].وتعني في الآية: يقطع الرجاء من فضل الله وروحه، وهذه صفة الكافر، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

3- قنوط: "هو إظهار أثر اليأس على ظاهر البدن"[5].

4- إنَّ لي عنده للحسنى: الحسن ضد القبح، حَسْنَ وحَسَنَ يحْسُنُ حُسْناً[6]، وتدل على جزمهم بوصولهم إلى الثواب والجنة[7].

5- دعاءٍ عريضٍ: ذو دعاءٍ واسع، فالعرض إنما يقع في الأجسام، والدعاء ليس بجسم، وقيل: أي كثير، فوضَعَ العريض موضع الكثير؛ لأن كل منهما مقدار[8].

---

(1) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج573/27).

(2) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (ج280/12)

(3) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج9/25).

(4) يُنظر: الفارابي، الصحاح تاج اللغة (ج992/3).

(5) الحجازي، التفسير الواضح (ج351/3).

(6) يُنظر: ابن سيده المرسي، المُحكم والمحيط الأعظم (ج197/3).

(7) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج573/27).

(8) يُنظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج392/18).

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ إظهار في مقام الإضمار، ومقتضاه أن يقال: ولننبئنهم بما عملوا، فعدل إلى الموصول وصلته لما تُؤْذِنُ به الصلة من علة استحقاقهم الإذاقة[1].

2- قوله تعالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ في مقابلة قولهم إن لي عنده للحسنى[2].

3- قوله تعالى: ﴿**لَّا يَسْـَٔمُ**﴾ التعبير عن دوام طلب النعمة بعدم السآمة، وكذلك محبة الخير بدعاء الخير[3].

4- قوله تعالى: ﴿**فَيَـُٔوسٌ قَنُوط**﴾ كلاهما صيغة مبالغة على وزن فعول تدل على كثرة ورود الفعلين: اليأس والقنوط.

5- قوله تعالى: ﴿**ذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ**﴾ استعارة مكنية تخييلية، فهو كثير مستمر، مستعار مما له عرض متسع، وصيغة المبالغة عريض، وتنوين التكثير يقويان ذلك، وفيها استعارة العرض أبلغ من استعارة الطول[4].

6- قوله تعالى: ﴿**أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِ**﴾ "مجاز عن النفس"[5].

7- لفظ الإنسان في الآيات كما يقول طنطاوي: "المراد به جنسه الغالب، وإلا فهناك مؤمنون صادقون، إذا رزقهم الله النعم شكروا، وإذا ابتلاهم بالمحن صبروا"[6].

---

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج13/25).

(2) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج573/27).

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج11/25).

(4) ينظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم (ج13/25-12).

(5) الشوكاني، فتح القدير (ج599/4).

(6) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج364/12).

- **تحليل المقاصد والأهداف:**

1-طبيعة النفس الإنسانية:

يظهر في هذه الآيات طبيعة الإنسان الذي يتملكه الطمع والشَّره، وحب الاستكثار من المال والمتاع، دون أن يقف عند حد القناعة، فكلما رُزق نعمة ازداد طمعاً وجوعاً[1].

فالإنسان في القرآن ما هو إلا عبدٌ لله، خُلق ليكون مظهراً لإلهية الله عزوجل، وما صفة الخلافة فيه وتكريمه على سائر المخلوقات، وتسخير الكون له إلا وسيلة؛ لتحقيق عبوديته لله بالكسب والممارسة والاختيار، كما خلقه عبداً له بالجبر والاضطرار[2].

يقول الله -عزَّوجل-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: 56-57].

2-عبودية النعم:

كثير من الخلق ينسى ربه حين تنهمر عليه النعم، فيعبدها دون مُنْعِمها، ويقول في ذلك ابن القيم: وأما عبودية النعم فمعرفتها والاعتراف بها أولاً، دون أن يقع في قلبه نسبتها وإضافتها إلى سواه، فالنعمة منه وحده بكل وجهٍ واعتبار، ثم الثناء بها عليه وشكرها بأن يستعملها في عبادته، ومن لطائف التعبد بالنعم أن يكثر قليلها عليه، ويستقل كثير شكره عليها[3].

فكم من الناس يشتغل بالنعمة عن المنعم وهم المتظّهرون بالدين، المتزلزلون في الإسلام، يقول الله -عزَّوجل-: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 12].

لا بد أن يعلم الإنسان أن هذه النعم وصلت إليه من سيده من غير ثمنٍ بذله فيها، وأنها لله لا للعبد، فلا تزيده النعمة إلا انكساراً وذلاً وتواضعاً ومحبة للنعم، وكلما جدَّد الله له نعمةً أحدث لها عبودية[4].

---

(1) يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج6/13).

(2) يُنظر: البوطي، من روائع القرآن (ج226/1).

(3) يُنظر: ابن القيم، الفوائد (ج113/1).

(4) يُنظر: التويجري، موسوعة فقه القلوب (ج1094/2).

ونجدُ كثيراً من الناس يتبجح بقوله مالي ومال آبائي أتاني بجُهدي وعَرَقي، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ: "**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**"[1].

وقد ذمَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– من يعبدون النعم، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**"[2].

وفي هذا الحديث يدعو النبي بالشقاء على من استعبده طلب الدرهم والدينار، كالعبادة لهما فإن أعطاه الله رضي وإلا سخط بما قدر الله له، فدعا عليه النبي بالتعاسة؛ لأنه أوقف عمله على متاع الدنيا الفاني، وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي، وإذا أصابته شوكة فلا أخرجها بمنقاشها، فأكدَّ نبينا –صلى الله عليه وسلم– على ضرورة الامتناع عن السعي لطلب الدرهم والدينار لغايتهما فقط[3].

وهذا حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب ولا خلُصَ من المكروه، وهذا حال من عَبَدَ المال وتعلقا برئاسة أو بصورة من أهواء نفسه، فهذا عبدٌ لما يهواه من ذلك، وهو رقيق له إذ الرق في الحقيقة هو رِقُّ القلب وعبوديته، فما استرقَّ القلب فهو عبده[4].

يقول أبو العتاهية[*]:

طلبت المستقر بكل أرضٍ فلم أر لي بأرض مستقرّاً

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (ج2273/4) رقم الحديث: 2958].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسِّير/الحراسة في الغزو في سبيل الله (ج34/4) رقم الحديث: 2887].

(3) يُنظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج83/5).

(4) يُنظر: ابن تيمية، العبودية (ص80–81).

(*) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم وكنيته أبو إسحاق مولى عنزة، ويرمى بالزندقة، مع كثرة أشعاره في الزهد والموعظ، وكاد يكون كلامه شعراً كله، ولسهولة شعره كان يلعب به لعباً، والعتاهية من التعته وهو التحسن والتزين، وقد مات يوم الاثنين لثلاثٍ خَلَون من جمادي الآخرة سنة 211 هـ ببغداد. يُنظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء (ص228–229)، وكذلك الموصلي، المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة (ص215).

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حُرَّاً[1]

3-الدنيا حلوة خضرة:

لا بد للمسلم أن يتزود من الدنيا ليبلغ الآخرة، كيف ورب العزة يقول في كتابه العزيز: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: 17]، لذلك وجب على المسلم أن يتنعم بنعم الله دون أن ينسى أنها من فضل الله، فالدنيا وما فيها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وإلا لما سقى منها كافراً شربة ماء، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: "**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا**"[2]، وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**"[3].

فالدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة، ويعبّرُ عنه بالهوى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: 40-41]، ومجامع الهوى خمسة أمور، وهي ما جمعه الله في قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: 20]، والأعيان التي تحصل من هذه الخمسة سبق جمعها في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: 14]، وبالجملة فكل ما ليس لله هو من الدنيا، وما هو لله فليس من الدنيا[4].

---

(1) أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية (ص168).

(2) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، باب مَثَلُ الدُّنيَا، (ج377/2): رقم حديث 4112]، حسنه الألباني.

(3) [مسلم: صحيح مُسلم، الرِّقَاقِ/باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، 2098/4: رقم الحديث 2742].

(4) يُنظر: القاسمي، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص217).

المطلب الثالث

ضرورةُ التأمُّلِ في الآياتِ الكونيَّةِ والأنْفُسِ

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: 52-54].

- **المعنى الإجمالي:**

قل لهم يا محمد إن كان هذا الكتاب –القرآن الكريم– من عند الله، ثم جحدتم أنه ليس من عند الله، فماذا تقولون وماذا تحتالون إذا نزل بكم العذاب يوم القيامة،؟ ومن سيكون أضل منكم! فأنتم بعيدون عن الحق بكفركم بالقرآن، ثم دعاهم الله إلى التأمل في الآيات والأنفس حتى تظهر لهم دلالات صدق القرآن[1].

وعلامات كونه من عند الله في أقطار السماوات والأرض المشتملة على خلق الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار، وأحداث الكون الرهيبة من البراكين والأعاصير، وعظمة خلق الجبال والبحار، وإبداع صنع النباتات والأشجار، وكذلك سندلل لهم على صدق القرآن من خلال خلق الأنفس وما فيها من إبداع الصنعة وإتقان الخلق وعظمة التركيب، والخلائق والأحداث ويتبينوا بجلاءٍ أن القرآن ومُنزله ومن أُنزل عليه حق وصدق لا شك فيه[2].

وبعد ذلك كله إذا لم ينظروا ويتأملوا، فتكفي شهادة رب السماوات والأرض بأن القرآن حق وهو العالم بكل شيء علماً يحيط بما ظهر وخفي[3].

- **المناسبة بين الآيات:**

يقول صاحب التحرير والتنوير: "﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت:52]، استئناف ابتدائي متصل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت :41-45]، وهذا انتقال إلى

---

(1) يُنظر: الواحدي، التفسير الوجيز (ج959/1).

(2) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج16/25-17)

(3) يُنظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج233/3).

المجادلة في شأن القرآن رجع به إلى الغرض الأصلي من هذه السورة وهو بيان حقِّية القرآن وصدقه وصدق من جاء به، وهذا استدعاءٌ ليُعمِلوا النظر في دلائل صدق القرآن مثل إعجازه وتأييد بعضه بعضاً وكون تلك الكتب مؤيدة له"[1].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ فيها مجازان، أحدهما استعمال رأى بمعنى أبصر في الإخبار؛ لأن الرؤية طريق للعلم بالشيء، فاستعملت صيغة طلب الرؤية في طلب الإخبار بجامع مطلق الطلب، والمجاز الآخر استعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الإخبار[2].

- **تحليل المقاصد والأهداف:**

1-ضلالُ مشركي العرب:

لما أنزل الله القرآن بلسان العرب، تحداهم أن يأتوا بمثله ولو بآية واحدة فعجزوا عنه فلا أحد أضل منهم في الإعراض عنه لفرط الشقاق والعداوة وقد قال الله عنهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

لكنّه الكبر والعناد الذي يقتل صاحبه، وقد بيَّن القرآن أن العرب هم الأولى بالإيمان واتباع الرسول ﷺ لأنهم عاينوه بأنفسهم وشهدوا الدلائل الدامغة على صدق الرسول محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

2-آياتُ اللهِ في الكَوْنِ:

قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]، إن الدلائل على وجود الله كثيرة لا تحصى، منها ما وقعت عليه حواس الإنسان، ومنها ما هو في طي الغيب والكتمان، يدخره الله؛ ليطلع عليه الخلق في العصور القادمة.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/25).

(2) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج15/25).

يقول الطبري: "وعد الله سبحانه نبيه –صلى الله عَليه وسلم– أن يُري هؤلاء المشركين المكذبين آياته في الآفاق، فيريهم مالم يكونوا رأوه من قبل من ظهور نبي الله على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما تهديدهم برؤية النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيراً قبل وبعد، ولا وجه لتهديدهم بذلك"[1].

وإن هذه الآية تدلل على أن علم الإنسان –علم المادة– هو عبارةٌ عن اكتشاف سنن الله تعالى في خلقه، وعلى هذا فإنه يستحيل أن تتناقض الحقيقة العلمية اليقينية مع الحقيقة الدينية اليقينية؛ لأنَّ كليهما من الله تعالى، فهذه آياته في الآفاق، وتلك آياته في التنزيل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سبأ: 6][2].

فقد جمع الله في آية فصلت ذكر دلالتي النفوس والآفاق، وذلك أننا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين عالمين مدركين، بعد أن لم نكن شيئاً وأن أول وجودنا كان نطفة قذرة مستوية الأجزاء والطبيعة، بحيث يمتنع في عقل كل عاقل أن يكون منها ما يختلف أجناساً وأنواعاً، وأشخاصاً بغير صانع حكيم [3].

فليس هناك طريق أقصر من التفكير في ملكوت السماوات والأرض وفي الأنفس، للاستدلال على الخالق بالمخلوق، يقول الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21][4].

ولقد تحدى الله البشر جميعاً بحقائق الكون، فسبحانه سيكشف لعباده بعضاً من آياته؛ ليتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق، فحقائق الكون التي سيصلون إليها بعد مئات السنين بنشاطات الذهن، سيجدون بأن القرآن قد أشار إليها، فقد جاء في القرآن بأن الأرض كروية، وأنها تدور، وجاء فيه أن هناك ما هو أصغر من الذرة، وقد وصف القرآن الجنين وصفاً دقيقاً وهو في بطن أمه، وحقائق أخرى كثيرة.

فقد أقام الله –عزَّوجل– أدلةً وعلاماتٍ كثيرةٍ على وحدانيته منها آيات الآفاق: وهي الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار، وآيات عالم العناصر الأربعة ماء وتراب وهواء ونار[5].

---

(1) الطبري، جامع البيان (ج462/20).

(2) يُنظر: شحود، أركان الإيمان (ص28).

(3) ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات (ص46).

(4) يُنظر: الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص592).

(5) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج18/25).

وكذلك تكّون الأجنة في ظلمات الأرحام، وتَخَلُّقِ الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة، فإن كل ما في الكون ليشهد على وحدانية الخالق –سبحانه– وأنه رب كل شيء، فقد دل الله على وجوب سؤال أهل الخبرة والمعرفة، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: 59]، أي فلا تسأل عن الرحمن –سبحانه– إلا خبيراً به.

ووجود جميع الأشياء في العالم العلوي والسفلي، وبقاؤها وما هي عليه من الأوصاف، كل ذلك من الأدلة والبراهين على وجود مبدعها ومعدِّها وممدها بكل ما تحتاج إليه، ومن أنكر فقد باهت وكابر وأنكر أجلى الأمور، وأعظم الحقائق على وحدانيته[1].

3–كفى بالله شهيداً:

قال الله سبحانه: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: 19]، فإن الله خير شاهدٍ، وشهادته كافية على خلق الدلائل على الأشياء وعلى أقوال العباد، وعلى أن القرآن حق من عنده[2]، يقول تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ [النساء: 166].

فلا يصح لمن يدَّعون العلم أن يطلبوا الأدلة والبراهين على صدق الرسالة والقرآن، ونقول بأن شهادة الله تكفي، فلمَ التعنت والتكبر وعدم قبول الحق في ذلك ،أم أنه الاغترار بالجاه والسلطان، فكثيراً من أهل زماننا مَنْ إذا جئته لتتحدث معه عن أمور الدين يقول لك أنا أفهم ما تقول، لكن اترك قال الله وقال الرسول، وأقنعني بصحة ما تقول بالعقل والمنطق ويتضح ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف: 54]، وكأنه بعيدٌ عن الإسلام والمسلمين بل والأعجب من ذلك أنه نشأ نشأة إسلامية ودرس في المعاهد الإسلامية ثم يأتي فيقول هذا لم أقتنع به، وهذا لي فيه نظر.

فسبحان الله كيف يمنُّ الله على الخلق بالعلم والمعرفة، ثم لا يردُّون الفضل لصاحبه، يقول الله عزوجل: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: 103].

---

(1) يُنظر: آل سعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ج340/1).

(2) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج18/25).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (1-12)

المطلب الأول

الحروف المقطعة

أولاً- المقصود بالحروف المقطعة:

من المسلَّمات كون القرآن الكريم كلام رب العالمين، وسوره مائةً وأربع عشرة، منها تسعٌ وعشرون افتتحت بحروفٍ مقطعةٍ، وسورةُ الشورى التي نحن بصددِ دراستِها من ضمن هذه السور، فالحروفُ من جنسِ كلام العرب، ومع ذلك لم يستطع أحدٌ من الخلقِ أن يتوصلَ إلى مراد الله منها.

ولو تواتر لها دلالة لنُقلت عن الصحابة رضي الله عنهم وأئمتهم، وإن افتتاح هذه السور بهذه الحروف لهو التحدي الذي أراده منزِّل القرآن، وقد اختلف العلماء في موقفهم منها على أمرين:

1- ذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحدٍ سبيلاً إلى إدراك معانيها، وأنها مما استأثر اللهُ تعالى بعلمها، فنحنُ نؤمنُ بظاهرها، ونكلُ علمَهَا إلى الله تعالى.

قال داود بن أبي هند: كنتُ أسألُ الشعبي عن فواتحَ السور، فقال يا داودُ إن لكل كتابٍ سراً، وإن سرَّ القرآن فواتح السور، فدعها وسَلْ عما سوى ذلك[1].

ويقول طنطاوي رداً على هذا الرأي: "إنَّ منَ الاعتراضات التي وُجهت لهذا الرأي أنه إذا كان الخطاب بهذه الفواتح غير مفهوم للناس؛ لأنه من المتشابه فإنه يترتبُ على ذلك أنه كالخطاب بالمُهْمَل، أو مَثَلُهُ كَمثلِ المتكلمِ بلغةٍ أعجميةٍ معَ أُنَاسٍ عربٍ لا يفهمونها، لكننا نجيب عن ذلك بأن هذه الألفاظ لم ينتفِ الإفهام عنها عند كل الناس، فالرسول ﷺ كان يفهمُ المرادُ منها، وكذلك بعضُ أصحابِهِ المقربين، ولكن الذي ننفيه أن يكون الناسُ جميعاً فاهمين لمعنى هذه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور"[2].

---

(1) يُنظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج75/1).

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج38/1).

2- ما ذهب إليه الجمهور من أهل العلم: أنه يجبُ التكلم فيها، وتَلمُّسُ الفوائد التي تحتها والمعاني التي تستخرج منها، وقالوا: لا يجوز أن يَرِدَ في كتابِ الله -عزَّوجل- ما لا يكون مفهوماً للخلق، واحتجوا بأدلةٍ عقليةٍ ونقليةٍ[1].

ثانياً- معنى الحروف المقطعة:

توسَّع السابقون من المفسرين في تحديد معاني هذه الفواتح على أقوالٍ منها:

1- قال قتادة: هي أسماء للقرآن كالفرقان والذِّكر.

2- قال عليٌّ بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما: "الحروف المقطعة هي اسم الله الأعظم، إلا أنَّا لا نعرفُ تأليفَهُ منها"[2].

3- قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: "في كل كتابٍ سرٌ وسرُّ اللهِ في القرآن أوائلَ السور"[3].

الراجح: لعل أقرب الأقوال للصواب ما ذكره ابن كثير: أنّ هذه الحروف المقطعة قد وردت في افتتاح بعض السور؛ للإشعار بأن القرآن الذي تحدى الله به المشركين هو من جنس الكلام المركّب من الحروف التي يعرفونها، ويقدرون على تأليف الكلام منها، فإن عجزوا عن ذلك فهذا دليلُ بلوغِهِ في الفصاحة والبيان مرتبةً يقف الفصحاء دونها بمراحلَ شاسعةً، فهي تجذب الأنظارَ وتطرقُ الأسماعَ حين تتصدرُ أوائلَ السور فتكونُ طريقاً وسبباً لهدايتهم واستجابتهم للحق[4].

ثالثاً- الحكمة من وجود الحروف المقطعة:

يقول ابن العثيمين:"إن الأرجح في ذلك ما اختاره ابن القيّم وشيخ الإسلام ابن تيميّة، واختاره تلميذه الحافظ الذهبي، وجمع من أهل العلم كُثُر، هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأنه لم يأتِ بكلماتٍ أو حروفٍ خارجةٍ عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلمُ به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم"[5].

---

(1) يُنظر: القاسمي، محاسن التأويل (ج242/1)، وكذلك ابن عطية، المحرر الوجيز (ج82/1).

(2) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج82/1).

(3) الخازن، لباب التأويل (ج22/1).

(4) يُنظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج39/1).

(5) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (ج23/1).

المطلب الثاني

إنزالُ الوَحْي وعظمةُ اللهِ ورقابتُه أحوالَ المُشْركين

قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦﴾ [الشورى: 1-6].

- **المعنى الإجمالي:**

يعظم الله -عزَّوجل- قَدْرَ حبيبه -ﷺ- فيقول: كما خصصّناك بهذه الخصائص العِظام لك ولمَنْ قبلك، الذين أوحينا إليهم، ونذكِّرك بأن الله هو العزيزُ في ملكه، الحكيمُ في صنعه، الذي له ما في السموات وما في الأرض العلي العظيم[1].

تُقارِبُ السمواتُ أن يَتشققنَ من عظمة وجلالة من هو فوقها بالألوهية، والقهر والقدرة، والملائكة يداومون على تنزيه الله عما لا يليق به، جامعين بين التسبيح بالتحميد وشكر النعم التي لا تحصى، ويطلبون المغفرة لعباد الله المؤمنين، فالله سبحانه كثيرُ المغفرةِ والرحمة، يقَبل استغفارَ الملائكة لعباده، فالله سبحانه حفِيظٌ مراقبٌ أعمال وأحوال المشركين المتخذين آلهة من دونه، يحفظها ويحصيها عليهم؛ ليجازيهم بها، فلستَ يا مُحمد وكيلاً ولا مسئولاً عنهم، بل إنما عليك البلاغ فحسب[2].

- **المناسبة بين الآيات:**

"ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها أنه قال: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [فُصلت: 52]، وكان في ذلك الحكمُ عليهم بالضلال لما كفروا به قال هنا كذلك، أي مثلُ الإيحاءِ السابقِ في القرآن الذي كفر به هؤلاء، يُوحِي إليك: أي أنَّ وحيه تعالى إليك متصلٌ غيرَ منقطعٌ، يتعهدُك وقتاً بعد وقت"[3].

---

(1) يُنظر: دروزة، التفسير الحديث (ج437/4).

(2) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج26/25-27).

(3) أبو حيان، التفسير المحيط (ج322/9).

- **المفردات اللغوية:**

1- يَتَفَطَّرْن: يتشققن. قال ابن كثير: "أي فَرَقاً"[1]، وقد تناول العلماء أقوالاً في معنى قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: 5]، منها:

- "يَتَفطرن من الثقل"[2]، وهذا مصداق قول النبي -ﷺ-: "**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ**"[3].
- أو يكون انفطارهنَّ من عِظَمِ شناعة الكفر بالذي خلق الأرض في يومين، وجَعْلُهم له أنداداً كما في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝﴾ [مريم: 90-91][4].

وأرى والله أعلم أنه لا داعي لتخصيص معنىً دون آخر، ولا بأسَ أن نجمع الأقوال كلها في بيان معنى الآية، إذ لا مخصِّص لما أصله العموم، لأن العبرة بعموم اللفظ، فكل المعاني واردةٌ صحيحةٌ يؤخذ بها.

2- بحمد ربهم: فيه وجهان أحدهما: بأمر ربهم، والثاني: بشكر ربهم[5].

وكلا المعنيين صحيحان، ولا تعارض بينهما والله أعلم.

3- الأولياء: والمقصود بها الأصنام التي عبدوها من دون الله، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمْتَحنَةِ: 1][6].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج190/7).

(2) السيوطي، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور (ج337/7).

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، الزهد/ باب في قوله ﷺ: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً" 566/4: رقم الحديث 2312]، حسَّنه الألباني.

(4) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر (ج243/17).

(5) يُنظر: الماوردي، النكت والعيون (ج192/5).

(6) يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج104/9).

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ﴾ "استعمل الفعل المضارع في حقيقته بالنسبة لما ينزل من القرآن، وفي مجازه لما أُنزل من الكتب السابقة ومن القرآن، وهذا تشبيه للمشبه، والمشبه به هذه السورة"[1].

"وقدّم الجار والمجرور كذلك على الفعل؛ للاهتمام بالمشار إليه، والتشويق بتنبيه الأذهان إليه"[2].

2- قوله تعالى: ﴿فَوۡقِهِنَّۚ﴾لابتداء الغاية: أي يبتدئ التَفَطُّرُ من جهة الفَوْق، ووجه تخصيصها أنها أقرب إلى الآيات العظيمة، والمصنوعات الباهرة[3].

3- قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ عمومٌ يُراد به الخصوص، إذ لا يصح أن يستغفر الملائكة للكفار أعداء الله، وقد قال الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: 161]، وهذه الآية خصصتها آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: 7][4].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **وحدة الوحي في الرسالات السماوية:**

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورى: 3]، يستدل الله -عزَّوجل- في هذه الآية على المعاندين للنبي -صلى الله عليه وسلم- بأن هذا الوحي لم ينزل على النبي فقط، وإنما أوحى الله إليه كما أوحى إلى الذين من قبله، وليس شيئاً غريباً جديداً على هؤلاء، فقد عرفوا أن قبلك أنبياء من البشر قد جاءوا إلى أقوامهم بمثل ما جئتهم به[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج27/25).
(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج24/25).
(3) يُنظر: الشوكاني، فتح القدير (ج603/4).
(4) يُنظر: الزمخشري، الكشاف (ج209/4).
(5) يُنظر: حطيبة، تفسير أحمد حطيبة (ج2/412).

يقول المغامسي: "لم يرد بعد الحروف المقطعة خطاب مباشر للنبي –صلى الله عليه وسلم– إلا في سورة الشورى وهذه هي التي أوقفتني، وإلا فسائر سورة القرآن المبدوءة بأحرف متقطعة لم يأت بعدها مخاطبة للنبي –صلى الله عليه وسلم–"[1].

وقد جاءت الآية بلفظ المضارع يوحي مع أن الوحي إلى من قبله ماضي، ومعنى ذلك أنه قصد بلفظ المضارع كون ذلك عادة وسنة لله تعالى، وقيل: يحتمل أن يكون باعتبار وضع المضارع موضع الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ**﴾ [الجاثية: 26][2].

قال علماء اللغة: أن الواو في الآية لا تقتضي الترتيب؛ لأنَّ الوحي إلى محمد –صلى الله عليه وسلم– إنما كان بعد الوحي إلى الأنبياء قبله –عليهم السلام– فدلَّ ذلك على أن الواو لا تستلزم الترتيب[3].

عن أبي هريرة، عن رسول الله –ﷺ– قال: "**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**"[4].

يقول السَّعدي في تفسير الآية: إنَّ محمداً –ﷺ– ليس ببدعٍ من الرُسُل، وأن طريقته طريقة مَن قبله، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين، وما جاء به يشابه ما جاءوا به؛ لأن الجميع حق وصدق[5].

فالوحي واحد في جوهره على اختلاف الرُسُل والأزمان، فهي قصة بعيدة البداية، كثيرة الحلقات، ومنهج ثابت الأصول على تعدد الفروع، فإن هذه الحقيقة على هذا النحو حين تستقر في ضمائر المؤمنين تشعرهم بأصالة ما هم عليه وثباته، ووحدة مصدره وطريقه، وتشدُّهم إلى مصدر هذا الوحي إنه "الله العزيز الحكيم"، وتشعرهم بقرابة المؤمنين أتباع الوحي في كل زمان ومكان، فهذه أسرتهم تمتدُ جذورها في شعاب الزمن، وتتصل كلها بخالقها في النهاية[6].

---

(1) المغامسي، سلسلة محاسن التأويل (ج3/50).

(2) يُنظر: الرازي، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص461).

(3) يُنظر: السِّمْلالي، رفع النقاب عن تنقيح الشهاب (ج192/2).

(4) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، إخباره ﷺ عمَّا يكون في أمته/ ذكر الإخبار عن وصفِ الأمن الذي يكون فيه الناس بعد قَتْل ابن مَرْيَمَ الدَّجَّالَ، 225/15: رقم الحديث 6814]، صححه الألباني.

(5) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج752/1).

(6) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن (ج3139/5–3140).

يقول الزمخشري في تفسيره كلاماً جميلاً: "إن هذه السورة بما تضمنته من معانٍ قد أوحي الله إليك مثله في غيره من السور، وأوحاه إلى من قبلك من الرُسل في جميع الكتب السماوية، لما فيها من التنبيه والتبليغ واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين"[1].

(1) الزمخشري، الكشاف (ج208/4).

المطلب الثالث

مقاصدُ الوَحْيِ الإلَهِيّ

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: 7-10].

- **المعنى الإجمالي:**

وهكذا أوحينا إليك يا محمد بلسان العرب؛ لأن الذين أرسلت إليهم قومٌ عرب؛ وليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره، فنحن لا نرسلُ رسولاً إلا بلسان قومه؛ لتُبينَ لمكة ومن حولها من سائر الناس، وتُنذرهم عقاب الله يوم الجمع لموقف الحساب والعرض الذي لا شك فيه، منهم فريق في الجنة وهم المؤمنون، ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها وهم الكفار، كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به الرسول[1].

ويخبر الله تعالى أن عنده من اللطائف والقدرة، ما لو شاء لجَعلهم جميعاً أمةً واحدة وعلى دين واحد، وأراد الله بذلك مشيئة الاختيار، ولو أعطى الكل لآمنوا جميعاً عن اختيار، لكنه سبحانه لم يشأ ذلك، لما علم منهم أنهم لا يرغبون في ذلك، وإن أعطى ذلك فهذا رحمة منه وفضل، لا أنهم يستوجبون ذلك ويستحقونه، والظالمون لن تنفعهم شفاعة الأولياء والأنصار من عقاب الله، بعد أن اتخذوا من دونه أرباباً وقد فعلوا، وإنَّ أوثانهم لا تُحيي الموتى والله قادرٌ على غير ذلك مما يريد سبحانه، ثم أمر الله نبيه بأن يخبر الناس إن تنازعوا في شيءٍ فليردوه إلى الله، ليقضي فيه بما يشاء، وأن يقول لهم هو ربي وإلهي توكلت عليه في أموري، وإليه أرجع وأتوب[2].

---

(1) يُنظر: الطبري، جامع البيان (ج504/21).

(2) يُنظر: ابن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج6563/10)، والماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج105/9).

- **المناسبة بين الآيات:**

"بعد بيان كون الله هو الرقيب على أحوال المشركين ذكر توجيهات لنبيه والمؤمنين، وهي إنزال القرآن بلغة العرب، وقسمة الناس في الآخرة فرقتين وجعل الإيمان اختياراً لا جبرياً"[1].

ولكنَّ ابن عاشور له رأيٌ في ذلك فيقول في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] عطفٌ على قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى: 3]، باعتبار المغايرة بين المعطوفة والمعطوف عليها بما في المعطوفة من كون المُوحى به قرآناً عربياً، وما في المعطوف عليه من كونه من نوع ما أوحى به إلى الذين من قبله، وأُعيد وكذلك أوحينا أي عليه قرآناً عربياً؛ لِمَا حجز بينهما من الفصل وأصل النظم[2].

- **المفردات اللغوية:**

1- أولياء: "في أسماء الله تعالى الولي هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها"[3].

2- أنيب: قال الراغب الأصفهاني النَوْب: رجوع الشيء مرةً بعد أخرى، وهنا بمعنى الرجوع إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل[4].

- **فائدة:**

- **سميت مكة بأم القرى لثلاثة وجوه:**

1- لما منها دُحيت سائر الأرَضين والقرى، أي: أنها أول القرى التي وجدت على المعمورة.

2- لأنها أول بيت وضع للناس، وأول بناء بُني في الأرض.

3- سُميت بذلك؛ لأن الناس يؤمونها، ويقصدونها بالزيارة[5].

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج30/25).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج35/25).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج406/15).

(4) يُنظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج827/1).

(5) يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج105/9).

- **سُمي يوم الجمع بهذا الاسم لأقوال:**

1- تُجمع فيه الخلائق.

2- يُجمع فيه بين الأرواح والأجساد.

3- يُجمع فيه بين كل عاملٍ وعمله[1]، وقيل: "يُجمع الظالم بالمظلوم"[2].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ إن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه، فهذه الآية تدل على كونه رسولاً إلى هؤلاء خاصة، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: 28]، يدل على كونه رسولاً إلى كل العالمين[3].

وفيها مجاز مرسل أي: لتنذر أهل مكة[4].

2- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تقديم الجار والمجرور؛ لتخصيصه بالألوهية وإفراده بالعبادة، فهو وحده القادر على كل شيء[5].

3- قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي للتوكيد والحصر، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، فتقديم الجار والمجرور؛ ليبين أن التوكل لا يكون إلا على الله وحده.

4- قوله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾" التفاتٌ في العدول عن ضمير الغائب إلى ضمير العظمة"[6].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-القرآن كتابُ الله الخالد:

قال تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: 7]، إنه كتاب رب العالمين، نزل على رسوله الأمين، بلسانٍ عربي مبين، من تمسَّك به نجا، ومن تركه هلك، هو الحبل المتين، والسراج

---

(1) يُنظر: الزمخشري، الكشاف (ج210/4).

(2) يُنظر: الشوكاني، فتح القدير (ج603/4).

(3) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج580/27).

(4) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج29/25).

(5) يُنظر: الشوكاني، فتح القدير (ج604/4).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج35/25).

المنير، ولو أن الأمة طبَّقت كتاب ربها، واعتصمت به؛ لشفاها الله من الأدواء والأوباء، ولمَّا كانت كالقطيع يأكل بعضه بعضاً كان لابد من العودة للدين، فالقرآن عِزُّ المسلمين وسَببُ رفعتهم، من أدَّى ما فيه أعزه الله، ومن ترك ما فيه أذَّله الله.

وإنَّ المتأمل في كتاب الله يجد أنَّه اشتمل على ما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته، فما من خيرٍ إلا ودلَّه عليه، وما من شرٍّ إلا وحذَّره منه[1]، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

قال إبراهيم الخوّاص[*]: "دواء القلب في خمسة أشياء، قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السَحَر، ومجالسة الصالحين"[2].

2-مكةُ أمُّ القرى:

قال تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الشورى: 7]، يقول سيد قطب في هذه الآية: "جاء الإسلام ليُنقذ البشرية كلها مما انتهت إليه من انحلالٍ وفسادٍ، واضطهاد وجاهلية عمياء في كل مكان معمور، ولم يكن هنالك بدٌ من أن يسيطر الإسلام لتحقيق هذه النقلة الضخمة في حياة البشر، فكان لا بد من أرضٍ حرة لا سلطان فيها لأي امبراطورية، وأن ينشأ نشأة حرة لا تسيطر عليها قوةٌ خارجة على طبيعته، فكانت الجزيرة العربية، وأم القرى وما حُد لها بالذات، هي أصلح مكان على وجه الأرض لنشأة الإسلام، ونقطة البداية للرحلة العالمية التي جاء من أجلها"[3].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آلِ عِمْران: 152]، ذكر الله مكة في القرآن الكريم بالباء بكة، قال بعض العلماء: جرت لغة العرب أن الباء تحل بدلاً من الميم مثال قولهم: طين لازب أو طين لازم، والصحيح في أن اسمها بكة يطلق على

---

(1) المغذوي، الدعوة إلى التمَسُك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم (ج18/1).

(*) إبراهيم الخوّاص: هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، يكنى بأبي إسحاق، هو أحد شيوخ الصوفية، يُذكر بالتوكل وكثرة الأسفار لمكة، مات بالرَّي وبها قبره سنة284 هـ، وقيل:291 هـ. يُنظر: مجموعة من العلماء، تاريخ بغداد وذيوله، (ج10،8/6).

(2) الحسينان، هكذا كان الصالحون (ج58/1).

(3) قطب، في ظِلال القرآن (ج3143/5).

مكة كلها[1]، ومن خصائصها أن الله –جلَّ وعلا– حرّمها يوم خلق السموات والأرض، ومن أعظم دلائل اصطفاء الله لتلك البقعة، قول صفية بنت شيبة[*]، قالت: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يخطب عام الفتح فقال: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السماوات وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا يَأْخُذُ لُقْطَتَهَا إِلَّا مُنْشِدٌ" فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِلَّا الْإِذْخِرَ، فَإِنَّهُ لِلْبُيُوتِ وَالْقُبُورِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "إِلَّا الْإِذْخِرَ**"[2].

فمن محارمها أنه لا يُعْضَد شجرها فلا يقطع وهو نفيٌ بمعنى النهي[3]، وكذلك لا يأخذ لُقْطَتَها إلا مُنْشِد، وهي بمعنى مُعَرّفٌ بها الناس، واستثنى النبي –صلى الله عليه وسلم– من أخذ اللقطة إذا كانت الإذخر فلا شيء في أخذه، ومعنى الإِذْخَر: "بكسر الألف والحاء وهو نبتٌ يكون بمكة، وهو في مجمل اللغة يعني: حشيشةٌ طيبةٌ وبالفارسية كَوْم"[4].

ولم يُحِلْ الله –جلَّ وعلا– مكة لأحد من الخلق إلا لنبيه –صلى الله عليه وسلم– ساعةً من نهار، وذلك يوم الفتح، ولما انتهى الفتح ردَّها الله حراماً.

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: لما فتح الله تعالى على رسوله –صلى الله عليه وسلم– مكة، قام رسول الله فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "**إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ، ثُمَّ هِيَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**"[5].

---

(1) يُنظر: المغامسي، أعلام القرآن (ج12/4).

(*) صفية بنت شيبة: هي بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان، وكانت تُدْعى أمّ حُجَيْر وأمها بَرَّة بنت سفيان بن سعد، وقد روت عن أزواج رسول الله وغيرهن. يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج469/8).

(2) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، المناسك/فضل مكة، 1038/2: رقم الحديث 3109]، حسَّنه الألباني.

(3) يُنظر: أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج415/2).

(4) النسفي، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية (ص35).

(5) [أبو داود: سنن أبي داود، تحريم حرم مكة، 212/2: رقم الحديث 2017]، صححه الألباني.

وفي قول النبي السابق نستدل أن فتح مكة كان عَنْوَة، ومما يدلل على ذلك أنه –صلى الله عليه وسلم– أمر بقتل مقيس بن صبابة، وابن خطل، وجاريتين، ولو فُتحت صُلْحاً، لما أمر بقتل أحدٍ من أهلها، ولكان ذِكْرُ هؤلاء مستثنىً من عقد الصُلح[1].

ومن أحكامها أن هذا البيت الحرام لا يسلط عليه كافر إلى قيام الساعة، ولهذا فإن الحملات الصليبية دخلت بيت المقدس، واقتحمت الشام مع فضل الشام وما جاء فيه، لكن لم تستطع أن تصل إلى مكة ولن تستطيع؛ لأنَّ مكة بيضة الإسلام، وهذا العهد قد أعطاه الله لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–[2].

ومن آياتها الدالة على هيبتها:

- أنه لا يرى البيت الحرام أحدٌ ممن لم يكن قد رآه من قبل، إلا ضحك أو بكى.
- هيبتها في القلوب، وإذعان النفوس لتوقيرها دون ناهٍ ولا زاجر.
- كونها بوادٍ غير ذي زرع، والأرزاق من كل قُطْرٍ تُجبى إليها من قربٍ ومن بعد.
- إجابة الدعاء حالاً.
- حفظ الله تعالى الحجر الأسود من الضياع منذ أُهبط إلى الأرض.

وهذه الآيات وغيرها ما هي إلا عن تجاربٍ وقعت لجماعة من أهل العلم، وليس فيها نصٌ عن الشارع –سبحانه وتعالى–[3].

---

(1) يُنظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (ج110/3).

(2) يُنظر: المغامسي، أعلام القرآن (ج13/4).

(3) يُنظر: القنوجي، رحلة الصديق إلى البلد العتيق (ج21/11–22).

ويقول الحَسَنُ بن يَسار(*) في فضلها: وما أعلم بَلْدَةً يحشر الله تعالى فيها يوم القيامة من الأنبياء والأصفياء والأتقياء والأبرار والصالحين والعلماء والأخيار والأحبار من الرجال والنساء ما يحشر الله تعالى من مكة، وإنهم يحشرون آمنون من عذاب الله(1).

3- لله الأمر من قبلُ ومن بعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: 10]، يقول صاحب كتاب شرح الأصول: "هذه الآية ردٌ على الذين يرمون الشريعة الإسلامية بالقصور والنقص من الملاحدة والزنادقة، وأنصاف المتعلمين الذين قصرت أفهامهم عن إدراك أسرار هذه الشريعة، وما علموا أن القصور من أنفسهم، فقالوا بأنها لم تتناول حاجات العباد ومصالحهم إلى أن تقوم الساعة، وادَّعوا أنها مخصوصة بالزمان الأول، فكثيراً منهم إذا قيل لهم هذا الحكم الشرعي قالوا: هذا زمان الرسول، أما الآن فقد تغيرت الأحوال وتبدلت الأمور، وما دَرَوْا أن هذا كفرٌ بالله وتكذيبٌ برسوله، لقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾ [المَائِدة: 3]، أكمل الله الدين لهذه الأمة إلى أن تقوم الساعة لكل زمان ومكان ولكل جيل"(2).

إذن بعد هذه الآية لا مجال للمزايدة على الدين والتشكيك والتلبيس، بأنها لا تصلح لأهل الزمان المتأخر، فالله أصدق القائلين -سبحانه- حيث قال: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: 3]، وهذه آخر ما نزل على النبي -ﷺ-، وهذه شهادة من رب العالمين بالكمال والشمولية والصلاحية لكل زمان ومكان.

فالله الذي يعلم ما يُصلِح عباده من التشريعات فيُشرِّع لهم، فهو الرب وهم العباد الذين وجب عليهم قبول أحكامه، والمصلحة عائدة إليهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: 59].

(*) الحسن بن يسار: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، الفقيه القارئ العابد المشهور، ولد في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، أدرك من الصحابة مائة وثلاثين، مات بالبصرة في رجب سنة 110هـ، قبل موت ابن سيرين بمائة عام. يُنظر: البخاري، التاريخ الأوسط (ج244/1)، وياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج1023/3).

(1) يُنظر: ابن يسار، فضائل مكة والسكن فيها (ج21/1-22).

(2) الفوزان، شرح ثلاثة الأصول (ج273/1).

المطلب الرابع

قدرةُ اللهِ وسُلطانه

قال الله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ [الشورى:11-12].

- **المعنى الإجمالي:**

يمدح الله نفسه بقوله: فاطر السماوات والأرض خالقهما ومظهرهما، خلق لكم من أنفسكم أزواجاً نساءً، ومن الأنعام كذلك أصنافاً ذكوراً وإناثاً للتوالد والتناسل، سبحانه ليس كمثله شيء في شأن من الشئون التي من جملتها هذا التدبير البديع"[1].

فذاته لا تماثل ذات أحد بوجه من الوجوه، فهو السميع الذي يدرك كل مسموع من كلامٍ وغيره، والبصير الذي يُدرك كل موجود برؤيته[2].

له مفاتيح السماوات والأرض، وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها، فما يفتح من رحمةٍ فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، يوسّع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه، ويبسط له، فيكثر ماله ويغنيه، ويقتر على من يشاء منهم فيُضيّقه ويفقره، فالله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه وتقتيره ذو علم لا يخفى عليه صلاح تدبير خلقه[3].

- **المناسبة بين الآيات:**

بعد ذكر الله لتزييف طريقة من اتخذ غيره ولياً، بيَّن الله في هذه الآيات صفاته الجليلة القدسية التي هي من آثار ومظاهر الربوبية، وتنزيه الله عن مشابهة المخلوقين[4].

---

(1) يُنظر: ابن عجينة، البحر المديد (ج199/5).

(2) يُنظر: أبو الفداء، روح البيان (ج293/8-295).

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان (ج511/21،512).

(4) يُنظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج124/3).

- **المفردات اللغوية:**

1- يذرؤكم: "أي يكثركم بالتزويج، يقال: ذرأ الله الخلق، والذرءُ إظهار الله ما أبرأه"[1].

2- مقاليد: أي الخزائن، ويجوز أن تكون المفاتيح، قال الزَّجَّاج: معناه أن كل شيء من السماوات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه، قال الأصمعي: المقاليد لا واحد لها[2].

3- يَقْدِر: مِن قَدَر الرزق أي قَسَمَه[3].وتعني ضيّق عليه رزقه.

4- الأزواج: جمع زوج، وهو الذي ينضم إلى فرد فيصير كلاهما زوجاً للآخر، والمراد هنا الذكور والإناث من الناس، وذلك لأجل الجميع؛ لأنَّ بذلك الجعل حصلت لذة التأنس، ونعمة النسل[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- الطباق بين كلمتي ﴿يَبْسُطُ﴾ و﴿يَقْدِرُ﴾.

2- قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ اختار لفظة ذَرَأ على لفظة خَلَقَ؛ لأنها تزيد عليها في معنى آخر لا يوجد في خَلَقَ ألا وهو: توالي الطبقات على مر الزمان[5]. أي نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن.

"وفي قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ الضمير فيها للمخاطبين والأنعام إلا أنه غلب فيه العقلاء من وجهين:

أحدهما: أن غلب فيه جانب العقلاء على جانب غير العقلاء.

والثاني: أنه غلب جانب المخاطبين على الغائبين"[6].

---

(1) الحلبي، عمدة الحفاظ (ج39/2).

(2) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (ج366/3).

(3) يُنظر: أبو حيان، التفسير المحيط (ج460/1).

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج44/25).

(5) يُنظر: الثعالبي، الجواهر الحسان (ج151/5).

(6) سراج الدين الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب (ج172/17).

وتعدي الفعل (يذرؤكم بفي) ولم يتعد بالباء؛ لأن هذا التدبير جُعِلَ كالمنبع والمعدن للبثِّ والتكثير[1].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **تنزيهُ الخالقِ عن مُشَابهةِ المَخلوقِين:**

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، الله جل جلاله في عظمته وكبريائه وملكوته، وحسن أسمائه وعليّ صفاته، لا يُشبه شيئاً من مخلوقاته، ولكن ما أُطلق على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي.

إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فصفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى مُنزه عن ذلك، بل لم يزل بأسمائه وصفاته[2].

وهذه الآية تشمل قسماً من أقسام التوحيد ألا وهو: توحيد الأسماء والصفات، يقول صاحب الإرشاد: "ويعني إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من صفات النقص، وهذا ما جحده الجهمية وتلاميذهم، والمعتزلة والأشاعرة"[3].

والله يرد عليهم في كتابه العزيز فيقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].

فالله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى، وأمر أن يُدعى بها، وتوعَّد الذين يلحدون فيها بالنفي أو التأويل عن معانيها الحقيقية بأنه سيجزيهم بالعقاب والعذاب.

قال الشافعيُّ رحمه الله: "وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فهو الله تعالى على العرش كما أخبر بلا كيف، بائنٌ من خلقه، غير محاسّ من خلقه"[4].

---

(1) يُنظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (ج245/2).

(2) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج8/16).

(3) الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ج142/1-144).

(4) الشافعي، تفسير الإمام الشافعي (ج1241/3).

وموقفنا نحن أهل السنة والجماعة من هذه الأسماء والصفات أننا نؤمن بها جميعاً، وأنه ليس فيها نقص من أي وجهٍ من الوجوه، نثبتها كما أثبتها الله لنفسه، أو أثبته له رسوله–صلى الله عليه وسلم–من غير تعطيل ولا تكييف ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تشبيه، وهذا ما ندين الله به ونلقى الله به عند العرض.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (13-19)

المطلب الأول

وِحْدةُ الأديانِ في أُصولِهَا

قال الله تعالى: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى: 13-14].

- **المعنى الإجمالي:**

إنَّ من نعم الله سبحانه على عباده أنَّه شرع لهم ديناً هو دينه الذي ارتضاه لهم، وقد وصَّى به نوحاً، وهو الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- وحياً من ربه، وهو ما وصَّى به الله -سبحانه- الأنبياء من قبله إبراهيم وموسى وعيسى -عليهمُ السلام- بأن يقيموا الدين بتبليغه لأقوامهم، وأن يكونوا جميعاً على هذا الدين وألا يتفرقوا فيه، فيكون لكل نبي ولكل قوم دين، فإن دين الله واحد وهو الإسلام، لكن المشركين عظم وشَقَ عليهم اتباعه، فيخبرهم الله بأنه يَصطفي من يشاء من عباده بالهداية والإنابة[1].

وما تفرق أهل الكتاب إلا عن علمٍ منهم بأن الفرقة ضلالة، ففعلوا ذلك التفرق؛ بغياً منهم بطلب الرِّياسة وشدة الحميَّة، ولولا تأخير الله العقوبة إلى أجلٍ مسمى يوم القيامة، لوقع القضاء بينهم بإنزال العقوبة بهم مُعَجَّلة، وإن اليهود والنصارى الذين ورثوا الكتاب لفي شك من القرآن ومحمد -صلى الله عليه وسلم- ولذلك لم يؤمنوا بهما[2].

---

(1) يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج27/13).

(2) يُنظر: الشوكاني، فتح القدير (ج607/4).

- **المناسبة بين الآيات:**

"بعد أن عظَّم الله وحيه إلى نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [الشورى: 3]، وبعد أن عدَّد الله تعالى نعمه على الناس، فصَّل أمر الوحي، وذكر نعمته العامة وهو ما شرع لهم من العقيدة المتفق عليها من توحيد الله وطاعته، وذكر أن المشركين يشق عليهم دعوتهم إلى التوحيد وترك الأوثان، ولولا القضاء الإلهي السابق بإمهالهم وتأخير عذابهم، لعُجلت لهم العقوبة في الدنيا"[1].

- **المفردات اللغوية:**

1- شَرَعَ: شرع الدين يشرعه شَرْعاً أي سَنَّه، قال ابن الأعرابي: شرع لكم من الدين أي أظهر، وقال الأزهري: معنى شرع بَيَّن وأَوضح[2].
2- يجتبي: جِبَى بالكسر مقصوراً وهو: الماء المجموع في الحوض للإبل، قال الكسائي: جبَيتُ الماء في الحوض وجَبَوْتُهُ، أي: جمعته واجتباه: أي اصطفاه[3]، وهو التقريب والاختيار، لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ [الأعراف: 203][4].
3- كَبُرَ: كُبْرُ كل شيءٍ عِظمه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ [النور: 11]، يعني عظم هذا القذف، فإذا أردت الأمر العظيم قلت: كَبُرَ علينا كُبارة[5].

- **الجوانب البلاغية:**

1- "خُص الأنبياء الخمسة بالذكر؛ لأنهم أكابر الأنبياء، وأصحاب الشرائع العظيمة، والأتباع الكثيرة"[6]. ولأنهم أصحاب العزم من الرسل خصهم بالذكر.

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج39/25).
(2) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (ج176/8).
(3) يُنظر: الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2298/6).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج55/25).
(5) يُنظر: الفراهيدي، العين (ج362،361/5).
(6) الرازي، مفاتيح الغيب (ج587/27).

2- اختلف العلماء في وجه الآية ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ "فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقال الحَكَم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات، وقال مجاهد: لم يبعث الله نبياً إلا وصّاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والإقرار لله بالطاعة له"[1].ويمكننا الجمع بين المعاني، ففيها التوصية بإقامة الشريعة والحكم بها بين الناس.

3- تنكير كلمتي (كلمةٌ، أجلٌ) للتنويع، فالأولى نُكِّرت؛ لأنَّ لكل فريق من المتفرقين في الدين كلمةً من الله في تأجيلهم، والثانية؛ لأنَّ لكل أمةٍ من المتفرقين أجلاً مسمىً، فهي آجالٌ متفاوتةٌ في الطول والقِصَر، ومختلفةٌ بالأزمنة والأمكنة[2].

4- خص نوحاً -عليه السلام- بقوله: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾؛ لأنَّه أول الأنبياء من أصحاب الشرائع، شُرِعت له المحارم وفُرضت له الفرائض، وحُرِّم عليه الأمهات والبنات والأخوات[3].

5- قوله تعالى: ﴿وَصَّىٰ﴾: "بمعنى أمر للاعتناء بشأن المأمور به وتأكيده"[4]:وقد تأتي بمعنى ألزم.

6- التعريف في﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ تعريف للجنس، وهو يعمُّ الأديان الإلهية السابقة، ومِنْ للتبعيض[5].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-تأخيرُ العذابِ حكمةٌ إلهيةٌ:

إنَّ المتأمل في حال أمتنا الإسلامية اليوم، يجدها قد تنكبت طريق الهداية، وضلَّت طريق الرشاد، فحين يؤخر الله عذاب الكافرين، لا يعني ذلك بأنهم قد أعجزوا الله، -حاش لله-، بل لأنه -

(1) البغوي، معالم التنزيل (ج187/7).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج57/25).
(3) يُنظر: القنوجي، فتح البيان (ج283/12).
(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج37/25).
(5) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج50/25).

سبحانه– له حكمةٌ في ذلك يقول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46].

فتأخير العذاب سنةٌ كونيةٌ قد تتخلف حسب إرادة الله وقدرته، عن أبي موسى –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**" قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102][1].

ويقول الشيخ الشعراوي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الشورى: 14]، "لا تعتقدوا أن تأجيل العذاب ليوم القيامة يعني الإفلات منه، كل واحد سيوفَّى جزاء عمله، بالثواب لمن أطاع، وبالعقاب لمن عصا، فأمرُ الله آتٍ لا محالة وتوفية الجزاء على قدر الأعمال، كفراً أو إيماناً، صلاحاً أو فساداً، وميعاد ذلك يوم القيامة"[2].

فهذه البشرى للمستضعفين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين ذاقوا ويلات الظلم والقتل والسبي، وفيها سلوى لهم بأن الله قادر على الظالمين لكنه يؤجلهم ليومٍ يأخذهم فيه أخذَ قويٍ شديدٍ لا يستطيعون ردَّه بكل ما جمعوا وأُوتوا من قوةٍ وسلطان.

فقد اقتضت حِكمة الله في نظام هذا العالم تأخير مؤاخذتهم إلى أجلٍ لهم، فربما أخرهم ثم عذبهم في الدنيا، وربما أخرهم إلى عذاب الآخرة، وكل ذلك يدخل في الأجل المسمّى[3].

2–هلاكُ الأمَّةِ باختلاف وفُرْقة الأئمة:

قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: 13]، توعّد الله المختلفين المتفرقين على دينهم بالهلاك، حيث قال جلَّ في عُلاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]، ففي الآية تهديدٌ ووعيدٌ لهم إن استمروا على تفرقهم.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قوله (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة)، 74/6: رقم الحديث 4686].

(2) الشعراوي، الخواطر (ج6699/11).

(3) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج57/25).

وقد نزلت الآية في اليهود والنصارى اختلفوا قبل الإسلام،واختلفوا بعده، واختلفوا فيما بينهم، وحكم الله فيهم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بريءٌ منهم وممن تنازع وتفرق فيما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، لابد للطائع لربه ولرسوله أن يبتعد عن النزاع مع إخوته المؤمنين؛ لأن التنازع هو تعاند القوى، فبذلك التنازع تهدد طاقة المؤمنين بعضهم البعض، فجاء الأمر الإلهي بأن يكونوا يداً واحدةً على من عاداهم وحاربهم[1].

فالتنازع سبب الفشل، وذهاب القوة، "أما المنازعة بالحُجَّة لإظهار الحق فجائزة، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: 125]، بل هي مأمورٌ بها بشروطٍ مقررة"[2].

إنَّ المتأمِّل في الآية يرى أن الفرقة التي آل إليها أهل الملل والأديان، إنما جاءت بعد العلم بالدين الواحد والملة المتحدة، وأن سبب هذه الفرقة بين الملل لم يكن نابعاً من أصل الدين الصحيح، وإنما هو ناشئ عن تأثير المصالح والشهوات التي سيطرت على أتباع الديانات، فالفُرقة من صنع الناس لا من وحي الدين، وإنَّ الحيرة التي تجلَّت في مواقفهم المتناقضة تعود إلى ما ورثوه عن أسلافهم في الدين من خلافات واختلافات، أدت بهم إلى الشك في نفس الكُتب التي أنزلت عليهم نظراً لما أصابها من التحريف والتأويل والتدليس[3].

---

(1) يُنظر: الشعراوي، الخواطر (ج8/4723–4724).

(2) القِنَّوجي، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص313).

(3) يُنظر: الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (ج5/444).

المطلب الثاني

الأمرُ بالدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى

قال الله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: 15].

- **المعنى الإجمالي:**

بدأ الله الآية بأمره لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– بأن يدعُ لهذا الدين المستقيم، وأن يثبت عليه وفق ما أمره به، ولا يتبع أهواء المخالفين له الباطلة، وأن يقول لهم عند المجادلة: آمنت بالله وبالكتب التي أنزلها على رسله، وأمرني ربي أن أحكم بينكم بالعدل، فالله ربي وربكم هو المستحق للعبادة، ولكلٍ منَّا عمله إن خيراً أو شراً، لا جدال بيننا وبينكم بعد أن تبينت الحجة، واتضحت المحجة، الله يجمع بيننا جميعاً، وإليه المآل والمرجع يوم القيامة، فيجازي كلاً منا بما يستحقه[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

لما أثبت الله زيغ أهل الكتاب والمشركين في عدم اتباعهم للبشارة في كتبهم برسالة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وعدم امتثالهم لأوامر الله في كتابه، أمر الله نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– بإبلاغ الناس ما ينفعهم عن رسالة ربه الذي أنزل تلك الكتب في آية واحدة مفصَّلة بعشر كلمات (فلذلك) أي: لهذا الوحي العليّ الذي وصَّينا بمقاصده جميع الرسل أصحاب الشرائع من أولي العزم، فادعُهم إلى الملة الحنيفية، وأخبرهم يا محمد بأنك مُرْسلٌ إلى الخلق جميعاً[2]

- **المفردات اللغوية:**

1– فَلِذلك: اللام في موضع إلى، أي: فلذلك الائتلاف والاتفاق على الملة الحنيفية ادع الناس واستقم وداوم عليه[3].

---

(1) يُنظر: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن (ج484/1).

(2) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر (ج272/17).

(3) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج43/25).

2- لا حُجَّةَ: "الغلبة بالحُجَّة يقال: (حَجَّه) يَحُجُّه حجَّاً إذا غلبه على حجته. وفي الحديث (فحجَّ آدمُ موسى) أي غلبه بالحجة"[1]. وقد ذكر الكشاف في معنى قوله تعالى: ﴿**لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ**﴾ "أي لا خصومة؛ لأنَّ الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المُحاجة ومعناه: لا إيراد لحجةٍ بيننا"[2].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قال الشوكاني في تفسير الآية: "في الكلام تقديم وتأخير والمعنى: كبر على المشركين ما تدعوهم إليه فلذلك فادع واستقم"[3]. لكني أرى أنه لا حاجة لقولنا بالتقديم والتأخير؛ لأنَّ المعنى بيّنٌ في الآية، فالله أبلغ نبيه بأن شريعته كشريعة إخوانه من الأنبياء السابقين وقد كذَّب بها الأولون، وكذلك الآخرون فلا يَغرنَّك هذا التكذيب من عدم دعوتهم، بل ابقَ على دعوتك لهم، وإن لم تَرَ منهم استجابةً فهذا حالهم قديماً وحاضراً ومستقبلاً.

2- قال ابن كثير -رحمه الله-: "اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كلٌ منها منفصلةٌ عن التي قبلها لها حُكْمٌ برأسه، وقد قالوا: لا نظير لها سوى آية الكرسي فإنها أيضاً عشر فصول كهذه"[4].

3- أُمِرَ بالاستقامة وهو عليها من باب الأمر بالدوام والثبوت، والخطاب للرسول وأصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر الأمَّة من بعده[5]، والكاف في ﴿**كَمَآ أُمِرْتَ**﴾ للتشبيه، وهي في موضع الحال من الاستقامة، ومعناها تشبيه الاستقامة المأمور بها بما أُمِر به النبي -صلى الله عليه وسلم- لكون الاستقامة مماثلةٌ لسائر ما أمر به، وهو تشبيه المُجْمل بالمُفصَّل، كما يقال: كُنْ كما أنت، أي لا تتغير ولْتُشْبِه أحوالُك المستقبلَة حالَتك هذه[6].

---

(1) مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج460/5).

(2) الزمخشري، الكشاف (ج216/4).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج608/4).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج195/7).

(5) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج220/6).

(6) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج176/12).

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **لا نجاة إلا بالاستقامة:**

قال تعالى: ﴿**وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ**﴾ [الشورى: 15]، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ – وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ – قَالَ: "**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**"، قال القاضي عياض –رحمه الله–: "هذا من جوامع كلمِه –صلى الله عليه وسلم– ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ**﴾ [فصلت: 30]، أي: وحَّدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا، فلم يحيدوا عن التوحيد، والتزموا طاعته إلى أن تُوفوا على ذلك"[1].

الاستقامة: هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيِّم من غير تعريجٍ عنه يمنةً ولا يَسرة، ويشمل فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، حيث يقول الله –عزَّوجل– في كتابه العزيز: ﴿**فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ**﴾ [فصلت: 6]، فيها إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الإستقامة[2]، وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أنَّ الناس لن يطيقوا الاستقامة حق الاستقامة، فعن ثوبان، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**"[3].

فالاستقامة اتباع الحق، والقيام بالعدل، وملازمة المنهج المستقيم من الإتيان بجميع المأمورات، وذلك خَطْب عظيم لا يطيقه إلا من استضاء قلبه، وتخلّص من الظُّلُمات، وأيَّده الله من عنده، وقليلٌ ما هم.

فالاستقامة أصلُ كلِ خيرٍ، وهي المنجّيةُ من المعاصي، وعاصمةٌ للمسلم من الوقوع في الزلل، حيث عرَّف كثيرٌ من العلماء الاستقامة فقالوا: "هي روحٌ تحيا بها الأحوال كما تربو للعامة عليها الأعمال، وهي برزخٌ بين أوهاد التفرق وروابي الجمع"[4].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/جامع أوصاف الإسلام، 65/1: رقم الحديث 38].

(2) صقر، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (ج401/1).

(3) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الطهارة وسننها/المحافظة على الوضوء، 101/1: حديث رقم277]، صححه الألباني.

(4) الهروي، منازل السائرين (ص43).

إنَّ الاستقامةَ كلمةٌ جامعةٌ، آخذةٌ بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال، والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله، قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا صاحب الكرامة، فإن نفسك متحركةٌ في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة[1].

وأصل الاستقامة في ثلاثة: اتباع الكتاب والسنة، ولزوم الجماعة، واعلم أن أنجى طريق للعبد العمل والعلم، والتحرُّز بالخوف والغنى بالله –عزَّوجل–[2].

إنَّ حال شباب المسلمين اليوم يُبْكي كل من سمع به ورآه، ألهتهم ملذات الدنيا عن طريق الهداية والاستقامة، وتركوا الأخذ بمنهج الله، وغرَّتهم الأمانيُّ وحِيل الشيطان عن دينهم، وما علموا أنهم لن ينالوا السعادة واللذة إلا بالاستقامة على منهج الله، فالكل ينشد السعادة على طريقته، فالمؤمن العابد الذي يعلم أن غاية وجوده على الأرض تحقيق كمال العبودية لخالقه، لا يتوانى عن هدفه بكثرة القيام بالأعمال الصالحة، والاستقامة على أمر الله بالتوحيد، ومخالفة هوى النفس واتباع كل سُنَّة، والابتعاد عن كل بدعة.

"فكل ملذات الدنيا وشهواتها متعلقة بالنفس، وهي تَبْطُل بالموت، ولكنَّ معرفة الله واللذة بقربه متعلقة بالقلب فلا تبطل بالموت؛ لأنَّ القلب لا يهلك بالموت، بل تكون لذَّته أكثر، وضوؤه أكبر"[3].

---

(1) يُنظر: ابن القيّم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج106/2).

(2) يُنظر: المحاسبي، رسالة المسترشدين (ص129–130).

(3) الغزالي، كيمياء السعادة (ص140).

المطلب الثالث

دَحْضُ حُجَّةِ المُجَادِلِين

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾ [الشورى: 16-17].

- **المعنى الإجمالي:**

إنَّ الذين يحاجون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له، ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه، ومن بعد ما استجاب الله لرسوله -صلى الله عليه وسلم- وأيَّده بنصره، وبعدما استجاب أهل الكتاب له بأن أقروا بنبوته -صلى الله عليه وسلم-، واستفتحوا به وكانوا يقولون للمؤمنين كتابَنا قبل كتابكم، ونبيَنا قبل نبيّكم، ونحن خيرٌ منكم وأولى بالحق، فهؤلاء حجتهم زالَّةٌ زائلةٌ باطلة، ولا أصل لها، فعليهم غضبٌ عظيم من ربهم؛ لمكابرتهم عن الحق بعد ظهوره، ولهم عذابٌ شديدٌ لا قدرة لهم عليه[1].

ولما أنحى الله القول على الذين يحاجون في توحيد الله ويَرُومون إطفاء نوره، صدع في الآية الثانية بصفة من أنزل الكتاب الهادي للناس، متلبساً بالحق والعدل، وما يدريك يا محمد لعل أجل الساعة قريب من المشركين وعيدها وأجلها[2].

- **المناسبة بين الآيات:**

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ﴾ [الشورى: 16]، عطفٌ على جملة ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: 15]، وهو يقتضي انتقال الكلام، فلما استوفى حظَ أهل الكتاب في شأن المحاجة معهم، رجع إلى المشركين في نفس الشأن، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾، وتغييرُ الأسلوب بالإتيان بالاسم الظاهر الموصول (الذين)، وكون صلته

(1) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج28/8).

(2) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج31/5).

مادة الاحتجاج مُؤْذِنٌ بتغيير الغرض في المُتَحدِّثِ عنهم مع مناسبة ما أُلحق به من قوله ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾ [الشورى: 18][1].

- **المفردات اللغوية:**

1- داحِضَة: من الدَحْض، وهي بمعنى: باطلة زائلة، يقال: أدحضت فلاناً في حجَّته فدَحَضَ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ﴾ [الكهف: 56]، وأدحضت حجَّته فدحضت وأصله من دحض الرَّجل[2]. يقول وهبة الزحيلي: "حُجَتهم لا ثبات لها، كالشيء الذي يزلّ عن موضعه، وسميت دعاويهم الزائفة وأباطيلهم حجَّة ودليلاً؛ مجاراةً لهم على زعمهم"[3].

- **الجوانب البلاغية:**

1- سُمي العدل بالميزان؛ لأنَّ الميزان آلةُ الإنصاف والعدل، وقال قتادة: العدل فيما أُمر به ونُهي عنه، وقيل: إنَّه الميزان نفسه الذي يُوزن به، أُنزل من السماء وعُلّم العباد الوزن به؛ لئلا يكون بينهم تظالم، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [الحديد: 25][4]. وهذه الأقوال متقاربة في المعنى ولا وجه لتخصيص أوترجيح إحداها على الآخر.

2- قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ لِمَ جاءت قريب وليست قريبة مع أن الساعة مؤنثة؟ ذلك؛ لأن تأنيث الساعة ليس بحقيقي، لأنها بمعنى الزمان والوقت، ويجوز كونها بمعنى البعث والنشور، فتكون الكتابة راجعةٌ إلى المعنى[5].

---

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج65/25).
(2) يُنظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص308).
(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج47/25).
(4) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج15/16).
(5) يُنظر: السَّمعاني، تفسير القرآن (ج70/5).

3- قدَّم ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ للاهتمام بوقوعه عليهم، وكذلك ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وتنكير كلمتي الغضب والعذاب للدلالة على شدَّتهما[1].

4- قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ كل موضع ذكر بهذا اللفظ في القرآن لم يُعقّب ببيانه، والدَّراية لا تستعمل في حق الله تعالى، أما قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد عُقِّب ببيانه، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: 10-11][2].

- **أسباب النزول:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 16]، ذكر الطبري أن هذه الآية نزلت في قومٍ من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في دينهم، وطمعوا أن يصدوهم عنه، ويردُّوهم عن الإسلام إلى الكفر، وقد ذكر الرواية ابن عباس فقال فيها: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين، ويصدونهم عن الهدى بعد استجابتهم لله[3].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **الساعةُ حقٌ لا ريبَ فيها:**

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17]، قال ابن كثير في الآية: "ترغيب فيها، وترهيب منها، وتزهيد في الدنيا"[4].

وقد أكثر الله من ذكر الساعة والوعيد بها في كثير من الآيات؛ للتأكيد على أحقيّتها وثبوتها وأنها من الأمور اللازمة والمسلَّم بوقوعها حيث يقول سبحانه: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾ [النحل:

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج66/25).
(2) يُنظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز (ج597/2).
(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان (ج519/21).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج197/7).

1]، لما استعجل المشركون ما وُعِدوا به من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاءً وتكذيباً بالوعد نزلت هذه الآية؛ لبيان أن الآتي هو الواقع وإن كان منتظر القرب وقوعه[1].

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: سَمِعْتُ مِنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ: كَهَاتَيْنِ**" وقَرَن بين السبابة والوسطى[2].

إنَّ هذا الحديث مما أنذر النبي -صلى الله عليه وسلم- به أمته، وعرَّفهم بقرب الساعة كي يتوبوا قبل أن يهجم عليهم وقت غلق باب التوبة حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل[3].

فحريٌّ بالمسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، ألا ينكر وقوعها، فهي مما أخفى الله علمها عن البشر، فلا يعلم بوقتها مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌ مرسل، وقد بيَّن الله وعلَّل الحكمة من إخفائها في قوله -جلَّ وعلا-: ﴿**إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ**﴾ [طه: 15].

والساعة نوعان: ساعةٌ لكلٍ منّا، وهي عمره وأجَله الذي لا يعلم متى سيكون، وساعةٌ للكون كله، وهي القيامة الكبرى، فاجعل يا مسلم يا عبد الله ذلك في بالك دائماً، فمن مات قامت قيامته، وربما لو عرف الإنسان ساعته لقال: أفعل ما أريد ثم أتوب قبل الموت، فما دُمْتَ أيُّها العبد سترجع إلى الله فاستقم وعَدِّل من سلوكك[4].

فأنت تعلم أنَّك ميّتٌ لا محالة، فلماذا التسويف والتأجيل في الأعمال؟، وقد قال بعض الحكماء كلاماً جميلاً في ذمِّ التسويف: "رَحِمَ اللَّهُ امْرِأً أَنْبَهَتْهُ الْمَوَاعِظُ، وَأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ، وَأَدَّبَتْهُ الْحِكَمُ، وَلَمْ يُغْرِرْهُ بِسَلَامَةٍ يُشْفِي بِهِ عَلَى هَلَكَةٍ، وَأَرْحَلَ عَنْهُ التَّسْوِيفَ بِعِلْمِهِ بِمَا فِيهِ مِمَّا قَطَعَ بِهِ النَّاسُ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ وَهُمْ غَافِلُونَ"[5].

ولقد كان لنا في السلف -رحمهم الله- أسوةٌ حسنةٌ، فقد كانوا يعملون للموت ويُعدُّون للساعة قبل مجيئها.

---

(1) يُنظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج202/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الطلاق/اللِّعان 53/7: رقم الحديث 5301].

(3) يُنظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج11/10).

(4) يُنظر: الشعراوي، الخواطر (ج9246/15).

(5) ابن أبي الدنيا، قصر الأمل (ص142).

فلو قيل لأحدهم: "إنك تموت هذا اليوم، لم يستطع أن يزيد في عمله، بمعنى أنَّه قد بلغ أقصى ما يمكنه من العمل والاجتهاد في الأعمال الصالحة"[1].

فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: "**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**"، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: "**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**"[2].

فالبدار البدار يا عبد الله وشمِّر للموت وكن مستعداً للقياه، فمن أحب لقاء الله، أحبَ اللهُ لقاءه.

يقول الثعالبي في تفسيرِه للآية: "ينبغي للمؤمن العاقل أن يتدبر هذه الآية ونظائرها، ويُقدِّر في نفسه أنه المقصود بها[3]، وقد قال عليٌّ بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "**ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدٍ منهما بَنُون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل**"[4].

عن أنس –رضي الله عنه–، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: **مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا". قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ". قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" قَالَ أَنَسٌ: "فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ**"[5].

---

(1) ابن جبرين، شرح الطحاوية (ج9/63).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/ باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، 89/8: رقم الحديث 6416].

(3) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (ج155/5).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/في الأمل وطوله، ج89/8].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–/مناقب عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ، 12/5: رقم الحديث 3688].

المطلب الرابع

أصنافُ النَّاسِ بالنَّظَرِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى: 18-19].

- **المعنى الإجمالي:**

إنَّ المشركين كانوا وما زالوا يتعجَّلون قدوم القيامة استهزاءً، وعناداً وتكذيباً بها، وأما المؤمنون فهم خائفون من وقوعها، ويعلمون أنها كائنةٌ لا محالة، ووقوعها حقٌ ثابتٌ لا محيد عنه، فالذين يجادلون في مجيء القيامة، ويخاصمون في شأنها، لفي بُعْدٍ وجهلٍ، ومتاهةٍ عن الحق، ولقد فتح الله لهم باب الأمل والرجاء والرحمة، وبيَّن لهم أنَّه كثيرُ اللطف بعباده، يرزقهم جميعاً بحسب مشيئته لا فرق بين بَرٍّ وفاجر، ومن غير ضعفٍ منه سبحانه فهو عظيم القوة، باهر القدرة يغلب كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

لمَّا ذكر الله أن الذين يخاصمون في الدَّين بعد الاستجابة إليه، حجتهم زائفة باطلة، أرْدفه -سبحانه وتعالى- باستعجال المشركين أنفسهم ليوم القيامة استهزاءً وإنكاراً لها، وفرّق بينهم وبين المؤمنين الذين يؤمنون بها حُكماً ويستعدون لها عملاً، بيَّن أن الذين يشكُّون فيها هم في ضلال واضح بيَّن؛ لكثرة الأدلة على وقوعها[2].

---

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج3/2333-2334).

(2) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج25/44).

- **المفردات اللغوية:**

1- يُمَارون: "ماريت الرجل أُمَاريه إذا جادلته. والمِرْيَة والمُرْيَة: الشك والجدل، بالكسر والضم، وقرئ بهما في قوله -عزَّوجل-: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [النحل: 17][1]. قال الفيروز أبادي: "المِرْية هي التردد في الأمر وهو أخص من الشك، قال تعالى: ﴿فلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾" [الكهف: 22][2].

2- مشفقون: أي خائفون منها. والإشفاق: "عناية مختلطة بخوفٍ؛ لأنَّ المُشْفِق يحب المُشفَق عليه، ويخاف ما يلحقه، فإذا عَدِي بمِنْ فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عَدِي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر"[3].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾ [الشورى: 18]، "الذين يدخل إليهم المرية والشك في وقوع الساعة لفي ضلالٍ بعيد؛ لأنَّ استيفاء حق المظلوم من الظالم واجبٌ في العدل، فلو لم تحصل القيامة للزم إسناد الظلم إلى الله، وهذا من أمحل المُحالات، فلا جرم أنَّ إنكار القيامة ضلالٌ بعيدٌ"[4].

2- قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: 18]، قال صاحب التحرير والتنوير: "في الكلام احتباك، تقديره: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يُشفقون منها، والذين آمنوا مشفقون منها فلا يستعجلون بها"[5].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج277/15).

(2) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج497/4).

(3) الحلبي، عُمدة الحفاظ (ج279/2-280).

(4) سراج الدين الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب (ج182/17).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج70/25).

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

▪ **لُطْفُ اللهِ بِعبادِهِ:**

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشور: 19]، اللطيف هو:"الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، وفي الأمور الخارجية فهو الذي يسوقه، ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر"[1].

فاللطيف: "اسم فاعل من لطف فهو لطيف، فالله –عزَّوجل– لطيف بعباده في معايشهم وأرزاقهم وهدايتهم، والألطاف التي تسَّهل عليهم طاعته وتقربهم منه، وأكثر ما يستعمل اللطف في –وصفه– الإحسان في الأمور الدينية"[2].

عن أبي هريرة: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**"[3].

يقول مصطفى عكرمة(*) في تعظيم الله ومدحه:

قدَّرتَ أرزاقَ كلِّ الخلقِ من عَدم ... وزدتَ في الرِّزقِ يا ذا الجودِ والكرمِ

أبوابُ جودِكَ ما تنفكُّ مشرعَةً ... حتى طَفَوْنا على بَحْرٍ من النِّعمَ

هذي الملايينُ مما قد خَلَقْتَ تَرى ... من حَوْلها الرِّزقَ موفُورًا على أَمَمَ

فالنَّملُ، والطَّيْرُ والأسماكُ أجمَعُها ... من عاش في النُّورِ، أو من عاشَ في الظُّلَمِ

والآدميونَ نالوا فوقَ ما سألوا ... عَبرَ الزَّمَانِ كأنَّ الكُلَّ في حُلُمِ

وكلُّ ذي مُهجةٍ في الأرضِ زاحفةٍ ... أو غيرِ زاحفةٍ تَسْعَى على قَدَمِ

تَسْعَى وللسَعي أوقاتٌ محدَّدةٌ ... ورزقُها غيرُ محدودٍ ومُنقَسمِ

---

(1) القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص117).

(2) القشيري، لطائف الإشارات (ج348/3).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيَدي﴾، 122/9: رقم الحديث 7411].

(*) مصطفى محمد عدنان عكرمة، شاعر سوري ولد عام 1943م، في قرية بابنا شرقي الحفة، انتسب إلى الجامعة مرتين –كلية الحقوق، وكلية الأدب العربي– ولم يتمكن من إكمال دراسته لظروفٍ مادية، له دواوين شعرية كثيرة منها يابلدي، محمديات، حتى ترضى.

لم ينفَدِ الرّزقُ يومًا رَغْمَ كَثرَتِها ... وربَّما قد قَضَتْ يومًا من التُّخَمِ[1]

ولا بد من الإشارة إلى أن من معاني اللطف قلة الأجزاء، وهذا لا يجوز في حق الله –سبحانه وتعالى–.

حين ينظر المسلمون من حولهم، يرون آثار اسم الله اللطيف بكل ما يحيط بهم من مخلوقاتٍ وكون، فلطفه –سبحانه– شمل الخلائق كلها، وكم من البلايا والمصائب رفعت باسم الله اللطيف، وكم من النعم أُسديت للعباد باسمه اللطيف، فليتفكر المسلم في عاقبته، وليتعبد الله في كل وقت وحين بهذا الاسم، وليعلم بأن لُطفَ الله يَحُوطه من كل جانب، فأينما توجَّه شعر بلطفه في حياته، وكل حركاته وسكناته.

إنَّ المتوهِّم بأن لطف الله عن عجزٍ أو مصانعةٍ، فليعلم بأنَّ الله قويٌ عزيزٌ، لا يَعْجِزُ ولا يُصَانِع، فإنه القوي الذي تنتفي عنه أسباب الشُّحّ، وهو العزيزُ الذي تنتفي عنه أسباب الفقر، فرزقه لمن يشاء بما يشاء، منوطٌ بحكمةٍ علمها في أحوال خلقه عامةً وخاصة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: 27][2].

(1) المزيد، تعظيم الله –جلَّ جلاله– تأملات وقصائد (ص263).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج73/25).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (20 – 53)

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (20-26)

المطلب الأول

جزاءُ مُرِيدِ الآخرةِ والدُّنيا

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: 20-21].

- **الناسخ والمنسوخ:**

اتفق العلماء على أن أول هذه الآية ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿حَرْثِهِۦ﴾ مُحْكم، واختلفوا في باقيها على قولين:

أحدهما: أنه منسوخ بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: 18]، وهذا قول جماعة منهم مقاتل، والآخر: أن الآيتين محكمتان متَّفقتان في المعنى؛ لأنه لم يقل في هذه الآية (نؤته مراده) فعُلِم أنه إنما يؤتيه الله ما أراد ويحقق هذا أن لفظ الآيتين لفظ الخبر، وهذا لا يدخله النسخ، والله أعلم[1].

- **المعنى الإجمالي:**

جعل الله الدنيا مزرعةً للآخرة، فمن زرع في دنياه حصد في أخراه، فإن زرعوا خيراً وحسناً حصدوا خيراً ونعيماً في الآخرة، وإن زرعوا شراً وسوءاً لم يحصدوا إلا الشر والسوء.

فمن تاجر في الدنيا بالخير ربح في آخرته، ومن تاجر بالشر خسرهما معاً، وأفضى به ذلك إلى العذاب الدائم، ثمَّ يخبر الله عن مريدي الدنيا بأنَّ لهم آلهة دون الله سَنُّوا لهم عبادة الأصنام التي لم يُنزل الله بها من سلطان، وهذا دَيْدَن الكفار يشرعون لأتباعهم ديناً من ذوات أنفسهم بلا

(1) الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج63/4).

حجة ولا برهان، ولولا أنَّ الله قد حكم في هذه الآية بتأخير العذاب ليوم القيامة، لقضي بينهم في الدِّين والدنيا[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

بعد أن بيَّن الله تعالى كونه لطيفاً بعباده، كثير الإحسان إليهم، رغَّب في فعل الخيرات، وحذَّر من المعاصي، وأوضح قانون العمل للآخرة والدنيا، ثمَّ أردف ذلك ببيان سبب الضلالة عند المشركين، وكيف أنهم استحقوا العذاب العاجل على الشرك بالله وإنكار البعث، لولا تأخيره في الحكم الأزلي السابق إلى الآخرة، وإخبارهم بوقوع العذاب لهم، وحصول الثواب في الجنَّة للمؤمنين[2].

- **المفردات اللغوية:**

-الحَرْث: "هي الإثارة والتفتيش، ومنه حرث الأرض، وتطلق أيضاً على نفس المحروث، كقوله تعالى: ﴿**أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ**﴾ [القلم: 22]،أي على أشجاركم وثماركم وتُصَور منه العمارة التي تحصل عنه في قوله: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ...**﴾ فسُمي ما يكدح له الإنسان من الأعمال الموصلة إلى الثواب أو العقاب حرثاً؛ لأنَّه نتيجة عمارة ما قصده الحارث، ويعبّر عنه بالكسب"[3]. قال ابن كثير في معنى ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾: "نقوّيه ونعينه على ما سيفعله، ونكثر نماءه، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله"[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ [الشورى: 20]، قال الجصَّاص: "هذه الآية دالة على

(1) يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج9/119-120).
(2) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج25/54).
(3) الحلبي، عمدة الحفاظ (ج1/386).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج7/198).

بطلان الاستئجار على ما سبيلُهُ ألا يفعل إلا على وجه القُرْبة؛ لإخباره تعالى بأن من يريد حرث الدنيا فلا حظ له في الآخرة، فيخرج ذلك من أن يكون قِرْبَة فلا يقع موقع الجواز "[1].

2- قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ الهمزة هنا: للتقريع والتقرير على أن شياطينهم هم مَنْ زينوا لهم شِركهم، وقد أُسْند الشرع إلى الأوثان، لأنَّها سبب ضلالهم، وافتتانهم بما تدينوا به[2].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **الدنيا مزرعةُ الآخرةِ:**

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "**يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**"[3].

قال قتادة في تفسير الآية: "من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئاً إلا رزقاً قد فُرِغ منه وقُسم له"[4].

ولعل الكل يعلم في هذا الزمان كيف نعتني بدنيانا بالتعمير والبناء، والانشغال بملذاتها وكأننا مخلَّدون فيها، وتناسَيْنَا آخرتنا التي هي معادنا وما عملنا لها، فكرهنا ذكرها والسماع للواعظين عنها، وهذا ما حدث مع سليمان بن عبد الملك، حين أرسل إلى أبي حازم[*] الزاهد العابد -رحمه الله-، فقال له: "يا أبا حازم مالَنا نكرهُ الموت؟ قال: لأنَّكم أخربتم آخرتكم وعمَّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن

---

(1) الجصاص، أحكام القرآن (ج258/5).

(2) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل (ج80/5).

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، باب في الرقائق والورع، 642/4: رقم الحديث 2465]، صحَّحَه الألباني.

(4) الطبري، جامع البيان (ج521/21-522).

(*) أبو حازم: هو عبد العزيز بن سلمة بن دينار، مولى لبني شجَع من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكان أعرجاً، وعابداً زاهداً يقص بعد الصلوات في مسجد المدينة، ثقة كثير الحديث، سمع من سهل بن سعد الساعدي، مات في خلافة أبي جعفر المنصور سنة 133 هـ. يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ص332)، والعجلي، الثقات (ص197)، والكلاباذي، رجال صحيح البخاري (ص321).

تنتقلوا من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، فكيف القدوم على الله –عزَّوجل–؟ قال: أمَّا المحسنُ فكالغائب يَقْدُمُ على أهله، وأما المُسِيء فكالآبق(*) يقدم على مولاه، فبكى سليمان"(1).

إنَّ عمر الإنسان محصورٌ في هذه الحياة، ودرجته ومنزلته في الآخرة تُحدد بالأيام التي يعيشها في الدنيا، فإذا قدَّم المسلم لنفسه عملاً صالحاً فيها كان في الآخرة من السعداء، وإذا أهمل وفرَّط في ساعاته ندم في الآخرة، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾ [النجم: 39]، فالإنسان مرهون في الآخرة بعمله في الدنيا، فأكثر يا عبد الله من عمل الصالحات، واطرق كل باب خيرٍ في الدنيا؛ لعلها تقربك عند ربك في الآخرة(2).

وقد حذَّر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من أن يجعل المرءُ همَه الدنيا وينسى العمل للآخرة، قال أنس بن مالك، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ**"(3).

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ المسلم العابد هو من يزرع عمره بالأعمال الصالحة، ويعلم بأن الحصاد في الآخرة على قدر الزرع، وهذا ما أكَّده القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿**وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ**﴾ [القصص: 77]، فليس معنى الاهتمام بشأن الآخرة نسيان الدنيا، بل إنَّ الكيِّس الفَطِن هو الذي يعلم بأن دنياه قد تكون سبب سعادته في الآخرة إذا علم لما خلقه الله وجنَّد نفسه لطاعته، وهذا الفهم قد أصبح مفقوداً عند كثيرٍ من الناس في العصر الحاضر، فبعضهم يعتقد بأنَّ التدين والإلتزام أخلاقيَّاً وديناً لا يكون إلا بحرمان النفس من ملذات الدنيا وخيراتها، وهذا فهمٌ خطأ، فالمسلم الحَق هو الذي يؤمن بأنَّ الله أحل له طيبات الدنيا ليتمتع بها، ولكن ليس على حساب دينه وآخرته، فيأكل ويتمتع ويسيح في الأرض، وكل ذلك بدافع العبادة.

وقد فضَّل الله مريد الآخرة على من أراد الدنيا في الآية من وجوهٍ عديدة:

(*) الآبق: هو العبد الذي هرب من سيِّده. ينظر: أبو العباس، المصباح المنير (2/1).

(1) الطيار، حياة السلف بين القول والعمل (ص101).

(2) يُنظر: القحطاني، خطوات إلى السعادة (ص107).

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، باب في الرقائق والورع، 642/4: رقم الحديث 2465]، صححه الألباني.

1- قدَّم مريد الآخرة بالذكر على مريد الدنيا.

2- قال في مريد حرث الآخرة نزد له، أما مريد حرث الدنيا نؤته منها، وكلمة من للتبعيض، أي نعطيه بعض ما يطلبه.

3- سكت الله عن طالب حرث الآخرة ولم يذكر أنه سيعطيه الدنيا أم لا، لكنَّه نصَّ على أن طالب حرث الدنيا لن يعطيه شيئاً من الآخرة، وهذا يدل على أن الآخرة أصلٌ والدنيا تبع.

4- إنَّ الآخرة نسيئةٌ، والدنيا نَقْدٌ، والنسيئة مرجوحة بالنسبة للنقد، فالأولى ناميةٌ زائدة، والثانية مائلةٌ إلى النقصان[1].

وقد استنبط ابن العربي من الآية: أنَّ الوضوء تبرُّداً الذي هو من حرث الدنيا، لا يُجزئُ عن فريضة الوضوء الذي هو من حرث الآخرة، وهذا يبطل مذهب أبي حنيفة -رحمه الله- القائل بأن من توضأ تبرُّداً يجزئه هذا الوضوء عن فريضة الوضوء المُوظَّفَة عليه[2].

(1) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج27/591-592).

(2) يُنظر: ابن العربي، أحكام القرآن (ج4/90).

المطلب الثاني

بُشْرى المُؤمنين

قال الله تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾ [الشورى: 22-24].

- **المعنى الإجمالي:**

يخاطب الله -عزَّوجل- رسوله قائلاً له: ترى يا محمد الظالمين يوم القيامة بشركهم ومعاصيهم خائفين من العقاب بما كسبوا من الإثم، والعقاب واقع بهم لا محالة، فلا ينفعهم هذا الخوف المجرد عن التوبة، أما المؤمنون بالله ورسوله والعاملون للصالحات على النقيض منهم، فهم في بساتين الجنات يتنعمون بها، لهم ما يشاؤون عند ربهم من أنواع النعيم الذي لا ينقطع أبداً، وذلك فضل من الله كبير لا يدانيه فضل[1].

وإن الذي ذُكر من نعيم الجنة يبشر الله به عباده المؤمنين بأنهم أهلُه، ثم قل لهم يا محمد لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني وتحبوني لأنكم قرابتي، وتودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته، ومن يكتسب منكم عملاً صالحاً نضاعف جزاء هذه الحسنة بمقدار ما أحسن فيها، إن الله واسع المغفرة يستر عيوب عباده ويغفر ذنوبهم إذا تابوا، عظيم الشكر لمن أطاعه يُوفّيه حق الثواب ويتفضل عليه بالمزيد.

وكيف يتجرؤ هؤلاء السفهاء وتُطَاوعهم ألسنتهم بنسبة مثله -صلى الله عليه وسلم- إلى الافتراء والكذب والاختلاق، ثم كيف يستقيم افتراؤه على الله وهو من أقبح الفِرى وأفحشِها، فإن الله قادر على أن يجعلك يا محمد من المختومين على قلبه حتى تفتري عليه الكذب، وقد نفى الله ذلك

(1) يُنظر: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم (ج485/1).

عن رسوله فيقرر سننه بمحو الباطل وإزهاقه، وتأكيد الحق وإحقاقه، إنه مطَّلع على دخائل القلوب بصير بحقائقها، لا تخفى عليه خافية من أمورها[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

تبدأ الآيات ببيان حال الظالمين يوم وقوع القيامة التي كذبوا بها، وقد أتاهم العذاب الذي أُجِّل لهم، وذِكْر حالهم وحال المؤمنين في ذلك اليوم العظيم، حيث يبشر الله فيه المؤمنين ويذكرهم بأن الحسنة بعشر أمثالها، وأن الله يشكر عباده الشاكرين الموحدين.

- **أسباب النزول:**

ورد في نزول الآية ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: 23]، عدة رواياتٍ من أشهرهما روايتان:

الرِّواية الأولى: قال ابن عبَّاس: لمَّا قَدِم رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– المدينة تنوبه نوائبٌ وحقوقٌ، وليس في يده لذلك سَعَة، فقال الأنصار: إنَّ هذا الرجل قد هداكم الله تعالى به، وهو ابن أختكم، تنوبه نوائب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم، فأتوه به ليعينه على ما ينوبه، ففعلوا ثم أتوه به فقالوا: يا رسول الله، إنك ابن أختنا وقد هدانا الله تعالى على يديك، وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك عندها سعة، فرأينا أنَّ نجمع لك من أموالنا شيئاً فنأتيك به فتستعين به على ما ينوبك، وها هو ذا. فنزلت هذه الآية.

وأمَّا الرِّواية الثانية فهي قولُ قتادة: اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض: "أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وترَجح الباحثة الرواية الثانية؛ لأنَّ الطبراني ذكر بأن رواية ابن عباس رُويت بسندٍ ضعيفٍ، وما يؤيد ذلك روايةً رواها البخاريُّ في صحيحه عن ابن عباس قوله لما سئل عن ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ فقال: سعيد بن جبير: قُرْبَى آل محمد –صلى الله عليه وسلم– فقال ابن عباس: عَجِلْت إنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكن بَطْنٌ من قريش، إلا كان له فيهم قرابة، فقال "إلا أن تصلوا ما

(1) يُنظر: مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج9/752–753).
(2) الواحدي، أسباب النزول (ص389).

بيني وبينكم من القرابة". وقد ذكر مصطفى البغا في تعليقه على هذا الحديث أن معنى قول ابن عباس عَجِلت: أي أن المقصود بالقربى في الآية: جميع قريش لا بنو هاشم وبنو المطلب كما يتبادر إلى الذهن، وهم الذين عناهم سعيد بن جبير –رحمه الله–[1].

ومما يدلل أيضاً على ما أسلفنا ترجيحه، أنَّ الآية مكية، فكيف نزلت والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان قد دخل المدينة ومكث عند الأنصار، وكذلك مضمون الآية لا يناسب سياق الرواية. والله أعلم.

- **المفردات اللغوية:**

1- يَقْترف: "أقرف فلاناً إذا أتى قبيحاً"[2]. "القَرْف من الذنب، وفلان يُقْرف بالسوء أي يرمي به ويظن به، واقترف ذنباً أي أتاه وفعله"[3]. وحين نظرنا إلى الآية وجدنا بأن القرآن استعمل اللفظ في اكتساب الحسن لا السيء، بقوله تعالى: ﴿**يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾ [الشورى: 23]. "استعير الاقتراف للاكتساب حسناً كان أو سيئاً و(الاقتراف) في الإساءة أكثر استعمالاً ولهذا قيل: الاعتراف يزيل الاقتراف"[4].

2- افترى: "افتعل من الفري أو الإفراء، وهو أقبح الكذب، أو الكذب مع التعمُّد عند من يرى أن الكذب مخالفة في الواقع مطلقاً، وهو الكذب والشرك والظلم"[5].

3- يختم: "الخاء والتاء والميم أصل واحد، وهو بلوغ آخر الشيء، يُقال ختمتُ العمل، وختم القارئُ السورة، فأما الخَتْمُ، وهو الطبع على الشيء، فذلك من الباب أيضاً؛ لأنَّ الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره"[6]. ومعنى قوله تعالى: ﴿**فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾ [الشورى: 24]، "يراد به ختم الحفظ والحِياطة في صدر النبي –صلى الله عليه وسلم–"[7].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/قوله ﴿إلا المودة في القربى﴾، 129/6: رقم الحديث 4818].

(2) ابن مرَّار الشيباني، الجيم (ج71/3).

(3) الفراهيدي، العين (ج146/5).

(4) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج259/4).

(5) الحلبي، عمدة الحفاظ (ج225/3).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج245/2).

(7) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج527/2).

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ﴾ أم هنا منقطعة أي بل (أيقولون افترى)، للإنكار والتوبيخ، والتقريع[1].

2- قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ [الشورى: 24]، بين (يمحو الباطل، يحق الحق) مقابلة.

3- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: 23]، "أعاد -سبحانه- وتعالى البشارة على سبيل التعظيم، وهذا يدل على غاية العظمة"[2].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-حبُ آلِ البيتِ قربةٌ لربِ البيتِ:

قال الله تعالى﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23]، قد ذكرنا سابقاً من هم القربى الذين قصدتهم الآية، وهو ما رواه ابن عباس في ذلك[3].

وقد كتب العلماء قديماً وحديثاً في بيان منزلة حب آل البيت، وأنهم مقدمون على غيرهم من قرابات الأنبياء، والقربى: مصدر كالزلفى والبشرى، بمعنى: قرابة والمراد في أهل القربى، ومعنى الآية: إلا أن تودوني في القربى ومن أجلها، وأنتم قومي وأحق من أجابني وأطاعني، فإذا أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا عليّ[4].

وقد بيَّن ذلك العلَّامةُ ابن كثير، حيث يقول: "والحق تفسير الآية بما فسَّرها به الإمام حبر الأمة وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس كما راوه عنه البخاري -رحمه الله-: ولا تُنْكَر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذريةٍ طاهرةٍ، من أشرف بيتٍ

---

(1) يُنظر: القنَّوجي، فتح البيان (ج300/12).

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج64/25).

(3) يُنظر: الواحدي، أسباب النزول (ص389).

(4) يُنظر: الزمخشري، الكشاف (ج219/4-221).

وُجِدَ على الأرض، فَخْراً ونسباً وحباً، ولا سيَّما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة كما كان عليه السلف، كالعباس وبنيه وعليّ وأهل بيته وذريته –رضي الله عنهم– أجمعين"[1].

قال زيد بن أرقم: قام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوماً فينا خطيباً فقال: " ... **فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**"، ثم قال: "**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**" فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ[2].

وقد مدح الله آل البيت وعدَّلهم من فوق سبع سماوات، حين قال ربُّ العزة سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: 33].

"أذكركم الله في أهل بيتي أي: أوصيكم بالتمسك بسيرتهم كما أوصيكم بالتمسك بالقرآن، وقد جمعت لكم بين الوصية بهما؛ لالتزام أهل بيتي بأحكام القرآن في سيرتهم التي هم عليها حال الوصية، وأنهم لا يزالون عليها حتى يلقون الله تعالى ملازمين لحكم القرآن، فيُبْعثون على ما ماتوا عليه"[3].

إنَّ المسلم الحق هو الذي يعلم وجوب محبتهم واحترامهم، وتأدية حقوقهم والإحسان إليهم كيف لا، وهم مَنْ هم؟ إنهم أقرب الخلق بسيد الخلق، وحبيب الحق صلوات ربي وسلامه عليه، من أرسله الله نعمةً مهداةً، ورحمةً مسداة.

ومن هذا الباب قد شُرِع الدعاء لهم في خاتمة التشهد في الصلاة، وهو منصبٌ عظيم بقولنا (اللهم صلِ على محمدٍ وعلى آل محمد)، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، مما يدلل على أن حب آل محمد واجب[4].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج201/7).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة –رضي الله عنهم/من فضائل علي بن أبي طالب، 18773/4: رقم الحديث 2408].

(3) بحرق، الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول (ص111).

(4) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج64/25).

ومن أجمل ما قيل فيهم قول الإمام الشافعي –رحمه الله– الذي شفا صدورنا بقوله:

يا راكباً قِفْ بالمُحَصّب[*] من مِنَىً ... واهتف بساكن خَيْفِها[**] والناهضِ

سَحَراً إذا فاض الحجيج إلى مِنَىً ... فيضاً كملتطم الفراتِ الفائضِ

إن كان رفضاً حبُ آلِ محمدٍ ... فليشهدِ الثقلانِ أنّي رافضي[1]

ولا بد من الإشارة إلى أنَّه قد كَثُر من يتشيعون لعلي وزوجته، ويُنكرون فضل كثيرٍ من الصحابة، وهم الذين يُسَمَّون بالروافض، إنهم قد فرَّطوا في هذا الأمر وبالغوا حتى دخلوا في الكفر، بسبّهم ولعنهم كثيرٌ من الصحابة، فليحذر المسلم من مخالطتهم أو مجالستهم فهم أخطر على الدين من اليهود والنصارى؛ لأنهم يطعنون المسلمين في الخفاء.

2–مسافرٌ في قطار الدعوة:

إنَّ من مستلزمات الدعوة إلى الله أن تكون دون مقابل، وأن يدعو المسلم حين يدعو لا يرجو إلا ثواب الله والآخرة، لذلك أكد القرآن الكريم والسنة النبوية على أهمية هذا الشرط لقبولها عند الله، كيف لا؟ والله يقول على لسان أنبيائه جميعاً هذا المعنى، حيث يقول نوحٌ –عليه السلام–: ﴿**وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [الشعراء: 109]، وكذلك على لسان الأنبياء هود وصالح، ولوط وشعيب –عليهم السلام– وسائر الأنبياء والمرسلين.

وإنّ الناظر في حال أمتنا، يجد بأنَّ فقه الدعوة إلى الله بات مفقوداً عند كثيرٍ من الدعاة، فأصبح الداعية يدعو دون أن يُثقِّف نفسه بضروريات الدعوة، وهل طرح الداعية على نفسه هذه الأسئلة، متى أدعو؟ وكيف أدعو؟ ومن أدعو؟ أم أن الأمر عند الكثيرين أصبح مهنة يَمْتَهِنُهَا ليعتاش منها، وما درى بأن الله قد مدح هذه الأمة الخيرية بين الأمم، حيث قال جلَّ في علاه: ﴿**كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: 110]، لماذا يا رب الأكوان؟ هل لأننا أمة عربية، أم لأننا مسلمون بالهوية، لا بل لأننا كما قال الله تعالى: ﴿**تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ**﴾ [آل عمران: 110]، هذا هو التعليل فنحن كنا وما زلنا خير الأمم وفي مقدمتها؛

(*) المُحَصّب: وهو موضع رمي الجمرات بمنىً. ينظر: تهذيب اللغة، (ج153/4).

(**) الخَيْف: هو ما ارتفع عن مجرى السيل، عن غِلَظِ الجبل وهو اسم لمسجد منىً يسمى الخَيْف.[يُنظر: الحربي، غريب الحديث (ج831/2)].

(1) الشافعي، ديوان الشافعي (ص89).

لأننا ندعو إلى الله، ولن يعود العزُّ المسلوبُ من المسلمين إلا عند عودتهم لسيرة أجدادهم من الصحابة والتابعين، في دعوتهم ونشر دين الله في بقاع الأرض.

إن طلب الأجر في حق النبي على تبليغه الوحي لا يجوز لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ الله تعالى صرَّح عن أكثر الأنبياء نفيهم طلب الأجر، وقد سبق ذكرهم.

ثانيها: أنَّه -عليه الصلاة والسلام- قد صرَّح بنفي طلب الأجر، في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ [ص: 56]، فطلب الأجر على أداء الواجب لا يليق بأقل الناس فضلاً عن أعلم العلماء، وثالثها: بيَّن أنَّ النبوة أفضل من الحكمة، لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [البقرة: 269]، ووَصَفَ الدنيا أنها متاعٌ قليلٌ، فقال: ﴿**قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ**﴾ [النساء: 77]، فكيف يجوز للعاقل مقابلة أشرف الأنبياء بأخس الأشياء.؟

رابعها: طلب الأجر يوجب التهمة، وهذا ينافي القطع بصحة النبوة، فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يطلب الأجر البتة على التبليغ والرسالة[1].

(1) يُنظر: سراج الدين الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب (ج191/17).

المطلب الثالث

قَبُولُ التوّبة

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٢٥ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ۝٢٦﴾ [الشورى: 25-26].

- **المعنى الإجمالي:**

وهو الذي يقبل توبة عبده التائب من ذنبه إن تركه نيّةً وفِعْلاً، فالتوبة تكون بالانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، مظنة أن يعفو الله -عزَّوجلَّ- عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها، لعلمه سبحانه بأحوال أصحابها[1]. ويجيب الله دعاءهم ويعطيهم أكثر مما سألوا من المغفرة، ويزيدهم على أعمالهم من الثواب في الجنة، أما الكافرون فليس لهم إلا العذاب الشديد الذي لا يفتَّرُ عنهم[2].

- **المناسبة بين الآيات:**

وضَّحت الآيات السابقة أن الكافرين قد ساروا على غير شرع الله، وافتروا عليه بشريعة شركائهم وشياطينهم، فبيّن الله في هذه الآيات ضرورة السير في شريعته سبحانه، ومطالبتهم بالتوبة عن السير في غيرها من الشرائع التي لا يرضاها ربنا ، ووعد سبحانه بإجابة دعاء المؤمنين الصالحين، وأوعد الكافرين بشديد العقاب الأليم[3].

- **المفردات اللغوية:**

قال الله تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [الشورى: 26]، قال ابن كثير في معنى الآية أقوالاً، منها:

---

(1) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل (ج146/4).

(2) يُنظر: السَّمرقندي، بحر العلوم (ج244/3).

(3) يُنظر: حوَّى، الأساس في التفسير (ج5084/9)، والزحيلي، التفسير المنير (ج54/25).

"القول الأول: قال السُّدي: يعني يستجيب لهم، ويستجيب دعاءهم لأنفسهم، ولأصحابهم ولإخوانهم.

القول الثاني: أي هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]"[1].

وقد رجَّح ابن كثير القول الأول بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: 26]، أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك.

وترى الباحثة أن المعنى الثاني هو الأظهر؛ بدليل أن الآية تتحدث عَنْ مَنِّ الله تعالى على عباده بقبول التوبة بعد عصيانهم، وكأنَّها تشير إلى أن المؤمنين حقاً هم الذين يتبعون شرع الله ويتوبون إليه ويستجيبون لأمره. هذا والله أعلى وأعلم.

- **الجوانب البلاغية:**

1- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: 25]، "هذا الإخبار تعريضٌ بالتحريض على مبادرة التوبة، وقد جاء بالفعل المضارع الصالح للاستقبال، وفيه بشارةٌ للمؤمنين بقبول توبتهم"[2].

2- قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الشورى: 26]، الاستجابة: "هي الإجابة. وحقيقتها التحرّي للجواب والتهيؤ له، لكن عبَّر به عن الإجابة؛ لقلة انفكاكها منها، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: 60]"[3]. "والسين في يستجيب لتوكيد الفعل، كقولك: ثَبَتَ واستثبت"[4].

- **القراءات:**

1- ﴿تَفْعَلُونَ﴾: قرأ حفص والأخوان (حمزة والكِسَائِيُّ)، وخَلَف بتاء الخطاب على طريقة الالتفات، والباقون بياء الغيبة (يفعلون)"[5]، فالذين قرؤوها بالياء التحتية نظروا إلى (من

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج7/205-206).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج25/89).

(3) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج2/408).

(4) النيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن (ج2/7305).

(5) القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ج1/286).

عباده) على الغيبة، أما من قرأها بتاء الخطاب فهي من باب الإقبال على الناس عامةً، وهو خطاب للمشركين[1].

- **فائدة:**

فِعْلُ (قَبِل) يتعدى (بمِنْ) الابتدائية تارة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ**﴾ [التوبة: 54]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا**﴾ [آل عمران: 91]، وهذا يفيد معنى الأخذ للشيء المقبول صادراً عن المأخوذ منه.

وقد يتعدى بـ (عَنْ) فيفيد معنى مجاوزة الشيء المقبول، وهذا أشد مبالغة في معنى الفعل من تعديته بحرف (مِنْ)؛ لأن فيه كناية عن احتباس الشيء المبذول عند المبذول إليه، بحيث لا يرد على باذله[2].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **التوبة:**

قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ**﴾ [الشورى: 25]، لمَّا خلق الله الخلق رَكَّبَ في جبلَّتِهم الخطأ والنسيان، فالآدميُّ يُخطئ ويصيب، يُقدِّم ويؤخِّر، ومع ذلك فإنَّ الله سبحانه يتوب على كل تائبٍ عاصٍ إذا عاد إلى ربه وأناب.

وقد حضَّ القرآن الكريم العباد على المسارعة للتوبة، حيث يقول عزَّ مِنْ قائل: ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: 31]. "فالتوبة أول منزلةٍ من منازل السالكين، وأول مقامٍ من مقامات الطالبين"[3].

فعن أبي عُبَيْدةَ بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**"[4].

---

(1) يُنظر: سراج الدين الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب (ج195/17).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج89/25).

(3) القشيري، الرسالة القشيريَّة (ج207/1).

(4) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الزهد/ ذكر التوبة. 1419/2: رقم الحديث 4250]، حسَّنه الألباني.

وقد عرَّف ابن عاشور التوبة فقال:" والتوبةُ تتركَّب من عِلمٍ وحالٍ وعمل، فالعلم هو معرفة الذنب، والحال هو تألُّمُ النفسِ من ذلك الضرر وهو الندم، والعمل هو الترك للإثم وتَدَارُكُ ما يمكن تدارُكَه وهو المقصود من التوبة"[1].

وإنَّ مِنْ فيض رحمة الله بنا أنَّه سمَّى نفسه التوَّاب، وهو الذي يتوب على عباده ويقبل توبتهم وكلما تكررت التوبة تكرر القَبُول، وتاب الله على العبد بمعنى وفَّقه للتوبة فتاب العبد[2].

ولكن هل كل توبةٍ يقبلها الله من عبده، أمْ أنَّ للتوبة المقبولة عند رب العالمين شروطاً؟ لا شك أن لها شروطاً، فمن شروطها كما بينها العلماء التالي :

1- "أن يندم على ذنبه بالقلب، ويستغفر باللسان، ويُضْمِرُ أن لا يرجع إليه أبداً"[3].

2- عن عبد الله بن محمد بن عبد الله قال: "قيل لبعض العلماء ما علامة التوبة؟ قال: الوجل من الذنب"[4].

3- قال النووي -رحمه الله-: "قال العلماء: التوبة واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وربه، لا تتعلق بحق آدميّ فلها ثلاثة شروطٍ -قد ذكرناها سابقاً-، أما إذا كانت تتعلق بآدميّ فشروطها الثلاثة السابقة بالإضافة إلى الشرط الرابع، وهو أن يبرأَ من حق صاحبها فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه"[5].

ومما يُرغِّب العبد في المسارعة إلى التوبة والاستغفار من الذنوب هذا الحديث، حدثنا إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة، حدثنا أنس بن مالك وهو عمه قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ**

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/438).

(2) يُنظر: الخطابي، شأنُ الدعاء (ج1/90).

(3) السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص114).

(4) الخلدي، الفوائد والزهد والرقائق والمراثي (ص35).

(5) القلموني، ففروا إلى الله (ص17).

أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"[1]. فباب التوبة مفتوح يا مسلم يا عبد الله فسارع قبل أن يفوت أوانها، حينها لن ينفعك الندم والعويل.

(1) [مسلم: صحيح مسلم، التوبة/ في الحض على التوبة والفرح بها، 2104/4: رقم الحديث 2747].

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشورى من الآية (27-36)

المطلب الأول

الأَرْزَاقُ حقيقةٌ كونيةٌ

قال تعالى: ﴿۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشورى: 27-28].

- **المعنى الإجمالي:**

ولو بسط الله الرزق لعباده فوسَّعه عليهم كما تَمَنَّوا لبغوا في الأرض أَشَراً وَبَطَراً، ولطغى بعضهم على بعض، ولكنَّ الله بحكمته العظيمة ينزِّل عليهم أرزاقهم بقَدَر محدد بما يشاء لكفايتهم؛ لأنَّ الله خبيرٌ بما يصلح العباد، بصيرٌ بتدبيرهم وتصريف أحوالهم[1]، ومن تعديد نعم الله على العباد، نعمة نزول المطر الذي يُغِيثهم من الجَدْب بعد ما يئِسوا من نزوله، ويبسط عليهم خيراته وبركاته وهو الوليُّ الذي يتولى عباده، المحمود بكل قلبٍ ولسانٍ على ما أسدى عليهم من النَعْماء[2].

- **المناسبة بين الآيات:**

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أنَّ الله يجيب دعاء عباده المؤمنين، ويعاقب الكافرين، ذكر هنا أنه لا يعطيهم من الأرزاق إلا بقَدْرٍ وحكمةٍ يعلمها سبحانه، بما ينفعهم في دنياهم، وإلا فإنهم سيبغون في الأرض، وسَيُقْدِمون على ارتكاب المعاصي، ولو أنَّه علم حاجتهم للمال لأعطاهم إياه؛ لأنَّه المتولِّي أمورهم بإحسانه، المستحق الحمد على نعمائه[3].

---

(1) يُنظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج486/1).

(2) يُنظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج130/3).

(3) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج70/25).

- **أسباب النزول:**

"نزل قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: 27]، في قومٍ من أهل الصُّفَةِ تمَنَوْا سَعَة الدنيا والغِنَى، قال خبّاب بن الأَرَتّ: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنَّا نظرنا إلى أموال قريظة والنَّضير فتمنَّيْنَاها، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية"[1].

- **المفردات اللغوية:**

1- ﴿لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ البَغْي: طلب تجاوز القصد فيما يُتَحَرَّى تَجَاوَزه أم لم يتجاوزه، فتارةً يكون في القَدْر الذي هو الكمية، وتارة في الوصف الذي هو الكيفية، والبَغْيُ على ضربين: أحدهما محمود: وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع. والآخر مذموم: وهو تجاوز الحق إلى الباطل[2]. ولا شك في أن الآية تأتي بالمعنى الثاني، وهو الظلم والتجاوز عن الحق. والله أعلم.

2- ﴿يَنشُرُ﴾ النَشْرُ: الريح الطيبة أو أعم، وهي بمعنى ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم، وتعني إحياءُ الميّتِ كالنُشُور[3]. وفي الآية تأتي بمعنى البسط والعَمّ، وهو ضدُّ الطَّيّ.

3- ﴿رَحۡمَتَهُۥ﴾: هنا بمعنى قطرات ماء الغِيثان[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى:28]، قال صاحب كتاب الجدول في شرح هذه الآية: "فيها فن صحة التفسير، وهو أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنىً لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه، وهو إمَّا مُجْملاً يحتاج لتفصيل، أو موجَّهَاً يفتقر إلى توجيه، فالآية مُؤْذِنَةٌ بمجيء الرجاء بعد اليأس، والفرج بعد الشدة، وما من مشهدٍ ينفض هموم

---

(1) الواحدي، أسباب النزول (ص375).

(2) يُنظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص136).

(3) يُنظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج482/1)، ويحيى بن سلام، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص256).

(4) يُنظر: الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج56/3).

القلب وتعب النفس كمشهد الأرض، تتفتح بالنَبت بعد الغيث، وتنتشي بالخضرة بعد الموات"[1].

2- ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ استعارة مكنية تفيد التوسيع والامتداد[2]، فرحمته بغيثه لا حدَّ له فهو يصيب كل ما أراده الخالق سبحانه.

3- بين قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ و﴿يَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ "عطفُ عامٍ على خاصٍ فالغيثُ خاصٌ، والرحمةُ عامةٌ"[3].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-نعمةُ الغيثِ على العباد:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى:28]، إنَّ من نعم الله علينا نحن البشر بل على كل مخلوق على وجه البسيطة نعمة الماء التي مَنشؤُها من الأمطار، فكيف يحيا هذا الكون الفسيح من غير ماءٍ وهو أساس وجود الحياة!؟، حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30].

إنَّ إنزال المطر بكمياتٍ ومقادير محدودة في أماكنَ محدودةٍ، لم يقم هذا الأمر إلا على مبدأ القدرة الباهرة والخبرة التامة، إنَّه سبحانه يمنع عن عباده المطر فيَمْحُلوا ويجدبُوا حتى ييأسوا، ويظهر عجزهم وعجز من عبدوهم من دون الله، فتأتي رحمات الله بالغيث المغيث؛ ليبيّن ضعفهم وعجزهم عن الإتيان بمثل هذه النعمة[4].

وقد وضح سيّد قطب دلالة استخدام اللفظ القرآني المختار للمطر، وهو الغيث فيقول -رحمه الله-: "إنَّ هذا اللفظ يُلْقي الغَوْثَ والنَّجدة، وتلبية المُضْطر في الضيق والكُرْبة، وقد عبَّر عن آثار الغيث، فقال تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ فيلقي بظلال النداوة والخضرة، والرجاء والفرح التي تنشأ فعلاً

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج42/25).
(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج96/25).
(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج67/25).
(4) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج611/4).

عن تَفَتُّحِ النبات وارتقاب الثمار، وما من مشهدٍ يريح الحس والأعصاب، ويُنَدِّي القلب والمشاعر، كمشهد الغيث بعد الجفاف"[1].

وقد جاءت صيغةُ القَصْر في الآية؛ لتفيد قصر القلب[*]، أي: قصر تنزيل الغيث على الله دون غيره من المخلوقات؛ لأنَّ في السامعين مشركين، يظنون نزول الغيث من تصرُّف الكواكب وفيهم المسلمون الغافلون، فقد كان الناس في الجاهلية يعتقدون أنَّ المطر من تَصَرُّف أنواءِ الكواكب[2].

وإنَّ من بيان أن هذا من الشرك قول زيد بن خالد الجُهَنِيّ، أنَّه قال: صلى بنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماءٍ كانت من الليلة، فلما انصرف النبي –صلى الله عليه وسلم– أقبل على الناس فقال: "**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**" قالوا الله ورسوله أعلم، فقال: "**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**"[3].

والمتأمل في الآيات السابقة يكتشف الحكمة البالغة في إنزال المطر بقدر الحاجة، حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه، وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها أقلع عنها، وأعقبه بالصحو، فإن الصحو والغيم يعتقبان على العالَم لما فيه صلاحه، ولو دام أحدهما لكان فيه فساده، ولو توالت الأمطار لأهلكت ما على الأرض، ولو زادت عن الحاجة لأفسدت الحُبُوب والثمار، ولو دام الصحو لجفَّت الأبدان، وغِيْض الماء، وانقطع مَعِينُ العيون والآبار، وعَظُم الضّرر، فاقتضت حكمةُ اللطيفِ الخبيرِ أن يُعاقِب بين الصَحْوِ والمطر، فيعتدلَ الأمر ويَصِحَّ الهواء وبذلك يستقيم العالم ويصلح[4].

ومما لا شك فيه أنَّ آية المطر تدلل على وجود الله تعالى–توحيد الألوهية– وهذا بأمر الله بالتفكر في آياته المحسوسة، ومنها المطر في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الروم: 24]،

---

(1) قطب، في ظلال القرآن (ج5/3157–3158).

(*) قصر القلب: هو تخصيص أمر بأمر في مكان آخر، يُنظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج3/15).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج25/95).

(3) [البخاري: الأدب المفرد، باب قول الرجل: مطرنا بنوء كذا وكذا، 907/312: رقم الحديث 907]، صححه الألباني.

(4) يُنظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج1/224).

فإذا نظر المسلم إلى هذه الآيات يبصر قلبه –عقله– النعم فيستدل بها على وجود الرب سبحانه وتعالى، وإمكان ما أخبر به من حياة الخلائق بعد موتهم كما أحيا هذه الأرض بعد موتها[1].

ومن آيات الله التي يستدل بها على توحيد الربوبية إنزال المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، فيريكم قبل نزوله مقدمات من الرعد والبرق الذي يُخاف ويطمع فيه، فهذه الآيات دالة على عموم إحسانه وسِعَة علمه وكمال إتقانه[2].

ولا بد للمسلم العالِم العامل المتأمِّل أن ينظر إلى هذه الآية الكونية العجيبة التي ينشأ عنها المطر، فحرارة الشمس على سطح الأرض تُبخِّر الماء بالحرارة، وفي طبقات الجو العليا تنخفض الحرارة، فيحدث التكاثف للماء ويتكوّن السحاب، ومن حِكمة الله أن جعل ماء الأرض الذي يتبخر منه الماء العَذْب جعله مالحاً؛ لأنَّ ملوحته تحفظه من أن يأْسن، أو تتغير رائحته، فهو مخزن للماء العذب الذي يروي بعذوبته الأرض[3].

وكان من هَدْي حبيبنا ورسولنا محمد –صلى الله عليه وسلم– أنه كان يَحْسِرُ عن ثوبه عند نزول المطر، قال أنس: أصابنا ونحن مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مطر، قال: فحَسَرَ(*) رسول الله عن ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول لِمَ صنعتَ هذا؟ قال: "**لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى**"[4].

وكذلك يدل المطر على توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالمطر من رحمة الله، حيث قال الله في الآية: ﴿**وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ**﴾ [الشورى: 28].

وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يُسَمِّيه رحمة، فعن عطاء أنّه سمع عائشة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– تقول: إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا

---

(1) يُنظر: الوعلان، الآيات الكونية دراسة عقدية (347–348).

(2) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص639).

(3) يُنظر: الشعراوي، الخواطر (ج18/11378–11379).

(*) حَسَر: كشف بعض بدنه.

(4) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة الاستسقاء/باب الدعاء في الاستسقاء، 615/2: رقم الحديث 898].

مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: "**إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي**"، **وَيَقُولُ، إِذَا رَأَى الْمَطَرَ**: "**رَحْمَةٌ**"[1].

وهناك الكثير من المخالفات العقدية المتعلقة بآيات المطر ونزوله لا يتسع المجال للاستطراد في سردها، لكن نُعرِّج على بعضها علَّ الفائدة تعم بها:

منها أن بعض الجُهّال يعتقدون بأن انحباس المطر يقتصر على الأسباب المادية فقط كطبيعة الأرض والمناخ والرياح، دون اعتقاد أنه قد يكون بسبب الذنوب والمعاصي، أو أنه ابتلاء واختبار من الله للعباد[2]، لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: 96].

2-قِسْمَة الأرزاق:

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ**﴾ [الشورى: 27]، من عجائب ما قيل في هذه الآية أن هذه الكلمة مع فرط إيجازها، وقلة حروفها متضمنة لمعاني أسفار من خطب وأشعار في حكمة تقدير الأرزاق، وتضييق المعاش، ولقد كان الجاحظ كثير الإلمام بها في كتبه، وله فيها رسالة مزيدة بديعة[3].

إن أفعال الرب -سبحانه وتعالى- لا تخلو من مصالح، وإن لم يجب على الله الاستصلاح، فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه، لقاده ذلك إلى الفساد، فيزوي عنه الدنيا، مصلحة له فليس ضيق الرزق هواناً، ولا سعة الرزق فضيلة، فالأمر على الجملة مفوَّضٌ إلى مشيئته، ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من أفعال الله[4].

فكل ما في الكون هو من بديع صنع الخالق سبحانه، ووفق مشيئته وإرادته المطلقة، وإن لم يعلم المسلم الحكمة من ذلك، وجب عليه التسليم بقضاء الله وحكمه في كل أحواله وسكناته وحركاته، وإلا لما كان المسلم مسلماً.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة الاستسقاء/التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، 616/2: رقم الحديث 899].

(2) يُنظر: الوعلان، الآيات الكونية (360-361).

(3) يُنظر: النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (ج1285/2).

(4) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج75/25).

وهذه الآية إعلامٌ من الله تعالى أنَّه لو جاء بالرزق على اختيار البشر وطلبهم، لكان ذلك سبباً لبغيهم وفسادهم، ولكنه أعلم بالمصلحة في كل تقدير، وله بعباده خبرةٌ وبصر بأخلاقهم ومصالحهم، فهناك من الناس من لا يصلح له إلا الفقر، وآخرون لا يصلحهم إلا الغِنَى[1].

قال قتادة: "خير العيش ما لا يُلهيك ولا يُطغيك"[2]، ولا شُبهة في أن البغي مع الفقر أقل، ومع البسط أكثر وأغلب، وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البغي والإحجام عنه، فلو عمَّ البسطُ لغلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن[3].

وليس أدل على ذلك من قصة قارون الذي ضرب الله به المثل في البغي بغناه، حيث يقول جلَّ في علاه: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص: 76].

فغناه أغرَّه، ولم يعصمه من عذاب الله، بل دعاه إلى البطر والأشر، بل وأخذ يتبجَّح بأنه قد أوتيه على علم عنده، ولم ينسبه إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: 78]، فخسف الله به وبداره الأرض ليكون عبرة لمن يعتبر، وعِلم ربنا بطبيعة النفس البشرية جعله لو مُتِّع الإنسان بالغنى دائماً لما استمتع الكون بلَذة: يا رب ارزقني، ولو متَّعه بالصحة لما استمتع الكون بلذة: يا رب اشفني، فيظل الإنسان موصولاً بالمنعم سبحانه محتاجاً إليه داعياً إياه، وقد قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: 6-7]. فالحاجة تربط الإنسان بربه، وتوصله به سبحانه[4].

فالإنسان تستهويه الملذات، وتغريه المغريات، وقلَّما يعرف التوازن والاعتدال في سلوكه ومطالبه لو أنّ الله علم منه الصلاح والرشاد بإعطائه المال وإمتاعه في الملذات، عن أبي سعيد الخُدْري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قام على المنبر فقال: "**إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ**" ثم ذكر زهرة الدنيا، فبدأ بإحداهما، وثنَّى بالأخرى[5].

---

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج2338/3).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج206/7).

(3) يُنظر: الزمخشري، الكشاف (224/4).

(4) يُنظر: الشعراوي، الخواطر (ج8487/14).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسِّير/فضل النفقة في سبيل الله، 26/4: رقم الحديث 2842].

ومعنى زهرة الدنيا أي حسنها وبهجتها وكثرة خيرها[1].

وعلى ضوء هذه الآية لا يستغرب أحدٌ أن يسمع صيحات الخطر والإنذار، التي تطلقها المنظمات الدولية، بقرب مجاعةٍ عالميةٍ قد تكتسح العالم، فتكون كارثة كبرى على البشرية، فإنَّ الشعور بهذا الخطر قائمٌ لا محالة، ومن مقتضيات الحكمة الإلهية أن يكون شبح هذا الخطر ماثِلاً للأنظار، حتى يتذكرَ الإنسان رسالته الحقيقية في هذا الكون، ويعود إلى حظيرة الاعتدال والتوازن في مطالبه وشهواته قدر الإمكان[2].

(1) يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج322/2).

(2) يُنظر: الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (ج451/5).

المطلب الثاني

آياتُ اللهِ المعجزاتِ الباهراتِ في الكونِ الفسيحِ

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: 29-31].

- **المعنى الإجمالي:**

من دلائل عظمة الله وقدرته وسلطانه القاهر، خلقُ السماوات والأرض، وما نشر فيهما من دابة تدبّ وتتحرك، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن، وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالها وألوانها، ومع عظمتها وكثرتها فالله قادر على جمعهم يوم القيامة، فيجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد؛ ليحكم بينهم بالعدل والإحسان، ثم بين الله دستوراً للناس أن ما يحل بهم من المصائب في الدنيا، فإنما هي عقوبة لهم على ما اجترحوا من السيئات، واقترفوا من المعاصي، ويعفو عن كثير من جرأتكم على خالقكم، فلا يعاقبكم عليها، وإنكم لا تعجزون الله حيثما كنتم، فلا تسبقونه بهروبكم، بل إنَّ عذابه يلحقكم أينما كنتم، وليس لكم من دون الله وليٌّ يليكم بالدفاع عنكم، ولا نصير ينصركم من عقابه[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

لما بيَّن سبحانه في الآيات السابقة كيف أنَّ لكل شيء حكمته في خلقه، بتوزيع الأرزاق والأمطار على العباد، بأقدار يحددها بمحض إرادته وعلمه بالمصلحة التامة، سرد في الآيات التالية ما يدلل على قدرته وعلمه، وعظيم خلقه من أنَّه لا يصيب الخلق بالمصائب إلا بكسب أيديهم، وأنهم ليس لهم من دون خالقهم وليٌّ ولا نصير.

---

(1) يُنظر: المراغي، تفسير المراغي (ج25/46-49).

- **المفردات اللغوية:**

1- بثَّ: معنى بث الشيء: تفريقه، وبثثت الخبر أي: نشرته، وابتثثته يقال: بث الخيل في الغارة، وبث الكلَّاب كلابه على الصيد[1].

2- دابةٍ: من دبَّ دبب يدِبُّ بالكسر (دَبَّاً) و(دبيباً)، وكلُ ماشٍ على الأرض دَابة، وقولهم: أكذب من دبَّ ودرج أي: أكذب الأحياء والأموات[2].

3- بمعجزين: معنى الإعجاز الفَوْت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي فاتني، وقال الليث: أعجزني فلانٌ، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، ومعنى معجزين أي معاندين أو مُسابقين[3]، "وقد تأتي بمعنى سابقي الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها"[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ**﴾، جاءت مِنْ للتبعيض، فهذا دليل على أن حدوث هذه المخلوقات بعضٌ من الدلائل لا كلها[5].

مسألة بلاغية: هل يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة؟ يجيب عن السؤال علاء الدين المعروف بالخازن حيث يقول:

الدبيب لغة: المشي الخفيف على الأرض، فيحتمل أن يكون للملائكة مشيٌ مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الإنسان، وقيل: يحتمل أن الله تعالى خلق في السماوات أنواعاً من الحيوانات يدبون دبيب الإنسان[6].

2- قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ**﴾ [الشورى: 30]، المصيبة في القرآن تأتي على وجهين: الأول: مكاره الدنيا من القحط والجدب والمرض، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ**﴾ [الشورى: 30]، وهذا يكون في الأرض

---

(1) يُنظر: الفراهيدي، العين (ج217/8).

(2) يُنظر: الرازي، مختار الصحاح (ص101)، والفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج124/1).

(3) يُنظر: الهروي، تهذيب اللغة (ج220/1).

(4) ابن سلَّام، التصاريف لتفسير القرآن (ص324).

(5) يُنظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة (ج6/4).

(6) يُنظر: الخازن، لباب التأويل (ج101/4).

بالجدب، أو الأنفس بالمرض، والثاني: الهزيمة والقتل، لقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ**﴾ [التوبة: 50]، أي إن هُزِمتم استصوب المنافقون بتخلفهم عن القتال معكم، والأصل في هذه الوجوه واحد، وهو الخُلَّة المكروهة شديدة الكراهة بترك الإنسان لها[1].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-المعاصي والذنوب سببٌ للمصائب والكروب:

الدنيا دار البلايا والمصائب، فكم من عبدٍ فيها لا يخلو من الهموم والغموم، فالكل مبتلىً إلا من عافه الله، فالدنيا مليئة بالهموم والمصائب والحسد، والشحناء والكراهية، وما يصيب العبد من ذلك إلا بما كسبت يَداه وجنته جوارحه.

فعن الضَّحاك بن مُزَاحِم يقول: "مَا مِنْ أَحَدٍ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: 30]، وَإِنَّ نِسْيَانَ الْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ"[2].

"وإن هذه الآية تنبيهٌ التفاتيٌ إلى أن ما يصيب الناس من مصائب هو من كسب أيديهم، ففي أغلب الأحيان لا تأتي البلايا والشرور إلا نتيجة تصرفاتهم وأعمالهم، فليس لهم أن يوجهوا لَوْمَهُم على ذلك إلى غيرهم"[3].

وليس أدلُ على ما قلنا من قول حبيبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عنه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**"[4].

---

(1) يُنظر: العسكري، الوجوه والنظائر (ص461).

(2) البيهقي، شعب الإيمان (ج353/3).

(3) دروزة، التفسير الحديث (ج465/4).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، المرضى/ ما جاء في كفارة المرض، 114/7: رقم الحديث 5641].

"قيل لأبي سليمان الداراني(*): ما بالُ الفضلاء لا يلومون من أساء إليهم؟ فقال: لأنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي ابتلاهم بذنوبهم"(1).

ولا يقتصر الأمر على المصائب، بل إنَّ الذنوب قد تحرم العباد من نعمة المطر، فيقول في ذلك ابن قدامة: "إنّ المعاصي سبب الجدب، والطاعة سببٌ في البركات"(2).

وكذلك فإن المعاصي تحرم المغفرة في مواسم الرحمة، وهي سبب البعد والطرد، كما أن الطاعات أسباب القُرْب والودّ(3).

فإحسان العبد في عمله سببٌ لإحسان الله في معاملته، وهذا بنصٍ من القرآن حيث قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: 79]، ولنا في السلف الصالح قدوة حسنة، أنهم من كثرة وَرَعِهم كانوا يعلمون من أين يُؤْتَوا لِقلة ذنوبهم، فكانوا يرون أثر ذنوبهم في أخلاق زوجاتهم ودوابهم.

وعن عليّ –رضي الله عنه– قال في فضل هذه الآية ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾: ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله؟ قالوا: بلى، فقرأها عليهم، فالمصائب في الدنيا تكون بكسب الأوزار، فإذا عاقبه الله في الدنيا فالله أكرمُ من أن يعذبه ثانياً، وإذا عفا عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعذبه يوم القيامة(4).

ولا بد أن لا ننسى بأنَّ المصائب تنزل على المؤمنين والمطيعين؛ ابتلاءً وامتحاناً، وتكفيراً للسيئات، ورفعةً في الدرجات، أما على الكفار فتكون من غضب الله تعالى وبعدها الهلاك، لا تنفك

(*) أبو سليمان الداراني: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، كان عبداً صالحاً زاهداً من بلاد داريَّا في غوطة دمشق، اشتهر بورعه وكثرة حِكَمِه، وقيل عنه: كان سَبَرَ الأحوال ليعتبر الأهوال، فطهُرَ من الأعلال لمداومته على الدؤوب والكلال، توفي –رحمه الله– سنة 205هـ. [يُنظر: الجوزي، صفة الصفوة (ج2/387)، والأصبهاني، حلية الأولياء (ج9/254)].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/37).

(2) ابن قدامة، المغني (ج2/319).

(3) يُنظر: ابن رجب، لطائف المعارف (ص271–272).

(4) يُنظر: السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيّد الأنبياء والمرسلين (ص255).

عنهم حتى يأتي وعد الله، حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ﴾ [الرعد: 31][1].

وفي الآية حثٌّ لأصحاب الذنوب ليسارعوا إلى مغفرة ربهم، ويؤوبوا إلى رحمته وغفرانه، حتى يرفع الله الغُمَّة التي أظلت العالم الإسلامي بكثرة ذنوبها، ومبارزة الله بها في الليل والنهار.

وللمعاصي عواقب نذكر منها:

1- حجابٌ بين العبد وربه، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].

2- كآبةٌ دائمة، ووحشَة المخلوق من خالقه؛ لأنه يُسيئُ الظن بربه، لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [التوبة: 110].

3- نَكَدٌ في المعيشة، وخوفٌ في القلب واضطراب.

4- غضب الرحمن، وحلول المصائب والأحزان، وضيق الرزق، وبُغْض الخلق له.

5- سوادٌ في الوجه وعبوسٌ، لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [آل عمران: 106][2].

6- والمعصية سببٌ لهَوَان العبد على ربه، وسقوطه من عينه، قال الحَسَنُ البصريُّ: "هانوا عليه فعَصَوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الحج: 18]، وإنْ عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفاً من شرهم، فهم في قلوبهم أحقرُ شيءٍ وأهونُه[3].

فعن الحارث بن سويد، حدثنا عبد الله بن مسعود، حديثين: أحدهما: عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، والآخر عن نفسه، قال: "**إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ**"[4].

---

(1) يُنظر: التويجري، موسوعة فقه القلوب (ج1/982).

(2) يُنظر: القرني، لا تحزن (ص214).

(3) يُنظر: ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص58).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الدعوات/ التوبة، 67/8: رقم الحديث 6308].

وهذا دليل على قوة إيمان المؤمن، وشدة خوفه، فلا يأمنُ العقوبةَ بسبب ذنوبه، فهو دائمُ المراقبة والخوف يستصغر عمله الصالح، ويخاف من عدم قبوله، أما الكافر فلا يبالي بذنوبه لاعتقاده ألّا ضررَ سيصيبه بسببها، فهو لقلة عمله يقلُ خوفَه فيستهينُ بالمعصية، وجاء بالذباب وعبر عنه لكونه أخفَّ الطير وأصغره، ولأنه يُدفعُ بالأقل للمبالغة في اعتقاده خفة الذنب عنده[1].

وبعد هذا ما الذي ينتظره المسلم القابع خلف أسوار ذنوبه،؟ فليسارع ويُقبل على ربه بقلبٍ مخلص، ويسأل الله التفريج لما آل إليه حال أمتنا من قتلٍ وتجويعٍ، وتشريدٍ في كل بلاد العالم الإسلامي، وأن ينصر الثُلَّة المؤمنة، ويحققَ النصرَ على أعداء الدين والأمة الإسلامية، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

فأبشري أيَّتُها الأمة بِمَا يَسُرُكِ واصبري واثبتي، فإن ما تمرين به لهو مرحلةٌ مؤقتةٌ سيأتي بعدها الخير والصلاح.

2-عظمةُ الخلقِ تدلُ على عظمةِ الخالق:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 29]، إن الآيات الكونية من حولنا، لا بد لها من عقلٍ بصيرٍ ناقد، ليتأمل ما تدل عليه من عظمة خالقها سبحانه.

وقد كرّر القرآن الكريم ذكر الكون؛ لأنه يتخذ من خلق الوجود دَليلاً على من أنشأه، فكان بمقتضى النهج النوراني، ولا بد أن الكون وما فيه من خلق عظيم يدل على منشئِه وحده، ولا تكاد تجد سورةً مكيةً، أو مدنيةً خَلَت من ذكر الكون وما يتصل به، وإنَّ ذلك ليوجّه نظر الإنسان إلى أنه جزءٌ صغيرٌ من هذا الكون، ليربطه به وليتعرف أسراره وأحواله، وليعلم بأنه صغيرٌ، ومع ذلك سخَّر الله له هذا الكون الكبير، لقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57][2].

إنَّ من بديع خلق السماوات أنه لا ذرةَ فيها تنفكُ عن حكمةٍ، بل هي أحكم خلقاً وأتقن صنعاً، وأجمع العجائب من بدن الإنسان، بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السماوات، حيث

(1) يُنظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (ج178/9).

(2) يُنظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن (ص369).

يقول جلَّ وعلا: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: 27-28]، وقلّما تجد سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها إما إخباراً عن عظمتها، أو إقساماً بها، أو دَعوةً إلى النظر فيها، وإما إرشاداً للعباد ليستدلوا بها على عظمة بانيها، أو استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، فيقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: 1]، ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ [الطارق: 11]، ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: 1][1].

أخبر الله -جلَّ وعلا- بأنَّ السماءَ والأرض تقومان بأمره لهما، وتسخيرهما إياهما، فهو يمسك السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم: 25]، وقال تعالى: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾ [الحج: 65]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: 41]، فهو سبحانه مَنْ خلقَ وقهرَ كل شيءٍ وغلبه، وهو المالك المتصرف فيه وإنَّ المشركين أنفسهم لم ينكروا ذلك.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنَّ هذه الآية الكونية تسبح الله وتقدّسه، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: 44].

إنَّ التسبيح لغة الكون كله، منه ما نفهمه، ومنه ما لا نفهمه إلا من أطلعه الله عليه، فكثيراً ما يغفل الإنسان عن الاستدلال بظواهر الكون وآياته دلالة الحال، فيقف على قدرة الله وبديع صنعه، ويغفل عن تسبيح الله تسبيح المقال، فإذا كانت كل الأجناس من جمادٍ ونباتٍ، وحيوانٍ تسبح الله لا تتخلف عن شيءٍ، فلماذا يشذُّ الإنسان عن منظومة التسبيح في الكون! وهو المخلوق الوحيد المُكّرم الذي ميَّزه الله بالاختيار[2].

بل إنَّ السماوات كادت تتفطَّر عند دعوة المشركين أنَّ لله ولداً، فقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [مريم: 90-91]، تكاد هذه

---

(1) يُنظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج1/196-197).

(2) يُنظر: الشعراوي، الخواطر (ج14/8566-8567).

المخلوقات تتفطر عند سماعها هذه المقالة من فَجَرةِ بني آدم، إعْظاماً للرب وإجلالاً؛ لأنهن مخلوقاتٌ ومؤسَسَاتٌ على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، ولا نظير له ولا ولد، بل هو الأحد الصمد[1].

وقد أخبر الله سبحانه أنَّه خاطبَ السماواتِ والأرضَ خطابَ العقلاء، فقال جلَّ في علاه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11]، أي جِيْئَا بما خَلقتُ فيكما من المنافع والمصالح، وأخرجاها لخَلْقِي[2]. وقد فسّرَ ابن عباس – رضي الله عنه– الآية فقال: "أي أطلعي شمسك وقمرك ونجومك يا سماء، وشُقِّي أنهارَك فأخرجي ثمارك ونباتك يا أرض"[3].

قال أكثرُ أهل العلم: خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد الله، ولمَّا وَصَفَهنَّ بالقولِ والإجابة، وذلك من صفات من يَعْقلُ أَجْرَاهُمَا في الكناية مجرى من يَعْقِل[4].

وقد أمر الله نبيَّه –صلى الله عليه وسلم– بالتفكر في الآيات الواضحات النيّرات، فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، فأنت إذا تأملت هذا العالم ببصرك، واعتبرته بفكرك، وجدته كالبيت المبنيّ المُعَد، فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنُهُ من آلةٍ وعَتَادٍ فالسماءُ مَسْقوفة، والأرض مبسوطة، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، ثمَّ إنَّ الله قد حضَّهم على النظر في ملكوت السماوات والأرض، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185]، فلينظروا نظَرَ تفكُّرٍ وتدبُّرٍ حتى يستدلوا بكونها محلاً للحوادث والتغيرات على أنها مُحْدَثات، وأن المُحْدَث لا يستغني عن صانعٍ يصنعه على هيئة لا يجوز عليه ما يجوز على المُحْدثات[5].

---

(1) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج266/5).

(2) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج343/15).

(3) الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن (ج37/4).

(4) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج344/15).

(5) يُنظر: البيهقي، الاعتقاد (ص37–38).

المطلب الثالث

دلائلُ أُلوهيتِهِ في خَلْقِ البِحَارِ

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ۝٣٤﴾ [الشورى: 32-34].

- **المعنى الإجمالي:**

إنَّ من آيات الله الباهرات جريان السفن على متن البحار، وهي تسير في سيرها شبَّهها الله بالجبال لارتفاعها، ولا تستطيع هذه السفن السير والجريان إلا بالرياح، فإن سَكَنَت الريح عنها وأمسكت عن الهبوب، ركدت وبقيت واقفة، فإذا شاء ربُنَا سبحانه أغرق هذه السفن بما كسب أصحابها من الذنوب، أو يعفو عن أصحابها إن شاء العفو عنهم، وفي ذلك آياتٌ عظيمةٌ دالةٌ على ما ذُكر من شئونه، لكل مؤمن كاملٍ يكل همته بالنظر في آيات الله والتفكر فيها، فالإيمان نصفه صبر، ونصفه الآخر شكر[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

لمَّا جرى تذكيرهم بأنَّ ما أصابهم من مصيبة هو بِسَبب اقترافهم الذنوب، وتذكيرهم بحلول المصائب تارةً وكشفِها تارة أخرى، أعقب سبحانه بأنَّهم في الحالتين لن يستطيعوا الخروج عن قبضة القدرة الإلهية، فساق لهم ذكر هذه الآية جامعةً؛ لتكون مثالاً لإصابة المصائب، وظهور آثارها المُخِيفة المذكِّرة لهم بما يغفلون عنه من قدرة الله، والتي قد تأتي بما أُنْذِرُوا به[2].

---

(1) يُنظر: السيوطي، الدرُّ المنثور (ج356/7)، ويُنظر كذلك: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج32/8).
(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج105/25).

- **المفردات اللغوية:**

1- الجوار المنشآت: جمع جارية، والجَوَاري تعني: السفن، وهُنَّ مرفوعات الشُرُعْ[1]، وهي السفن الجارية في عَرْض البحار[2].

2- الأعلام: "مفردها العَلَم، وهو الجبل الطويل"[3]، ومنه قول الخنساء في أخيها:

وإنَّ صَخْراً لتأتمُّ الهُدَاةُ به كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نَارُ"[4]

وهو يشمل كل ما يُهتدى به كالراية أو الجبل، ومنه: نارٌ على علم: أي شخصٌ معروفٌ بين الجميع، كالنار في رأس الجبل لا تخفى على أحد[5].

3- رَوَاكِدَ: "أي سَوَاكن على ظهر البحر"[6]، "وتأتي بمعنى وقوفاً"[7]، وركدت السَفينة: أي أَرْسَتْ ومفردها راكد[8]. "ويستعمل الركود في الماء والريح والسفينة"[9]. وتعني الاستقرار والثبوت.

4- يُوْبِقْهُنَّ: من وَبَقَ، يوبق ووبق إذا هَلَكَ، وأوبقه الله أي أهلكه بذنوبه[10].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: 33]، يقال: إنَّ الريح لم ترد في القرآن إلا عذاباً، بخلاف الرياح، وهذه تخرم الإطلاق، فإن الريح المذكورة

---

(1) يُنظر: الكَجَراتي، مجمع بحار الأنوار (ج314/4).

(2) يُنظر: الخُضيري، السراج في بيان غريب القرآن (ص271).

(3) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج4712/7).

(4) الخنساء، ديوان الخنساء (ص45).

(5) يُنظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1543/2).

(6) ابن قتيبة، غريب القرآن (ص393).

(7) أبو البقاء، الكليات (ص483).

(8) يُنظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج113/8).

(9) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج97/3).

(10) يُنظر: النحَّاس، معاني القرآن (ج318/6).

هنا نعمةٌ ورحمةٌ، إذ بواسطتها يسيّر الله السفن في البحر، ولا يُنكَر أنَّ الغالب من ورودها مفردة ما ذكروه، ولكن ليس على إطِّراده[1].

2- قال تعالى: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الشورى: 34]، أوقع الإيباق أي الإهلاك على السفن مع أنه حالٌ لأهلهن، وذلك للمبالغة والتهويل، والمراد إهلاك أهلها[2].

3- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [الشورى: 33]، فيها موعظةٌ وتشريفٌ لكلِ صبارٍ وشكورٍ بالتخصيص، فكلاهما من صيغ المبالغة، ولا تكونان هاتين الصفتين إلا في عالِم.

4- قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الشورى: 32]، "تشبيه مرسل مجمل، حُذِف منه وجه الشبه، أي كالجبال في الضخامة والعِظَم"[3].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-الصبرُ والشكرُ من صفات المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [الشورى: 33].

إنَّ حال المؤمن في كل مكان، لا ينفك عن أمرين، إما نعمةٌ يتقلب في آثارها فيشكرها، أو مصيبةٍ يصبر عليها، ولا حال ثالثة له.

وقد جعل الله سير السفن في البحار آيةً لكل صبَّارٍ شكورٍ؛ لأن في الحالتين خوف ونجاة، فالخوف يدعو إلى الصبر، والنجاة تدعو إلى الشكر، ومراده سبحانه أن في ذلك آياتٍ لكل مؤمنٍ متخلقٍ بِخُلُق الصبر على الضّرّاء والشكر للسَّراء[4].

---

(1) يُنظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج47/25).

(2) يُنظر: الهرري، حدائق الرَوْح والريحان في روابي علوم القرآن (ج122/26).

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج67/25).

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج106/25).

وهذا مصداقٌ لقول صهيب –رضي الله عنه–، أنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، وَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ**"[1].

فلا بد للمسلم من فهم المعادلة فهماً صَحيحاً، فليس كل من كَثُرت عليه الدنيا قد أكرمه الله، ولا كل من قُدِّرت عليه قد أهانه الله، بل قد يوسعها الله على أعدائه إملاءً واستدراجاً، وقد يقدِّرها على أوليائه صيانةً وحمايةً وحفظاً، وهذا مما لا يعتقد به المنافق والجاهل، فيقول الله عنهم: ﴿**فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ**﴾ [الفجر: 15–16][2].

ومن أجمل أنواع الصبر: الصبر الجميل، الذي أمر الله به نبيَّه محمد –صلى الله عليه وسلم– فقال: ﴿**فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا**﴾ [المعارج: 5].

وقد عرّفه ابن تيّميَّة فقال: "هو الصبر بلا شكوى، ومنه قول يعقوب –عليه السلام–: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: 18]، فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل"[3].

قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإن انقطع الرأس بار الجسد، ألا لا إيمانَ لمن لا صبرَ له"[4].

فدنيانا التي نحياها لا بد لها من الصبر حتى نستطيع العيش فيها مع الأكدار، والأمراض والأسقام، فنحن أهل غزة عُرِفنا بالصبر منذ أن وُجِدنا، وقد مرت علينا ثلاث حروب رأينا فيها العَجَبَ العُجاب، ولن نجد زاداً نتزوَّدُ به أفضلَ من الصبر، وقد ابتُلِينَا بكل أصناف البلاء التي ذكرها الله في القرآن، فقال سبحانه: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [البقرة: 155]، فالإيمان نصفان: أحدهما الصبر، والآخر الشكر.

---

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الجنائز وما يتعلق بها/ ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، 155/7: رقم الحديث 2896]. صحّحه الألباني.

(2) يُنظر: السخاوي، السر المكتوم في الفرق بين المالين المحمود والمذموم (ج1/152–153).

(3) ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة (ص99).

(4) ابن تيمية، دقائق التفسير (ج1/211).

إنَّ عنوانَ سعادة العبد، وعلامةَ فَلَاحِه في دنياه وأُخْرَاه ثلاثة أمور، إذا أُنعم عليه شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فهو دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاثة، ولا يكون شكر النعم إلا بثلاثة أركان: الاعتراف بها باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وتصريفها في مرضاة وليِّها ومُسْدِيها ومُعْطِيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكره، أمَّا الصبر فهو: حبس النفس عن التسخط بالمقدور، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن المعصية، فإنَّ الله لم يبتلِهِ ليُهْلِكه، وإنَّما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله على العبد عبودية الضرّاء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، لكنَّ أكثر الخلق يُعْطون العبودية فيما يحبون دون ما يكرهون[1].

إنَّ من فضائل هاتين الصفتين أنَّ الله وصف بهما رسله، فقال في حق أيوب -عليه السلام-: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44]، وقال الله في حق نوحٍ -عليه السلام-: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسرار: 3].

"قال سُليمان التَيْمِيّ(*): "إنَّ الله -عزَّوجل- أنعم على عباده بقدر طاقته، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم، قالوا: كل شكر وإن قلّ، ثمنٌ لكل نوال وإن جلّ"[2].

وإنَّ الصبر والشكر أيضاً لتدخلان في صفات الرب -جلَّ جلاله- وهو الصبور الشكور، ولو لم يكن للصبر والشكر من الفضيلة إلا ذلك لكفى به، وأما عن صبره -سبحانه- فمتعلقٌ بكفر العباد وشِرْكهم ومسبَّتِهم له -سبحانه- وارتكابهم لأنواع المعاصي والفجور، فلا يدفعه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على عبده، ويمهله ويستصلحه حتى يتوب ويعود[3].

عن عبد الله بن قَيْسٍ -رضي الله عنه- قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنْ اللَّهِ عزَّوجل إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**"[4].

---

(1) يُنظر: ابن القيم، الوابل الصيّب من الكلم الطيّب (ص5).

(*) سليمان التيمي: هو ابن طرخان أبو المعتمر، كان ينزل في بني تميم، وهو مولى بني مرة، وهو أحد الحفاظ البصيرين الثلاثة، قيل أنه: ثقة، ومن أهل الحديث. يُنظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج4/124-125).

(2) القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس (ص67).

(3) يُنظر: ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص276).

(4) [المنذري: مختصر صحيح مسلم، التوبة وفضلها وسعة رحمة الله/ما أحد أصبر على أذىً من الله عزوجل، 512/2: رقم الحديث 1927].

وأما عن تسميته سبحانه بالشاكر، ففي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147]، وتسميته بالشكور، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: 17]، إنَّ الله يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوق يشكر من أحسن إليه.

يقول الله –عزَّوجل–: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، فشكر النعم يوجب الزيادة.

وقد علّق الله –سبحانه– في الآية السابقة المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له، كما لا نهاية لشكره، وقد أطلق جزاء الشكر إطلاقاً، حيث ذكره في قوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آلِ عِمْران: 145].

ولما عرِفَ عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه أجلُّ المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأَعْرَاف: 17].

وإنَّ يوسف الصدِّيق –عليه السلام– لما احْتمل ضيق السجن، شكر الله له ذلك بأن مكَّن له في الأرض يتبوأُ منها حيث يشاء، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56].

فَحَرِيٌّ بكل مسلم في هذا العصر، أن يجعل الصبر والشكر صديقان متلازمان له في كل أحواله، فكلما ازداد منهما زاده الله عِزَّاً وتشريفاً في الدنيا والآخرة.

2–البحرُ مخلوقٌ من خَلْق اللهِ –عزَّوجل–:

ذاك المخلوق العظيم، الذي يرتاده العباد ليَستجمُّوا برؤيته، والمعلولون يستشفون بالنظر إليه إنَّ في خلقه لآياتٍ وعجائب ، وهذا الموج العظيم الذي تتلاطم أمواجه فتجوب الأرض طولاً وعرضاً لابد له من خالق عظيم.

إنَّ هذه البحار المكتنفة لأقطار الأرض التي هي خلجانٌ من البحر المحيط الأعظم بجميع الأرض، فالمكشوف من الأرض بالنسبة إلى الماء كجزيرةٍ صغيرةٍ في بحر عظيم، وبقيَّة الأرض مغمورةً بالماء، ولولا إمساكُ الرب –تبارك وتعالى– له بقدرته ومشيئته، وحبسه الماء لطفح على الأرض وعلاها كلها، وهذا من طبع الماء وهو الذي حيَّر عقلاءَ الطبيعة في سبب بروز هذا الجزء

من الأرض مع اقتضاء طبيعة الماء للعُلوِ عليه، فلم يجدوا ما يحيلون عليه ذلك إلا الاعترافُ بالعناية الأزليَّة، والحكمة الإلهيَّة في خلق هذا المخلوق[1].

ومما يتعلق بمياه البحار من الأحكام، جواز الوضوء بمائه؛ لأنَّه طاهر، فقد قال أبو هريرة –رضي الله عنه– سأل رجلٌ النَّبيَّ –صلى الله عليه وسلم–، فقال: يا رسول الله إنَّا نركبُ البحرَ ونحمل معنا القليلَ من الماء، فإنْ توضأنا به عطشنا، أفنتوضأُ من ماء البحر؟ فقل: "**هُوَ الطُّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**"[2].

وفي هذا الحديث يظهر جلياً فضل النبي –صلى الله عليه وسلم– في التعليم، حيث كان من عادته إذا دعته الحاجة إلى ذكر شيءٍ أضاف إلى الجواب إضافةً جميلة، فقولُهُ الطهور ماؤُهُ جواب السؤال، والحِلُ ميْتَتُه زائد، لكن لما كان الناس في البحر يحتاجون إلى الأكل بيَّن أنَّ ميْتَتَه حلال[3].

"وقد ذهب الحنفية والمالكية، والشافعية والحنابلة إلى جواز استعمال ماء البحر في الطهارة من الأحْدَاث والأنجاس من غير كراهةٍ، وهذا مذهب جمهور الصحابة والتابعين"[4].

وفي الحديث المُتَقَدم حكمٌ آخرٌ، وهو حِلُّ طعام البحر، وهذا ما أكَّده القرآن الكريم، فقال –عزَّوجل–: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**﴾ [المائدة: 96].

"وفيه دليل على أن حكم جميع أنواع حيوان البحر إذا ماتت سواءٌ في الحِلِّ، وهو ظاهر الآية"[5].

فعن عبد الرحمن، مولى بني مخزوم أن أبا بكر –رضي الله عنه– قال: "**ما في البحر شيءٌ إلا وقد ذَكَّاه الله –عزَّوجل– لكم**"[6].

---

(1) يُنظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج204/1).

(2) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، الطهارة/المياه ذكر الخبر المُدحض قول من نفى جواز الوضوء بماء البحر، 49/4: رقم الحديث 1243]، صحَّحه الألباني.

(3) يُنظر: ابن عثيمين، شرح الأربعين النووية (ص298).

(4) عبد الجبار، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (ج97/23).

(5) البغوي، شرح السنة (ج57/2).

(6) ابن سلَّام، الطهور (ص299).

وذكر الشافعيُّ صنفين من ذوات الأرواح: صنفٌ لا يحل إلا بأن يُذَكيه مَنْ تحل ذَكَاتُهُ، والصيد والرمي ذكاةُ ما لا يقدر عليه، والآخر يحل بلا ذكاة مَيّتُه ومقتُولُه، وهو الحوت والجراد، فإذا كان كل منهما يحِل بلا ذكاةٍ حَلَّ مَيّتاً فأيُّ حالٍ وجدتُهُما مَيّتاً أُكِلَ لا فرق بينهما[1].

ومما يدلل على صحة ما قاله الشافعي، حديثٌ صحيحٌ رواه عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ: الْحُوتُ، وَالْجَرَادُ**"[2].

(1) يُنظر: الشافعي، الأم (ج255/2).

(2) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الصيد/صيد الحيتان والجراد، 1073/2: رقم الحديث 3218]، صحَّحه الألباني.

المطلب الرابع

حقيقةُ الدَّارِ الدُّنيوية

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: 35-36].

- **المعنى الإجمالي:**

تنص الآيات على أن الذين كفروا والمجادلين في آيات الله -عزَّوجل-، لا مفرَّ لهم ولا مهربَ من ربهم، ومن نزول العقاب بهم على كفرهم وتكذيبهم، ثمَّ وعظ اللهُ تعالى عبادَه، وحقّرَ عندهم أمر الدنيا وشأنها، ورغَّبهم فيما عنده من النعيم والمنزلة الرفيعة لديه، وعظّم قدر ذلك ليعلموا صحة ما أتت به الآيات القرآنية[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

لمَّا ذكر الله دلائل التوحيد أردفها بالتقليل من قيمة الدنيا وتحقير شأنها؛ لأنَّ الذي يمنع من قبول الدليل والحجة، إنما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه، فإذا صَغُرت الدنيا في عين الرجل لم يلتفت إليها، فحينها ينتفع بذكر الدلائل على وحدانية الله، فالحسُ شاهدٌ بأن كل ما يتعلق بالدنيا سريع الانقراض والانقضاء[2].

- **المفردات اللغوية:**

1- محيص: من حَيَصَ وحاص عن الحق يحيص حَيْصاً، وحُيُوصت ومَحيصاً ومحاصَّاً كلها بمعنى حاد عنه وعدل، ومنها قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: 48]، أي مَعْدَلٍ يلجئون إليه[3]، "ومعنى المحيص في كلام العرب: الملجأ والمحيد، يقال: حاص

(1) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج39/5).
(2) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج603/27).
(3) أبو العباس، المصباح المنير (ج159/1).

يحيص حَيْصاً إذا عدل"[1]. "ومَحَص الظبي في عَدْوِه يَمْحَص مَحْصاً: أي أسرع"[2]. وفي الآية تأتِي بمعنى المكان الذي يُهرب فيه، أو الهروب نفسه.

2- متاع: "من مَتَع الميم والتاء والعين، أصلٌ صحيحٌ يدل على منفعةٍ وامتدادِ مُدّةٍ في خير، ومنه استمتعت بالشيء والمتعة والمتاع: المنفَعَة في قوله تعالى: ﴿**بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ**﴾ [النور: 29]"([3]). والمتاع: ما يستمتع به الإنسان في حوائجه من أمتعة البيت ونحوه من كل شيء، والدنيا متاع الغرور، تقول: إنما العيشُ متاعُ أيّامٍ ثمَّ يزول[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿**مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ**﴾ [الشورى: 35]، "حذف متعلِّق المحيص؛ إبهاماً له وتهويلاً للتهديد لتذهب النفس فيه كَلَّ مَذهبٍ ممكن"[5].

2- قوله تعالى: ﴿**وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الشورى: 36]، قدَّم الجار والمجرور؛ لإفادة التخصيص والقصر، أي على الله وحده يعتمدون.

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-يا أهلَ الجنَّةِ خُلُودٌ فلا مَوْت:

قال تعالى: ﴿**وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾ [الشورى: 36]، إنَّ ربَّ العزة -سبحانه- إذا وعد بشيءٍ فهو أحقُ مَنْ يفي بوعده، وهو الأصدق قيلاً وحديثاً، ولا يجوز في حقه -سبحانه- خَلْفُ الوعد، فيقول سبحانه: ﴿**إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا**﴾ [الإسراء: 108].

فقد وعدنا -سبحانه- بأننا لو تركنا الدنيا ومتاعها الزائل؛ رضىً بما قسم الله لنا سيعطينا ما هو أفضل منها، ألا وهي جنةٌ عرضها السماوات والأرض، وقد أخبرنا الله عنها في آياتٍ من كتابه المبين.

---

(1) الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس (ج373/1).

(2) ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم (ج171/3).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج293/5).

(4) يُنظر: الفراهيدي، العين (ج83/2).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج109/25).

فإذا تأملت كيف ستكون هذه الجنة وكيف الخلود فيها بلا موت؟، حتماً سيعجز العقل عن تصور هذا وذاك، كيف لا؟ ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– أكدَّ ذلك، فعن أبي هريرة، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْؤُسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**"[1].

فإذا قلنا: إنَّ الخلود بنظرتنا في الدنيا مليون سنة أو مائة مليون قد لا يستطيع الإنسان تخيله، وهذا بأيامنا الدنيوية، فكيف يكون الخلود عند الله –عزَّوجل– في أيَّام يوم القيامة، وما بعدها من نعيمٍ أو جحيم؟[2].

يقول الحق سبحانه: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ**﴾ [هود: 108]، بعض الناس يفهمون خطأً، أنَّ الآية توحي بأنَّ نعيم الجنَّة موقوف، ومقيدٌ بدوام السماوات والأرض، وهذا الفهم لا شك في أنه غيرُ صحيح، فهذا يتعارض مع آياتٍ وأدلة صريحة في خلود المؤمنين الأبدي في الجنَّة، وكذلك الكفار في نار جهنم، منها قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ [فصلت: 28]، ولكنَّ الآيات تقرر للناس الذين يعيشون هذه الحياة أن الخلود يوم القيامة خلودٌ أبدي، لا ينتهي ولا يزول، ولكن الأفهام والخيالات لن تدرك ذلك ولن تستطيع تخيُّله، فأرادت الآيات أن تقرّب لهم الأمر بأن السماوات والأرض التي مرَّ عليها حتى الآن ملايين السنين، ولا يعلم كم بقي من عمرها إلا الله، وتعليق خلودهم بمشيئة الله لا يعني تحقق هذا الاستثناء عملياً، وإنما جِيء به لمعنىً اعتقاديٍ أساسيٍ أصيلٍ يتعلق بصفات الله، ومشيئته المطلقة التي لا يقيدها شيء[3].

ولنا أن نقيس هذه الآية التي تخص خلود الكافر في نار جهنم، على خلود المؤمن في جنة الخلد التي وعده الله إياها.

فلا بد للمسلم من أن يسارع ويغتنم دنياه؛ ليفوز بأُخراه، ويقدِّم الباقي على الفاني، فأعظم الخَلق غروراً من اغترَّ بالدنيا وعاجلها، فآثرها على الآخرة، ورضي بها من الآخرة، حتى يقول بعض هؤلاء: الدنيا نقدٌ، والآخرة نسيئةٌ، والنقدُ أنفع من النسيئة، وهذا من أعظم تلبيس الشيطان وتسويله،

---

(1) [أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة –رضي الله عنه–، 39/16: رقم الحديث 9957]، وإسناده صحيحٌ على شرط مسلم.

(2) يُنظر: حطيبة، تفسير أحمد حطيبة (ج430/5).

(3) يُنظر: الخالدي، تصويباتٌ في فهم بعض الآيات (ص222).

وكلنا يعلم بأنَّ الآخرة وهي النسيئة أفضل وأعظم من الدنيا وهي النقد، فكيف لنا الركون إلى الدنيا وهي من أوَّلها إلى آخرها كنَفَسٍ واحدٍ من أنفاس الآخرة، فعن المستورد بن شدّاد(*)، أخي بني فِهْرٍ قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ**"(1)، فإذا كان هذا نسبة الدنيا بمجموعها إلى الآخرة، فما مقدارُ عمر الإنسان بالنسبة إلى الآخرة، وأيُّما أولى بالعاقل، إيثار العاجل في هذه المدة اليسيرة وحرمان الخير الدائم في الآخرة، أم ترك شيءٍ حقيرٍ صغير منقطعٍ عن قرب ليأخذ ما لا قيمة له، ولا كفاية لعدده، ولا غاية لأمده(2).

وممَّا لا شك فيه أن نعم الله تعالى الموهوبة لا تحصى، وإنَّ أعلى هذه النعم وأشرفَهَا السعادةُ الأُخروية، فهي الخيرُ المَحْضُ والفضيلةُ الصَرْفْ، وهي أربعة أشياء:

بقاءٌ بلا فناء، وقدرةٌ بلا عجز، وعلمٌ بلا جهل، وغنىً بلا فقر، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل(3).

2–التوكُّلُ على اللهِ من صفاتِ المُؤْمِنينَ:

إنَّ من مستلزمات صحة الإيمان بالله، التوكل عليه في كل صغيرة وكبيرة، فالتوكل بابٌ للخير جامع، لا يخلو من منفعةٍ للمسلم في كل حَرَكَاته وسَكَنَاتِه.

حدثنا ضرارة بن مُرَّة، عن سعيدٍ قال: "التوكلُ على الله جماع الإيمان"(4). وقد عَرّف الهرويُّ التوكل فقال: "التوكل هو وَكْلُ الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته، وهو من أصعب منازل

(*) المستورد: ابن شداد الفِهري القرشي من بني الحارث بن فهد، سكن مصر، روى عنه قيس بن أبي حازم، وأمه دَعْد بنت جابر، مات بمصر سنة 45 هـ بالإسكندرية. يُنظر: ابن مَنْجُويَة، رجال صحيح مسلم (ج267/2)، وأبو نعيم، معرفة الصحابة (ج2602/5).

(1) [ابن حبان: صحيحُ ابن حبان، كتاب الأيمان، ذكر البيان بأن المرء جائزٌ له أن يحلف في كلامه، 173/10: رقم الحديث 4330]، صحَّحه الألباني.

(2) يُنظر: ابن قيّم الجوزية، الداءُ والدواء (ج79/1–81).

(3) يُنظر: الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص106).

(4) ابن السرى، الزهد (ج304/1).

العامَّة عليهم، وأوْهَى السُّبل عند الخاصة، لأنَّ الحق سبحانه قد وكل الأمور كلها إلى نفسه، وأيأس العالَم من مُلك شيءٍ منها"[1].

وممَّا يدل على فضل التوكل، مجيء الكثير من الآيات القرآنية في استحبابه والدعوة إليه، وبيان فضائله، فقد قال جلَّ في عُلَاهُ: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ**﴾ [الطلاق: 3]، أي كافيه عن الخلق كلهم، وليس فقط هذا بل إنَّ المتوكلين أحبابُ الله تعالى، حيث قال سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: 159].

فأَعْظِمْ بمقامٍ عظيمٍ بمحبة الله تعالى لصاحبه، وكفاية الله تعالى لحوائجه!، فمن كان الله حسْبُهُ وكافِيه ومُرَاعِيه، ومُحِبّه فقد فاز الفوز العظيم، ومادام الله قد قال في كتابه العزيز: ﴿**أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ**﴾ [الزمر: 36]، فمن يطلب الكفاية من غيره، ويترك التوكل عليه يكون ممَّن كذّبَ بهذه الآية[2].

ومن معاني التوكل على الله أيضاً، قولُ عبّاد بن منصور: سُئل الحسن عن التوكل، فقال: "الرضا عن الله –عزَّوجل–"([3]).

وكلنا يعلم بحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي رواه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**"[4].

سُئل الحارث بن أسد –رحمه الله– عن قول الله تعالى: ﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: 23]، ما السبيل إلى هذا التوكل الذي ندب الله المؤمنين إليه؟ فقال: "الناس يتفاوتون في التوكل، وتوكُلُهُم على قدْرِ إيمانهم وقوةِ علومهم، قيل: ما معنى قوة إيمانهم؟ قال: تصديقهم لِلْعِدَة وثقتُهُم بالضمان، ودوام سكون القلب من الاضطراب، والاعتماد على الله وترك الحِيَل، ... ثم قال:

---

(1) الهروي، منازل السائرين (ص44).

(2) يُنظر: الغزالي، إحياء علوم الدين (ج243/4).

(3) الخلدي، الفوائد والزهد والرقائق والمَرَاثِي (ص32).

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الزهد، بابٌ في التوكل على الله، 573/4، رقم الحديث 2344]، صحَّحه الألباني.

ونِعْمَ التوكل هو الاعتماد على الله بإزالة الطمع من سوى الله، وترك تدبير النفوس في الأغذية، والاستغناء بالكفاية، وموافقة القلب لمراد الربّ، والقعود في طلب العبودية، واللجوء إلى الله"[1].

لكننا لو نظرنا من حولنا نجد أن كثيراً من المسلمين في هذا العصر لا يحققون التوكل على حقيقته، بل يخلطون بينه وبين التواكل دون حذرٍ أو انتباه، فتجد بعضهم يرقد في مسكنه ينتظر أن يرزقه الله الرزق الذي حدّده له، وما دَرَى بأن الرزق لا بد من السعي إليه حتى يناله، وإن قُدِّرَ له سابقاً، وكُتبَ في اللوح المحفوظ.

لَكِنْ هناك سؤال يطرح نفسه في هذا المضمار، هل اتخاذ الأسباب يتنافى مع التوكل؟

إنَّ الواجب على المؤمن أن يعتمد على ربه، ويحسن الظن به، ولكن يفعل الأسباب الشرعية والقَدَرية الحسية التي أمر الله بها، لأنَّ أخذ الأسباب الجالبة للخير، المانعة من الشر، من الإيمان بالله تعالى وحكمته، ولا تُنَافي التوكل، فَهَا هو سيِّدُ المتوكلين محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان يتخذ الأسباب الشرعية والقدرية، فكان يلبس الدروع في الحروب، وقد خَنْدق على المدينة حين اجتمع أحزاب الشرك حولها حمايةً لها، لكن يجب على المسلمين حين يتوكلون، أن يكون اعتمادهم على الله، فيستعملوا الأسباب بمقتضى شرع الله على أنها أسبابٌ أَذِنَ الله لهم فيها، لا على أنها الأصل في جلب المنافع ودفع المضار، وأن يشكروا الله تعالى حيث يسَّر لهم مثل هذه الأسباب[2].

ثمَّ اعلم يا رعاك الله أنَّك والخَلقُ جميعاً مضطرون إلى الله في كل حال وحركة وسُكُون؛ لأنَّه الغني وحده، فمن وثق بالله استغنى به؛ لأنَّ الله حسبه وفي الله خَلْف من جميع الخلق، وليس في أحد من الخلق خلف من الله، فإذا علمت أن الله حَسْبُ من توكل عليه، فكيف تطلب الكفاية بالتوكل على الخلق الضعفاء!؟، واعلم بأنَّ الله خصَّ المتوكلين عليه بمنازل السلامة، وحجب عنهم كلَّ ندامةٍ، فهم ينظرون إلى الله فيما يأملون قد حجب قلوبهم عمَّا سواه[3].

---

(1) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج103/10).

(2) يُنظر: ابن عثيمين، فتاوى أركان الإسلام (ص60–61).

(3) يُنظر: المحاسبي، آداب النفوس (ص193،195).

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الشورى من الآية (37-46)

المطلب الأول

عِبَادُ الرَّحْمَنِ

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: 37-40].

- **المعنى الإجمالي:**

يصف الله المؤمنين الذين أعد لهم الثواب والجنة في الآيات، فهم الذين يبتعدون عن ارتكاب كبائر الإثم: كالقتل والزنى والسرقة، ويجتنبون الفواحش من قولٍ أو فعلٍ، وإذا ما غضبوا كظموا غيظهم، وعفوا عمن أغضبهم، وهم الذين أجابوا ربهم لمَّا دعاهم إلى الإيمان به، وتوحيده وإطاعة أمره، وأقاموا الصلاة، وأدّوها حق أدائِها، وأتمُّوها بركوعها وخشوعها، ولا يُبْرِمون أمراً حتى يتشاوروا فيه، وينفقون مما آتاهم ربهم في سبيل الخير والبر، وهم الذين ينتصرون من البغاة والمعتدين، فلا يستكينون ولا يخضعون، وهم قادرون على ردّ الظلم والعدوان عن أنفسهم، وجزاء ما يفعله المُسِيءُ من السوء هو أن يعاقَب وفق ما شرع الله من عقوبةٍ لجُرْمه، فمن عفا عن مُسِيءٍ، وأصلح ما بينه وبين من عاداه، فإنَّ الله يجزيه على فعله أعظم الجزاء، والله لا يحب المتجاوزين للحدود، المعتدين على العباد[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

لمَّا ذكر الله أنَّ من صفات الذين آمنوا التوكل على الله، عطف عليها صفاتهم الأخرى من اجتنابٍ للفواحش، والمغفرة عند الغضب، وبيَّن أنهم يستجيبون لله بكل ما أمرهم به من الصلاة،

(1) يُنظر: حومد، أيسر التفاسير (ص4188-4191).

وذكر بأنهم يتشاورون في كل أمورهم، وينفقون ممَّا رزقهم الله، وينتصرون عند الإساءة إليهم، فهم لا يقبلون الذلَّة في دينهم وأنفسهم.

- **المفردات اللغوية:**

1- كبائر: جمع كبيرة، وهي كل إثمٍ منهيٌ عنه شرعاً، ووردت فيه عقوبة شرعية، وعكسها صغيرة، وأمُّ الكبائر: الخمر[1]، وقال ابن عباس: "هي كلُ ذنبٍ ختمه الله بنار أو غضب، أو لعنة أو عذاب"[2].

2- الفواحش: جمع فاحشة وهي من فَحَشَ، يقال: أفحش في القول والعمل، وكل أمرٍ: أي لم يوافق الحق فهو فاحشة([3])، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ**﴾ [الطلاق: 1]، "أي أن تزنيَ فتَخرجَ للحدِّ"[4].

3- الشورى: "من شَوَرَ، شار الدابَّة في المشوار: أي عَرَضها للبيع، ومنها التشاور، وقولهم ترك عمر –رضي الله عنه– الخلافة شورى أي مُتَشاوراً فيها"[5].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ**﴾ [الشورى: 37]، "جيء بكلمة إذا المضمّنَة معنى الشرط؛ لأنَّ الغضب طبيعةٌ نفسيةٌ لا تكاد تخلو منه نفسُ أحدٍ على تفاوتٍ بينهم، وقدَّم المُسْند إليه على الخبر الفعلي في جملة "هم يغفرون"؛ لإفادة التَقَوّي"[6].

2- قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ**﴾ [الشورى: 39]، "ظاهر هذه الآية يبين بأنَّ الانتصار أفضل، وهو محمولٌ على من تعدَّى وأصر؛ لئلا يتجرَّأ الفُسّاق على أهل الدين، وآيات العفو هذه فيمن ندم وأقلع"[7].

---

(1) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1897/3).

(2) أبو حبيب، القاموس الفقهي (ص314).

(3) ينظر: الفراهيدي، العين (ج96/3).

(4) الهروي، تهذيب اللغة (ج111/4).

(5) الخوارزمي، المغرب في ترتيب المعرب (ص258).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج111/25).

(7) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، (ص230).

3- قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، "هي من باب تسمية الشيء باسم ضده، حيث سُمِّيَ الجزاء سيئةً وعدواناً"[1]. فالأولى سيئة حقيقة، والثانية ليست كذلك، وإنما سميت سيئة؛ لأنها مجازاةٌ للسوء، أو لأنَّها تسوءُ من تنزلُ به؛ ولأنَّه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة؛ لأنَّها إضرار، وإنما صارت حسنة لغيرها، وقد يكون تسمية الثانية سيئة إشارة إلى أن العفو مندوبٌ إليه[2]، وهي من باب المُزاوجة والمشاكلة.

4- قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: 40]، فيها فن التهذيب، وهو عندما يسند الفعل إلى الله ينبغي العدول عن إسناد الإساءة إليه، وهو من باب الأدب مع الله تعالى، ومثله قولُ إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: 40]، حيث ينسب المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه سبحانه، وفي هذه الآية فإن الانتصار لا يَكادُ يُؤْمَن فيه تجاوز السيئة والاعتداء، خصوصاً في حالة الغَوَران والغليان، وهذا من البديع الذي يسمو على ذوي الفكر والإبداع[3].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-فَضيلةُ كَظْمِ الغَيْظِ:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: 21]، إنَّ المتأمل والقارئ في سيرة حبيبنا المصطفى -صلوات ربي وسلامه عليه-، ليعلم علم اليقين كيف يكون الصفح وكظم الغيظ.

حيث جاء الأمر الربَّانيُّ له، فقال جلَّ في عُلاه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، وقد أخذ نبي الله هذا الأمر بالعفو، وإن أعظم عفوٍ رآه الوجود الإنساني هو عفو النبي -صلى الله عليه وسلم-، لقد كان من جميل عفوه وتسامحه في كل ما يخصه أنَّه لم يكن يغضب وينتقم لنفسه أبداً، بل كان يترك اللوم والعتاب ولو كان الذي أمامه خادماً، لكنه في المقابل كان شديد الغضب والإنكار ،إذا انتهكت حُرْمة من حرمات الله سبحانه، ولو

(1) الصرصري، شرح مختصر الروضة، (ج512/1).

(2) يُنظر: النسفي، مدارك التنزيل (ج258/3).

(3) يُنظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن، (ج53/25).

كان أمراً يسيراً، وهذا ممَّا يعظِّم أخلاقه، فكيف يجمع بشريٌ مهما أُوتِيَ من قوةٍ وحكمةٍ وصبرٍ بين عدم الغضب، إذا كان الأمر يخصُّه، ولو كان عظيماً، وبين شدة الغضب، إذا تعلق الأمر بحرمات الله، ولو كان يسيراً؟ إنها النبوة الحَقَّة[1].

وإنَّ السيرة النبوية والشمائل المحمدية لتزخر بهذه المواقف العظيمة، التي كَتَبَ فيها الكُتّابُ والأُدباء والعلماء مجلداتٍ لا تنتهي، ولعل المقام لا يتسع لها جميعاً، لكن نذكر منها موقفاً على سبيل المثال لا الحصر على عفو النبي –صلى الله عليه وسلم–، فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: **كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ "أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"**[2].

"وفي هذا الحديث فريدُ حلمه وصبره على الأذى في النَّفس والمال، والتجاوز عمَّن يريد تألفه على الإسلام"[3].

"ومعنى التفات النبي إليه وهو يضحك، فرحاً بما أنعم الله عليه من كثرة الحلم ومحاسن الأخلاق، أو تعجباً من جُرْأة الأعرابي"[4]. بأبي أنت وأمي يا حبيبي يا رسول الله ما أحلمك وما أعظمك!.

فلينظر المسلم من عفو نبيهِ وكظمه لغيظه، وليجعل ذلك نُصبَ عينيه في كل وقتٍ وحين، فقد امتدح النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي يُمسِك نفسه عند الغضب.

فعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ(*)، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**"[5].

---

(1) يُنظر: زواوي، شمائل الرسول –صلى الله عليه وسلم– (ج464/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، فرْض الخُمُس/ما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، 94/4: رقم الحديث 3149].

(3) القسطلاني، إرشاد الساري (ج226/5).

(4) الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (ج321/9).

(*) الصُّرعة: الذي يصرع الرجال ويغلبهم.

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ الحذر من الغضب، 28/8: رقم الحديث 6114].

ومعنى الغضب: "غليان دم القلب لإرادة الانتقام، فالمسلم الشديد القويّ هو الذي يكظم غيظه ويعفو، فمجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو، وهي الجهاد الأكبر والشجاعة الحقيقية"[1].

وإنْ نظرنا إلى المسلمين في عصرنا الحالي، فإنَّا نجد أنَّ الذي يعفو ويصفح يُتهم بأنه ضعيفٌ ذليلٌ مسكين، أمَّا الذي يضرب ويبطش، ويُعَنِّف هو الشخص القوي الشجاع الذي يأخذ حقه بذراعه، وهذا الفهم قد غزا كثيراً من العقول المسلمة الشَّابة، فنجد البعض يتهجم بل ويتعدَّى إلى أن يقتل أخيه حتى ينتصر لنفسه بعد تأليب الوشاة والمنافقين له على أخيه المسلم.

وإنَّ من فضائل كظم الغيظ والعفو عن الخلق، أنَّه يُورِّث حُبَّ الخلوة، وترك الحقد والشحناء، والعمل بسلامة الصدر[2].

"وقد رُوي عن ميمونَ بنَ مِهْران، أنَّ جاريةً له جاءت بمَرَقَة، فتعثَّرتْ فصبّت المرقة عليه، فأراد ميمون ضربها، فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قول الله تعالى: ﴿**وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ**﴾ [آل عمران: 134]، فقال: قد فعلت، فقالت: اعملْ بما بَعْدَه ﴿**وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: 134]، قال: عَفَوْت، فقالت: اعمل بما بعده ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: 134]، فقال ميمون: أحسنتُ إليك، فأنتِ حُرةٌ لوجه الله تعالى"[3].ما أجمل أخلاق أسلافنا كانوا يطبقون القرآن بمجرد سماعهم له، وهذا دليل على صدق إيمانهم وامتثالهم لربهم سبحانه.

ومن فضائله أيضاً النعيم المقيم في جنة الرحمن الرحيم، فعن سَهْل بن معاذ عن أميَّة، عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ**"[4].

واللهِ كفى بها من فضيلةٍ لكل من تُسوِّل له نفسه، وتحدِّثه بالغضب أن يعمل بهذا الحديث، فقد استحق هذا النعيم العظيم؛ لأنَّه قهر النفس الأمَّارة بالسوء، فالنفسُ مجبولةٌ في مثله على الانتقام، والمجازاة بالإساءة، وكان ذلك من آداب الأنبياء والمرسلين، حيث قال أنس –رضي الله عنه–:

---

(1) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (ج233/21).

(2) يُنظر: ابن أبي الدنيا، العُزلة والانفراد (ص79).

(3) السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص204).

(4) [أبو داود: سنن أبي داود، الأدب/باب من كظم غيظاً، 248/4: رقم الحديث 4777]، حسّنه الألباني.

"خدمت المصطفى –صلى الله عليه وسلم– عشر سنين، فلم يقل لي في شيء فعلته لم فعلته، ولا في شيء تركته لم تركته؟"[1].

ومن حياة السلف الصالح نذكر هذا الموقف الطريف الدال على حبهم لكظم الغيظ، بل وتَمَرُّسِهِم عليه:

"جاء غلامٌ لأبي ذرٍ –رضي الله عنه– وقد كسر رجلَ شاةٍ له، فقال له: مَنْ كسر رجل هذه؟ قال: أنا فعلتُهُ عمداً؛ لأغيظك فتنتصر مني فتأثم. فقال أبو ذر: لأغيظنَّ من حرّضك على غيظي، فأعتقه لوجه الله"[2].

2–الشورى دِعَامةُ الحكم الإسلامي:

قد امتدح الله المؤمنين وبين أن من صفاتهم التي ندبهم إليها المشورة فيما بينهم، فهي الحل الأمثل لكثيرٍ من مشكلات العصر الحالي، الذي أصبح يعجّ بالديمقراطيات الواهية الزائفة الكاذبة، التي يَكذبون بها على الشعوب ليسلِبوها خيراتها وثرواتها، فالشورى هي النظام الأمثل للحكم، فهي التي تحقق السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة، وإذا أتينا لتعريفها اصطلاحاً فقد وجدت لها كثيراً من التعريفات، لكنني ارتأيتُ هذا التعريف لكونه جامعاً وهو:

"طلب الرأي من أهله، وإجالة النظر فيه، وصولاً إلى الرأي الموافق للصواب"[3].

وإنَّ الناظر في حياة خير البشر، ومن تبعه بإحسان من الصحابة والتابعين، يجد بأنَّ الشورى كان لها الدور الأكبر في اتخاذهم القرارات الاجتماعية، والسياسية وحتى الدولية، فورد ذكرها في القرآن الكريم حيث أمر الله نبيَّه بالشورى، فقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

فهذه الآية جاءت خطاباً لرسول الله بصفته داعياً وهادياً، ومرشداً ومربياً، وهي تعم كل داعيةٍ وقائدٍ أو أميرٍ، بل إنَّ العلماء والمفسرين هم الأَوْلى والأَحْرى بهذا الأمر، فهذه الآية عُدّت قاعدة كبرى في الحكم والإمارة، وعلاقة الحاكم بالمحكومين[4].

---

(1) يُنظر: الخادمى، بريقةٌ محموديَّةٌ في شرح طريقةٍ محمديةٍ (273/2).

(2) ابن قُدَامة، مختصر منهاج القاصدين (ص183).

(3) المهدي، الشورى في الشريعة الإسلامية (ص28).

(4) يُنظر: الصَّلَّابي، الشورى فريضة إسلامية (ص18).

وقد ذكر ابن العربي في تفسير هذه الآية وبيان أحكامها، أنَّ الشورى أُلفةٌ للجماعة، ومسبارٌ للعقول، وسببٌ إلى الصواب، وما تشاور قومٌ إلا هُدُوا، وقد مدح الله المشاوِر في الأمور، ومدح الذين يمتثلون ذلك، وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يشاور أصحابه في أمور الحرب والسلم دون الأحكام الشرعية[1].

وإن كان النبي –صلى الله عليه وسلم– قد شاور أصحابه، لكنَّه غنياً عن مشاورتهم، والله سبحانه أراد أن يستنَّ بذلك الحكام بعده، ولا يُشاوِر إذا نزل به المشكل إلا عالماً بالكتاب والسنة[2].

وإنَّ منهاج الشورى يختلف باختلاف الجماعات والأحوال، وباختلاف الموضوعات، ولا نظام ضابطٌ لها، ولا بد أن يتحقق معنى الشورى في النظام على أن يكون أهل الشورى من ذوي العلم والخبرة، ولا شك أن المشاورة لها وقت معلوم، وهو وقت الدراسة والفحص، فإذا تمت المشاورة وجب الأخذ بالعزيمة في الأمر، والإقدام على العمل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: 159][3].

وقد قال الزُّهَريُّ(*): كان مجلس عمر مُغْتَصّاً من القُرّاء شباباً كانوا أو كهولاً، فربما استشارهم، فيقول: "لا يمنعنَّ أحدُكُمْ أن يشير برأيه، فإنَّ العلم ليس على قِدَم السنّ، ولا على حداثته، ولكنَّ اللهَ يضعه حيث يشاء"[4].

وإنَّ التعبير القرآني في الآية ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة، وهذا الطابع أعمُّ وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، بل إنه

---

(1) يُنظر: ابن العربي، أحكام القرآن، (ج4/91-92).

(2) يُنظر: الشافعي، تفسير الإمام الشافعي (ج1/496).

(3) يُنظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج3/1478).

(*) ابن شهاب الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن زهرة بن كلاب المدني، الشيخ الثقة، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، المدني، نزيل الشام، روى عن ابن عمر، وعن جابر بن عبد الله، ولد سنة 50هـ، وكان أحمر الرأس واللحية، وكان من أحسن الناس حديثاً وإسناداً، توفي سنة 124هـ وقبره بأَدْمَا. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج5/326،349).

(4) البغوي، شرح السنة (ج10/120)

طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، وهي من ألزم صفات القيادة وشكلها ليس مصبوباً في قالب حديدي، بل هو متروكٌ لكل بيئةٍ وزمان[1].

فلا عجب من أنَّ تحقيق الشورى إحدى مقاصد القرآن الكريم، فهذه الآية وردت في سورة تحمل اسم الشورى، وهي سورة الشورى، وتسميتها في حد ذاته تشريفٌ لأمر الشورى وتنويهٌ بأهميَّتها ومنزلتها وهي آيةٌ مكيةٌ، ممَّا يدل على أن الشورى في الإسلام ممارسة اجتماعية قبل أن تكون من الأحكام السُّلطانية، وقد انتبه عدد من العلماء على وقوع هذه الآية ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: 38]، كصفة من ضمن صفات تعد من المقومات والأركان الأساسية في الدين، وهذا يعني أنها واحدة من تلك الفرائض والأركان، فقد ذُكرت مع الإيمان وإقامة الصلاة، وهذا يدل على أنهم مأمورون بها، فهي مقصدٌ من المقاصد الإسلامية، وجزءٌ من الشريعة الإسلامية[2].

ويُسْتخلص من الآيات السابقة أنَّ من الحزم لكل ذي لُبٍّ ألا يبرم أمراً، ولا يُمْضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، مع ما تكفّل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، وقد قال بعض البُلَغَاء: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحُكماء، فالرأي الفذُّ ربما زلَّ، والعقل الفَرْد ربما ضلَّ[3].

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**"[4].

فلا بد لمن يُسْتَشار أن يكون خير ناصح وأمين لأخيه المسلم، وإلا وقع في عقاب بيّنه النبي –صلى الله عليه وسلم– حيث قال أبو هريرة: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "**ومَن استَشَارَهُ أَخُوهُ المُسلمُ فَأَشَار عَلَيهِ بِغَيرِ رُشْدٍ فَقد خَانَهُ**"[5].

ولله درُّ الشاعر حافظ إبراهيم في مدحه لمشورة الفاروق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فيقول:

---

(1) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن (ج3165/5).

(2) يُنظر: الصَّلَّابي، الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية (ص65–67).

(3) يُنظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين (ص300).

(4) [أبو داود: سنن أبي داود، النوم/باب في المشورة، 333/4، رقم الحديث 5128]، صحّحه الألباني.

(5) البخاري، الأدب المفرد بالتعليقات (ص136)، صحيح لغيره.

"يا رافعاً راية الشورى وحارِسِها جزاك ربك خيراً عن محبيها

رأيُ الجماعةِ لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأيُ الفردِ يُشقيها"[1]

(1) إبراهيم، الأعمال الكاملة (ص48).

المطلب الثاني

عدمُ مُؤَاخذةِ المُنْتصرِ بعدَ ظُلْمِهِ

قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: 41-43].

- **المعنى الإجمالي:**

شرع الله الانتصار من الظالم بأخذ الحق منه، ومعاقبة المعتدين بمثل ما اعتدوا به عليهم دون زيادة، فهؤلاء ما عليهم من لوم ولا مؤاخذةٍ ولا جُناح، لكنَّ الله استثنى من الآية الذين وجب عليهم السبيل واللّوم بأنهم الذين يبدأون الناس بالظلم، ويزيدون في الانتقام ويتجاوزون حقهم بل ويتكبرون في الأرض بغير الحق، فهؤلاء توعدهم الله بأنَّ لهم عذابٌ مُوجعٌ مؤلم، وقد وعد الله الذي يصبر على الظلم والأذى ويغفر فلا ينتصر لنفسه، ويتجاوز عن ظالمه، فهذا من أعظم الصبر والمغفرة لأصحاب العزيمة في الأمور الجادة التي يلزمون أنفسهم بها، وهي الصفات الحميدة التي رغّب الشارع فيها وأجزل لصاحبها العطاء[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

لما بيّنت الآيات السابقة بأنَّ القصاص من شرع الله -عزَّوجل-، لكن الذين يحبون الإصلاح والعفو عن الظالمين فهؤلاء لهم أجرٌ عظيمٌ عند ربهم، ذكر الله في هذه الآيات ما يتصل بنفس الموضوع وهو أن الذي ظُلم ثم انتصر لنفسه، وردَّ الظلم عنها لا سبيل عليه ولا إثم؛ لأن هذا من حكم الله أيضاً[2].

---

(1) يُنظر: مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج767/9).

(2) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج617/4).

- **المفردات اللغوية:**

1- ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ تستعمل كلمة سبيل في أصل اللغة بمعنى الطريق، يذكر ويؤنث، لكنها تختلف حسب سياق الجمل فتحتمل معانٍ عديدة، ومعناها في الآية: أي ليس عليهم مَلامة أو حرج وإثم، ولا يُؤاخذون بما فعلوا[1].

2- ﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: "عَزَم على الأمر يَعْزِم عزماً، أي جَدَّ وأراد فعله، وقال الليث: العَزْم ما عقد عليه قلبُك من أمرٍ أنَّك فاعله"[2]، "ومعناه من حق الأمور وخيرها، قال عطاء: أي من حقيقة الإيمان"[3]، "ومن مَعْزُومِها ومطلوبِها عند الله"[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الشورى: 41]، تعني التنبيه على أن هذا الانتصار بعد أن تحقق أنهم ظُلِموا، وسمي السبيل بذلك على وجه الاستعارة؛ لأنَّه أشبه بالطريق في إيصاله إلى المطلوب، وقد كَثُر إطلاق ذلك حتى ساوى الحقيقة[5].

2- "كرر الإشارة إلى الصبر في قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: 43]، اهتماماً به وترغيباً فيه، وللإشارة بأنه محمود العاقبة"[6].

3- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورى: 42]، "هذه الآية مقابلة للآية من سورة براءة ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: 91]، فكما نفى الله السبيل عمن أحسن، فكذلك أثبته على من ظلم، واستوفى بيان القسمين"[7].

---

(1) يُنظر: الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج3/187).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج12/399).

(3) أبو البقاء، الكليات (ص662).

(4) القرافيّ، أنوار البروق في أنواء الفروق (ج4/293).

(5) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج25/118-119)

(6) الصابوني، صفوة التفاسير (ج3/134).

(7) ابن العربي، أحكام القرآن (ج4/93).

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **مشروعيةُ الانتصارِ بعدَ الظلمِ مشروطةٌ:**

ممَّا لا شك فيه، بل إنَّه من المُسلَّمات، أنَّ السكوت على الظلم ظلمٌ في حد ذاته، لذلك أباح الإسلام للمسلمين ردَّ الظلم عن المظلومين، في كل زمانٍ ومكان، ولمَّا كان الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام كانت مشروعية الدفاع عن النفس.

"فقد اشترطت الآيات الانتصار، لكن بشرط رعاية المماثلة، بقوله في الآية السابقة ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، فإنَّ الله تعالى لم يُرغِّب في الانتصار، بل بيّن أنَّه مشروط"[1].

يقول الكيا الهرَّاسي:"في هذه الآية إباحة الانتصار لا الأمر به، بدلالة قوله بعدها ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: 43]"[2].

وحين نفى الله عن المنتصر المعاتبة واللوم، فهذا يعني أنَّ المنتقم أخذ بالرخصة الشرعية التي رخَّصها الله[3].

ومع أن الآية رفعت الحرج عن المنتصر والمنتقم إلا أنها لم توجب له فضيلة، وكشفت الغطاء وأزاحت العذر، وصرّحت بتفضيل العافين على المنتصرين، فلا عجب أن يكون الانتصار عدلٌ والعفو فضلٌ، وقد قال رجل للمنصور: يا أمير المؤمنين إنَّ الانتقام انتصاف والتجاوز فضل، والمتجاوز قد جاوز حد المنصف، ونحن نُعيذُ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وألا يرتفع إلى أعلى الدرجتين، فاعف عنا يعف الله عنك، فعفا عنهم[4].

وقد يصير الانتقام مطلوباً في موضعين:

الموضع الأول: حين يكون العفو عجزاً ومهانةَ نَفْسٍ، وذلك هو الذُّل الذي تأنفه أصحاب الهمم العالية، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: 39]،

---

(1) الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (ج546/3).

(2) الكيا الهراسي، أحكام القرآن (ج367/4).

(3) يُنظر: الشيخ علوان، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (ج292/2).

(4) يُنظر: الطرطُوشي، سراج الملوك (ص74-76).

فكانوا يكرهون أن يُذَلوا، والموضع الثاني: حين يترتب على العفو مَفْسدةٌ تربي على مصلحةٍ شرعاً أو سياسةٍ معتبرة[1].

ولنا في رسولِنا وقدوتِنا أسوةٌ حسنة، فعن عائشة –رضي الله عنها–، قالت: "**مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى يُنْتَهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ**"[2].

وقد بين النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث آخر جزاء العافي عن الظالم والمتجاوز عمَّن ظلمه، فعن أبي كبشة الأنَّمَارِيّ، أنَّه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ" قَالَ: "مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا**"[3].

---

(1) يُنظر: ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك (ج470/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود/كم التعزير والأدب، 174/8: رقم الحديث 6853].

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، 562/4: رقم الحديث 2325]، صحَّحه الألبانيّ.

المطلب الثالث

أحوالُ الكفارِ أمامَ نارِ جهنَّمَ

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 44-46].

- **المعنى الإجمالي:**

يخبر الله تعالى عن الكفار أنَّهم آثروا ولاية الشيطان، فأضلهم الله تعالى وسلَّطَ عليهم الشيطان الذي تولَوْهُ من غير ولايةِ الله -عزَّوجل-، وبيَّن الله تعالى أنَّ الظالمين لمَّا رأوا عذاب النار طلبوا وسألوا ربهم أن يرجعهم إلى الدنيا؛ لعلهم يعملون صالحاً فيكفِّر عنهم سيئاتهم، لكن هيهات أن يُستجاب لهم بعد انقضاء الوعد والمدَّة[1].

وترى يا محمد الظالمين يُعْرَضُون على النار خاضعين متذللين، ينظرون من طرف خفي ذليل، يُسارقون النظر، فيقول لهم الذين آمنوا بالله ورسوله، إنَّ المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، إنَّهم لفي عذابٍ مقيمٍ ، ثابتٌ لا يزول عنهم[2].

وما كان لهم من ينصرهم من الذين عبدوهم من دون الله، وليس لهم طريق ينجِّيهم من سوء المصير المحتوم؛ لأنَّ من يُضلّه الله لن يجد له سبيلاً للنجاة[3].

- **المناسبة بين الآيات:**

"بعد أن تكلمت الآيات السابقة عن المؤمنين وبيّنت صفاتهم الكريمة، وما أعده الله لهم من الثواب الجزيل، جاء الحديث عن الظالمين وما أُعِدّ لهم من عقابٍ يوم القيامة، جزاء تكذيبهم بالله

---

(1) يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج9/135-136).

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان (ج21/552-554).

(3) يُنظر: القطَّان، تيسير التفسير (ج3/211).

ورسله، وذكر الله أنهم ليس لهم أولياء ينصرونهم من دون الله، وبينت بأنَّ الإضلال من الله، والهداية بيد الله وحده"[1].

- **المفردات اللغوية:**

1- مَرَدّ: بمعنى رجعة أو عودة إلى الدنيا[2].

2- طَرْفٍ خفي: "الطَّرْف، بسكون الراء بمعنى العَيْن، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل: 40][3]. ومعنى قوله تعالى: ﴿**مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ [الشورى: 45]، أي نظر بطرْفٍ خفيّ فغضَّ معظم عيْنَيْه، ونظر بباقيها من الخوف أو الاستحياء"[4]، وتعني أنهم ينظرون بذلةٍ ومهانة واستكانة.

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ**﴾ [الشورى: 44]، "نفيُ الولي كنايةٌ عن نفي أسباب النجاة عن الضلالة، وعواقب العقوبة عليها"[5]. "وفيها تحقيرٌ لأمر الكفرة فلا يُبالِ بهم أحدٌ من المؤمنين، وليس لهم فلاحٌ بعده"[6].

2- قوله تعالى: ﴿**يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ [الشورى: 45]، تجسيدٌ بارعٌ وتصويرٌ رائعٌ لمن يقف أمام الموت الذي ينتظره، والسيف مسلَّطٌ على رأسه، فيحرك أجفانه تحريكاً ضعيفاً، يُمكِّنه من مسارقة النظر[7].

3- قوله تعالى: ﴿**هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ**﴾ [الشورى: 44]، "هذه الصيغة الموحية باليأس مع اللهفة، والانهيار مع التطلُّع إلى أي بارقةٍ للخلاص"[8].

-4

---

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج44/13).

(2) دروزة، التفسير الحديث (ج479/4).

(3) عمر، معجم الصواب اللغوي (ج506/1).

(4) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1396/2).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج124/25).

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج41/5).

(7) يُنظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج49/9).

(8) قطب، في ظلال القرآن (ج3168/5).

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ:

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ**﴾ [الشورى: 44]، يخبرنا الله تعالى في الآية عن قضائه وقدره، وأنه سبحانه بيده مقاليد كل شيء، فيهدي من يشاء وهذا من فضله، ويضل من يشاء بعدله -جل شأنه-، حيث قال تعالى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: 46]، وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم أصحابه الإيمان بالقضاء والقدر وأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيءٍ عنده بمقدار.

فعن عبيد بن رفاعة الزرقي، عن أبيه قال: لمَّا كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي عَزَّوَجَلَّ"، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: "**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ**"[1].

فإذا أراد الله شيئاً فيستحيل أن يكون على غير ما أراده سبحانه؛ لأنَّه قَدَّر كل شيء وكتبه عنده في اللوح المحفوظ، من قبل أن يخلق السماوات والأرض، وجعل العباد في هذه الدنيا يعملون ليجازيهم على أعمالهم، وهو أعلم بأحوالهم، لقوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الملك: 2]، فعلم الله المسبق لا يؤثر على اختيار العبد وإرادته فلا يفعل الشيء إلا بعد علم الله به، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ**﴾ [الإنسان: 30].

"فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خيرٍ وشرٍ لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعاً، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دَفْعاً"[2].

فعن الحسن بن أبي الحسن، قال: "جفَّ القلم، ومضى القضاء، وتمَّ القدر، بتحقيق الكتاب، وتصديق الرسل، وبسعادة من عمل واتقى، وبشقاوة من ظلم واعتدى، وبالولاية من الله -عزَّوجل- للمؤمنين، وبالتبرئة من الله للمشركين"[3].

---

(1) [البخاري، الأدب المفرد، باب دعوات النبي -صلى الله عليه وسلم-، ص243]. صحّحه الألباني.

(2) المُزَنِيُّ، شرح السُّنة (ص76).

(3) الفريابي، القدر (ص88).

ومما لا يختلف فيه اثنان أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر جانبٌ مهمٌ من جوانب العقيدة الإسلامية، بل هو ركنٌ من أركان الإيمان، الذي لا يصح إيمان العبد إلا به، ولهذا الإيمان أثره الواضح في سلوك المرء وتصرفاته، وفي موقفه من الوقائع والأحداث التي تفاجئ الإنسان في هذه الحياة، ويجب أن يقوم هذا الإيمان على المعنى الصحيح للقضاء والقدر، ولا يوجد ذلك المعنى الصحيح إلا في الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهَّرة، فلا يجوز الاستعاضة عن هذا المصدر، ولا حتى إشراك غيره معه كمصدرٍ أصيل[1].

وإنَّ الأمة الإسلامية انقسمت في القدر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: غلوا في إثبات القدر وسلبوا العبد قدرته واختياره، وقالوا: أن العبد ليس له قدرة ولا اختيار، وإنما هو مسيَّرٌ لا مخير كالشجرة في مهب الريح.

القسم الثاني: غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره، حتى نفوا أن يكون لله مشيئة أو اختيار أو خلق، فقالوا: أن الله لا يعلم بما يفعله العباد إلا بعد أن يقع منهم.

القسم الثالث: وهم أهل الحق من أهل السنة والجماعة، سلكوا مسلكاً وسطاً قائماً على الدليل الشرعي والعقلي، وقالوا: أن الأفعال التي يحدثها الله في الكون قسمان:

الأول: ما يجريه الله من فعله في مخلوقاته، فهذا لا اختيار لأحدٍ فيه: كإنزال المطر، وإنبات النبات، والإحياء، والإماتة.

الثاني: ما تفعله الخلائق كلها من ذوات الإرادة، فتكون باختيار فاعليها وإرادتهم، قال تعالى: ﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: 29][2].

وقال الأوزاعيُّ –رحمه الله–: "ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكنَّ القضاء والقدر، والخَلْق والجَبْل، فهذا يُعرف في القرآن والحديث عن رسول الله"[3]. فقد نفى الأوزاعي بأن يكون للجبر أصلٌ في كتاب الله أو حتى ذكرٌ له في سنة نبينا، وهذا يعني أنه مستحدث من المغالين في الدين الذين شطُّوا عن جادة الصواب.

---

(1) جامي علي، العقل والنقل عند ابن رشد (ص97).

(2) يُنظر: ابن عثيمين، رسالة في القضاء والقدر (ص6–8).

(3) أبو زيد، معجم المناهي اللفظية (ص313).

ومع ذلك كله، لا نجد زماننا يكاد يخلو من المُتأسلمين الذين يدّعون الإسلام، أنهم يجعلون كل أخطائهم وتأخرهم، وانحطاطهم على شمَّاعة القدر يعلقونها، فنجد المُهمل والمتواكل، والفاشل والمُقصر، والأحمق يرتمون تحت مظلةٍ يسمونها القضاء والقدر.

"والله يعلم أنَّ القضاء والقدر بريئان من أمثال هؤلاء الذين كانوا خزياً لأمتهم، وعاراً لدينهم، وعبئاً على الذين يريدون الانطلاق باسم الله، كما انطلق آباؤهم الأولون في بناء وعبادة ونفعٍ للإنسانية، ودفع لركْبِها إلى حضارةٍ مؤمنةٍ نظيفة، تنفيذاً لأمر الله تعالى القائل: ﴿**وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**﴾ [التوبة: 105]"[1].

فعن الحسن بن علي، قال: علَّمني جدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: كلماتٍ أقولهن في قنوت الوتر: "**اللَّهُمَّ عَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَاهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**"[2].

وكما أسلفنا بأنَّ الإيمان بالقدر من أصول العقيدة، فلذلك من ينكره يقع في الكفر، فقد قال الإمام أحمد: "القدر قدرة الله"، واستحسن ابن عقيل[*] هذا الكلام جداً، وقال هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قيل: فإنَّ إنكار القدر إنكارٌ لقدرة الرّب على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها، وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها، وهم الذين اتفق السلف من الأمة على تكفيرهم[3].

---

(1) أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية (ص112).

(2) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، باب ما جاء في القنوت في الوتر، 372/1: رقم الحديث 1178]، صحّحه الألباني.

(*) ابن عقيل: هو الإمام العلّامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظَّفَرِي، الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف، ولد سنة 431 هـ، وكان يتوقد ذكاءً، وكنز فضائل، قال عنه ابن الجوزي: دَيّنَاً، حافظاً للحدود، توفي سنة 513 هـ، صلى عليه خلق لا يحصى ودفن قريباً من الإمام أحمد رحمه الله. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج330/14–331).

(3) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص28).

وإنَّ سبيل معرفة هذا الباب –القضاء والقدر– هو التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب؛ لأنَّ القدر سرٌ من أسرار الله اختص العليم الخبير به، وضرَبَ دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا مَلَكٌ مقرب[1].

أما عن ثمار الإيمان بالقضاء والقدر التي يحصّلها المؤمن من هذه العقيدة البيضاء، فسأذكرها على الإجمال، وهي كالتالي:

- هو طريقٌ للخلاص من الشرك والاستقامة على منهج سواءٍ في السَّرَّاء والضَّرَّاء[2].
- الإقدام على عظائم الأمور، والثبات في مواجهة الطغيان[3].
- راحة النفس وطمأنينة البال بما قضاه الله وقدره، لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن زيد بن ثابت فقال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**لَوْ أَنَّ اللَّهَ عذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ**"[4].
- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأنَّ حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير، وترك القلق والضَّجر عند فوات المراد أو حصول المكروه؛ لأنَّ ذلك بقضائه وقدره ويحتسب ذلك[5].

---

(1) يُنظر: العسقلاني، فتح الباري (ج477/11).

(2) يُنظر: الأشقر، القضاء والقدر (ص110).

(3) يُنظر: الصلابي، الإيمان بالقدر (ص311).

(4) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، باب في القدر، 29/1: رقم الحديث 77]، صحّحه الألباني.

(5) يُنظر: نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص249).

- الإيمان بالقدر قوةٌ باعثةٌ على النشاط والعمل، واستخراج كنوز الأرض، والانتفاع بما أودع الله في الكون من خيرات، وكذلك الإيجابية في الحياة، فيتعلق برب هذا الوجود فيرفع من نفسه إلى معالي الأمور[1].

فعلى المؤمن أن يرضى بالله رباً، ومن تمام رضاه بالربوبية أن يؤمن بالقضاء والقدر، وأنه لا فرق في هذا بين الأعمال التي يعملها، وبين الأرزاق التي يسعى لها، وبين الآجال التي يدافعها، فالكل بابه سواء والكل مكتوب، والكل مقدَّر، وكلٌ ميسرٌ لما خُلقَ له[2].

2-الخسرانُ الأعظمُ يومَ القيامةِ:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الشورى: 45].

كل عَرَضٍ في الدنيا زائل؛ لأنَّ الدنيا دار ابتلاء وليست دار جزاء، فالكيّس الفقيه هو من يتخذها ممراً ويتزود منها للآخرة، فتكون بمثابة قنطرة توصله للجنّة الخالدة، لكنَّ الكافرين الذين فسدوا وأفسدوا في الأرض وخلدوا إليها، فهؤلاء لا يبقى لهم في الآخرة متاعٌ ولانعيم، لقول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ [الأحقاف: 45].

ففي الآية يتكلم المؤمنون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الشورى: 45]، فقد كانوا مكممي الأفواه، مكتومي الأنفاس، لا يستطيعون الحديث من هؤلاء الفجرة الكفرة، فلما أدخل الله المجرمين النار، فرح المؤمنون برحمة الله عليهم، وحمدوه على ذلك كيف لا! والله قد أصدقهم وَعْده، وأورثهم جنته التي خلقها بيديه[3].

وليس أدل على كون الإنسان في خسران من قوله الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: 1-3].

---

(1) يُنظر: الحملاوي، التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد (ص204).

(2) يُنظر: ابن عثيمين، رسالة في القضاء والقدر (ص29).

(3) يُنظر: حطيبة، تفسير أحمد حطيبة (ج438/5).

وإن الخسران حين ورد في القرآن الكريم استعمل في معناه على خمسة أوجه وهي: النقص، والغبن، والعجز، والضلال، والعقوبة[1].

فكل معاني الخسران تشمل كل كافر في دنياه وخسرانه في الآخرة، فالشرع ميزانٌ يوزن به الرجال، وبه يتبيَّن الربح من الخسران، فمن رجح في ميزان الشرع كان من أولياء الله، ومن نقص في ميزان الشرع، فأولئك أهل الخسران وتتفاوت خفتهم في الميزان، فأخسُّها مرتبة الكفار ومن وَالَاهم في القول والعمل[2].

"إنَّ مصير من ضيّع الدين الجحيم، فهو أعظم الخسران، ولا فرق بين أن يكون الخسران في الدنيا أو في الآخرة، إذ هما مرحلتان لحياةٍ واحدة"[3].

وإنَّ من أعظم أسباب الخسران في الآخرة، الغفلة فأهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسران في العقبى، فهي أول المعاصي وهي عند الموقنين أصل الكبائر، وقد بُني الكفر على أربع دعائم: على الجفاء والعمى، والغفلة والشك، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل، ومقت العلماء، ومن عَمِيَ نسي الذكر، ومن غفل حاد عن الرشد، وغرّته الأماني فأخذته الحسرة والندامة، ومن شكّ تاه في الضلالة[4].

ولا عجب أن الخاسر هو من أصيب بمصيبة الدين، فهي أعظم مصائب الدنيا والآخرة، وهي نهاية الخسران الذي لا ربح معه، والحرمان الذي لا طمع معه، فقد حُكيَ عن شُرَيْحٍ أنَّه قال: "إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات، وأشكره إذ لم تكن أعظم مما هي، وقد رزقني الصبر عليها، وإذ وفَّقني الاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها في ديني"[5].

---

(1) يُنظر: الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص278).

(2) يُنظر: العَمْري، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار (ص111).

(3) جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع (ص28).

(4) يُنظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب (ج316/1).

(5) المنبجي، تسلية أهل المصائب (ص17).

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الشورى من الآية (47-53)

المطلب الأول

وجوبُ الاستجابةِ للخالقِ قبلَ يومِ القيامةِ

قال تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ [الشورى: 47-48].

- **المعنى الإجمالي:**

ينادي الله -عزَّوجل- عباده في الآيات، بأن يستجيبوا له بالإيمان بدعوة نبيه -صلى الله عليه وسلم- من قبل ألا يقدروا على رد العذاب عن أنفسهم يوم القيامة، ولا حتى تغيير ما نزل بهم، فإن أعرضوا عن الإجابة، فما عليك يا مُحمَّد إلا أن تبلِّغهم، فالكافر إذا أعطاه الله الغنى والصحة والنعيم يفرح بها فلا يشكرها، وإن أصابه الفقر والقحط بما أسلف بمخالفته شرع الله ونبيه، فإنه يكفر بهذه النعم فهو يتذكر النعم، وينسى منعمها[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

بعد العرض الهائل لأهوال وأحوال الظالمين في عرصات القيامة، طلب الله تعالى في هذه الآيات من عباده أن يجيبوه لما دعاهم له؛ إنقاذاً لأنفسهم من النار، فحينها لن ينفعهم شريك ولا ولي ولن يجدوا من دون ربهم نصيراً، ثم أسقط الإثم والحساب عن نبيه بعد إبلاغه الرسالة إن لم يستجيبوا له، وذكرت الآيات صفات هؤلاء الكفار أنهم سريعو النكران للجميل ولمن أعطاهم النعم، وأن هذا من طبائعهم[2].

---

(1) يُنظر: الجوزي، زاد المسير (ج69/4).

(2) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج622/4).

يقول ابن عاشور: بعد أن قطع خطابهم عقَّب بقوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الشورى: 36]، بما تخلّص به إلى الثناء على المؤمنين، وما استتبع ذلك من التسجيل على المشركين بالضلالة والعذاب، ووصف حالهم الفظيع، عاد الكلام إلى خطابهم بالدعوة الجامعة لما تقدم؛ طلباً لتدارك أمرهم قبل الفوات(1).

- **المفردات اللغوية:**

1- لا مردَّ له: أي لا دافع له ولا منجّي منه. "لا يردُّه الله بعدما حكم به"(2).

2- نكير: أصلها نَكَرَ، وهي "اسمٌ للإنكار الذي معناه التغيير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: 18]، أي إنكاري"(3). "ومنكرٌ ونكيرٌ اسمين لملَكَين"(4). وتستخدم كلمة النَكْر في أصل اللغة بمعنى الجحود(5).

3- رَحْمة: الرحمة هنا بمعنى النعمة سواءً كانت مالاً، أم صحةً أم غنىً.

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾ [الشورى: 48]، الفاء للتفريع، والارتباط بين شطري الآية هو نُكْتة الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾(6). وفيها تسليةٌ للرسول وتأنيسٌ له، وإزالةٌ لهمه بهم(7).

2- قوله تعالى: ﴿كَفُورٌ﴾ صيغة مبالغة لبيان كثرة جحد الكافر لنعم ربه عليه. "أي بليغ الكفر ينسى النعمة رأساً، ويذكر البلية ويستعظمها"(8).

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج25/130-131).

(2) الزمخشري، الكشاف (ج4/231).

(3) الهروي، تهذيب اللغة (ج10/109).

(4) الرازي، مختار الصحاح (ص319).

(5) ابن منظور، لسان العرب (ج5/233).

(6) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج25/132-133).

(7) أبو حيان، البحر المحيط (ج9/347).

(8) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج8/36).

3- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ﴾ [الشورى: 48]، الإنسان هنا واحد للجنس، ويدل على الجمع بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ بصيغة الجَمْع[1].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **كفرانُ ونُكْرانُ الجميلِ:**

قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ [الشورى: 48]، جبلت النفوس على حب الإحسان، والأخذ بالمجَّان ممن ينعمون ويتفضلون على الخلق بكثرة كرمهم وإحسانهم. وهذا ليس بغريب؛ لأنَّ الإنسان مخلوق ضعيف، تستقذفُه أمواج الدِّعة والراحة، فيتمنى لو أنه يُنّعم فلا يبأس، ويأكل فلا يتوقف، ويسعد فلا يشقى.

لكنَّ الله خلق العباد ليَذكروه، ورزق الخليقة ليشكروه، فعبد الكثير غيره، وشكر الغالب سواه؛ لأن طبيعة الجحود والنكران، والجفاء وكفران النّعم غالبةٌ على النفوس، فلا تُصْدَمْ إذا وجَدت هؤلاء قد كفروا جميلك وحرقوا إحسانك، ونسَوْا معروفك، بل ربما ناصبوك العَدَاء، ورَمَوْك بمنجنيق الحقد الدفين، ليس لشيء إلا لأنك أحسنت إليهم، وطالِعْ سجلَّ العالم المشهود، فإذا في فصوله قصةُ أبٍ ربَّى ولده وغذَّاه، وكساه وأطعمه وسقاه، سهر الليالي لينام، وجاع الأيام ليشبع، ثمَّ لمَّا قَوِيَّ ساعده، أصبح لوالده كالكلب العقور، استخفافاً وازدراءً، عقوقاً صارخاً، فلا بد للمسلم أن يعمل الخير لوجه الله؛ فهو الفائز على كل حال[2].

أما عن تعريف نكران الجميل فهو: "ألا يعترف الإنسان بلسانه بما يقرُّ به قلبه من المعروف، والصنائع الجميلة التي أُسْديت إليه سواءً من الله تعالى أو من المخلوقين"[3].

فقد صح عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**"[4].

---

(1) ابن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج6615/10).

(2) يُنظر: القرني، لا تحزن (ص41).

(3) عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ج5654/11).

(4) [أبو داود: سنن أبي داود، الأدب/ في شكر المعروف، 255/4: رقم الحديث 4811]، صحّحه الألباني.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "المعروف أفضل الكنوز، وأحصن الحصون، ولا يزهدنك فيه كفر من كفرك، فقد يشكرك عليه من لم يستمتع منه بشيء، وقد يدرك بشكر الشاكر ما يضيّع الجحود الكافر"[1].

"إنَّ من أنفع القربات، وأهم الواجبات، شكر الخالق على نعمه، فإن من غفل عن ذلك، وتجاهل نِعَمَ الله عليه فإنه يكون مقترفاً لأشد أنواع الجحود، فشكر النعمة مما تألفه النفوس، فهم ينكرون على الشخص الذي لا يُسدي الشكر لمن أحسن إليه، ويسمونه بالجحود والكفران، فكيف بالله الذي أسدى من النعم ما لا تحصى، وخلقُ الإنسان أفضل النعم"[2].

إنَّ الله لا يُحب نكران الجميل، وكفر النعمة، وجحد الفضل فمِنْ أسوأ ما يكون من العبد كفره للنعمة ونكرانه للجميل، فلا يجوز للمسلم أن يكون بهذه المنزلة الممقوتة وكذلك مع العلماء والأئمة، والسلف الصالح، نقرأ كتبهم، ونتعلم وننال فضلهم، ثم بعد ذلك نجلس فنسلب هؤلاء العلماء، ونتتبع سقطاتهم وأخطائهم على سبيل التشنيع بهم فهذا من كفران النعم، بل وجب علينا أن نترحَّم عليهم، ونتحدث بفضلهم ونذكرهم بالجميل.

فها هو النبي –صلى الله عليه وسلم– مع علو منزلته ودرجته، يذكر فضل خديجة بعد موتها ويحفظ لها جميلها الذي فعلته معه –صلى الله عليه وسلم– فإنَّ من أعظم الشكر تذكُّر فضل الإنسان بعد موته وذهابه[3].

فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: "**اللهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**" فَغِرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا[4].

ومعنى هذا الحديث أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– هشَّ لمجيئها وسُرَّ بها لتذكره خديجة وأيامها، وهذا دليل على حسن العهد وحفظ الود، ورعاية حرمة العشير في حياته ووفاته وإكرام أهله، ومعنى قول عائشة –رضي الله عنها– أنَّها عجوز كبيرة في السن قد سقطت أسنانها فبان احمرار

---

(1) ابن منقذ، لباب الآداب (ج335/1).

(2) المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحِكم والأمثال (ج381/1).

(3) يُنظر: الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (ج13/253).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/ فضائل خديجة أم المؤمنين، 1889/4: رقم الحديث 2437].

لثائه،ا ولم يبق لشدقها شيء من الأسنان، واستدل العلماء من هذا الحديث أن مثل هذه الغيرة مسامحٌ فيها لا عقوبة على النساء فيها لما جُبلْن عليه ولهذا لم تزجر عائشة؛ إما لصغر سنها أو لأنَّها لم تكن قد بلغت حينئذ[1].

ما أجمل هذا الوفاء وحفظ الجميل حتى بعد موتها!، ليت نبينا ينظر اليوم إلى أمته كيف أن الجميل أصبح غريباً والوفاء عملة نادرة، قلما تجدها إلا من رحم الله من عباده، فقد تغيرت ملامح المسلمين وحتى عاداتهم، فأخلاقياتهم أصبحت على الموضة والتكنولوجيا، وتقليدهم الأعمى لكل شارد وارد، وبدون تمييزٍ للغثِّ من السمين.

(1) يُنظر: النووي، شرح النووي على مسلم (ج202/15).

المطلب الثاني

للهِ في خَلْقِهِ شُؤُون

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى:49-50].

- **المعنى الإجمالي:**

لله سلطان السماوات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحبُّ لخلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حملٍ أنثى، أو يهب لمن يشاء الذكور، بأن يجعل كل حملٍ حملته امرأته ذكراً لا أنثى فيهم، أو يخلط بينهم، فتلد غلاماً ثم تلد جاريةً، أو يجعل من يشاء من خلقه عقيماً فلا يولد له ولد، وذلك كله بعلمه وحكمته، فسبحانه ذو علمٍ بما خلق، قديرٌ ذو قدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

ذكر الله في الآيات السابقة عجيب خُلُق الإنسان الذي لم يهذّبه الهَدْيُ الإلهي، وكيف أنه فُطِر على هذين الخُلُقين؟ وأنه لم يُفْطَر على الخُلُق الأكمل ليتلقى النعمة بالشكر، والضر بالصبر والضراعة، وعن سبب إذاقته النعمة مرةً والبؤس مرةً فيكفر، وكيف لم يجعل حَاله كَفَافاً؟!، فكان جوابه في الآيات التالية: أنَّ الله هو المتصرف في السماوات والأرض يخلق فيهما ما يشاء من الذوات وأحوالها، وهو يناسب الترفع عن الدخول في المجادلة عن الشؤون الإلهية[2].

---

(1) يُنظر: الطبري، جامع البيان (ج21/557-558).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج25/136-137).

- **المفردات اللغوية:**

1- يزوّجهم: أصلها من زوّج (زَوَجَ)، والتزويج: زوّجه امرأة وزوّجه بامرأة، وقد جاء في القرآن باللغتين جميعاً، قال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:54]، أي قرنّاهم، وهو من قَرْن الشيء بالشيء، وفي معنى الآية من سورة الشورى: أي نقرن لهم ذكوراً وإناثاً[1].

2- عقيماً: أصلها من عَقَمَ، وعُقِمَت المرأة فهي معقومة وعقيمة، إذا لم تلد، وعقيم يستوي فيه الذكر والأنثى[2]. وتقال في سوء الخلق قد عَقُمتْ، وعَقامٌ وعقيمٌ بمعنى واحد[3].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49]، قدَّم الله الإناث أولاً؛ اهتماماً وعنايةً من الله بهنَّ؛ بسبب ضَعفهنَّ وردّاً على العرب في النفور من الأنثى، والفرح بالذكور، وقد نكّر الإناث وعرّف الذكور؛ للتنبيه على كون الذّكر أفضل من الأنثى[4]. وفيها أيضاً فن التقسيم على الترتيب في هذه الآية وهو: الانتقال في نظم الكلام ورصفه من الأدنى إلى الأعلى فقدَّمَ هبة الإناث، وانتقل إلى هبة الذكور ثم هبة المجموع[5]. وقد قال أكثر المفسرين في هذه الآية: أنَّه لا وجه لتخصيصها بالأنبياء حيث رُزق لوط -عليه السلام- بالبنات، وإبراهيم -عليه السلام- بالذكور، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- بالصنفين معاً، ولم يُرزق كلٌ من عيسى ويحيى -عليهما السلام-، وحكمها عامٌ في حق كل الناس، فمقصود الآية بيان نفاذ قُدْرَة الله في تكوين الأشياء كيف يشاء[6].

2- قوله تعالى: ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورى: 50]، "بينهما طباق"[7].

---

(1) يُنظر: الحميري، شمس العلوم (ج2876/5).

(2) يُنظر: ابن دريد، جمهرة اللغة (ج941/2).

(3) يُنظر: الهروي، تهذيب اللغة (ج189/1).

(4) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج101/25).

(5) يُنظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج54/9).

(6) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج610/27-611).

(7) الصابوني، صفوة التفاسير (ج136/3).

3- قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 50]، لمَّا جمع بين وصْفَي العلم والقدرة، تَعيّن أن هنالك صفةً مطويةً، وهي الإرادة فمُتعلق قدرته بعد تَعلّق إرادته بالكائن[1].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **حكمةُ اللهِ في قِسْمةِ الأولاد:**

قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى:49]،

الأولاد قرة عين الإنسان في حياته، وبهجته في عمره وأُنسه في عيشه، بهم تحلو الحياة، وعليهم بعد الله تُعَلّق الآمال، وببركتهم يستجلب الرزق، وتتنزل الرحمات، ويضاعف الأجر والحسنات، فهم عناصر خيرٍ، وعوامل برٍ، ومصادر سعادةٍ، إذا تمت تنشئتهم تنشئةً صالحةً[2].

ولو نظر الإنسان من حوله، فتأمّل في خلق الله يعطي رجلاً عشرة أولاد، وآخر ولداً واحداً، وثالثاً لا يعطيه إلا الإناث، فما الحكمة من ذلك؟

لا بد أن نعلم بأن الله يفعل ما يشاء سبحانه، وذلك لحكمة يعلمها سبحانه، فهو صاحب الحكمة البالغة في ذلك، سواء علمناها أم جهلناها، لا بد من التسليم بها.

ولقد كانت نظرة الجاهليين ومن والاهم إلى قسمة الذكور والإناث نظرة استحقت عندها استطراد القرآن في ذكر هذين الصنفين، والانفرد ببيان أحكامهما.

فقد كان العرب يقتلون بناتهم؛ خشيةً من العار والفقر، وكانوا يسمون من مات بَنُوه دون بناته مذمَّماً أي مذمومٌ عندهم، فكانت بمثابة قضية اجتماعية فاسدة تحتاج إلى إصلاح، وقد كانوا يسمون النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا الوصف الذي سبّه به العاص بن وائل، حيث قال: إنك أبتر، فردّ الله عليه قوله، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:3][3].

---

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج139/25).

(2) يُنظر: الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة (ص91).

(3) يُنظر: المكي، قوت القلوب (ج422/2).

فالذرية مظهرٌ من مظاهر المنح والمنع، والعطاء والحرمان، وهي قريبة من نفس الإنسان، والنفس شديدة الحساسية بها، فلمسها من هذا الجانب أقوى وأعمق، فكل هذه الأحوال خاضعة لمشيئة الله، لا يتدخل فيها أحدٌ سواه[1].

ومن أجمل ما قيل في قسمة الأولاد، قول محمَّد بن سليمان: "البنون نِعَم، والبنات حسنات، والله –عزَّوجل– يحاسب على النعم، ويجازي على الحسنات، وقد قال منصور الفقيه[*]:

أُحِبُّ البنات وحب البنات فرضٌ على كل نفسٍ كريمه
لأنَّ شعيباً من أجل البنات أخدَمَه اللهُ موسى كليمَه

وقال قتادة: "رُبَّ جاريةٍ خيرٌ من غلامٍ، قد هَلَك أهلُهُ على يَدَيْه"[2].

ومن الأمور التي ينبغي علمها، بأن منزلة كل مسلم بما يحمل في قلبه من قربةٍ إلى الله، وليس للأولاد دَخْل في ذلك، فكما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ:37]، أي ليس البنون والولدان يقربان كل بعيد، أو يُعِزَّان كل ذليل، لا والله! إنما هو الإيمان والتقوى بالارتباط بالله –جلَّ وعلا–[3].

وإنَّ من رحمة الله تعالى بالعبد أن يرزقه الذرية، فإذا هي زينة الحياة الدنيا، ومصدر فرح، ومضاعفة للأجر، فإذا أمسك عنك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد، وعَنَتٌ وشقاء، وسهرٌ بالليل وتعبٌ بالنهار، فالمال والبنون مع الرحمة زينة وسعادة، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:46]، والمال والبنون بدون رحمة الله شقاء ونكد، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة:55][4].

---

(1) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن (ج3169/5).

(*) منصور الفقيه: هو أبو الحسن بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري، الفقيه الشافعيُّ الضرير، أصله من رأس عين، أخذ الفقه عن أصحاب الشافعي، وكان أديباً شاعراً مجيداً متفنناً، له حظٌ من كل علم، وله مصنفات منها: (الواجب، زاد المسافر)، وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة 306هـ. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج2723/6)، وابن خلكان، وفيات الأعيان (ج289/5).

(2) المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية (ج454/1).

(3) البريك، دروس الشيخ سعد البريك (ج131/3).

(4) يُنظر: التويجري، موسوعة فقه القلوب (ج101/1).

وقد جُبلت النفس وفطرت على حب الذرية، وطلبها والسعي إليها، فهذا ليس غريباً على النفس الإنسانية، فإذا كان الناس يحبون الذرية، فعباد الله المؤمنون من طبيعتهم وصفاتهم، أن يبتهلوا إلى الله بأن يرزقهم أولاداً صالحين مؤمنين مهديين إلى الإسلام، مطيعين لله، تَقَرُّ بهم أعيُنُهم، وتُسَرُّ بهم نُفُوسهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74]، فالعبد الصالح لا تقر عينه حتى يرى أولاده مطيعين لربهم عالمين عاملين، وإنَّ دعاءهم لذرِّياتهم وأزواجهم هو دعاءٌ لهم ولأنفسهم؛ لأن دعاءهم يعود بنفع عموم المسلمين؛ لأنَّ بصلاح من ذُكِر يكون صلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم[1].

ومن فقه وآداب التعامل مع الذرية فعل النبي –صلى الله عليه وسلم–، فعن أنس –رضي الله عنه– قال: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمُ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، كَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُهُ مُسْتَرْضِعًا فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ وَيَرْجِعُ"[2].

إنَّ صمّام الأمان حتى لا يكون الولد فتنة لوالديه، أن يتذكر الواهب لهذه الهدية العظيمة، وعندما يتذكر المرء أنَّ ابنه أو ابنته هي هبةٌ من الله، يشكر ربه على هذه النعمة، ويرضى بها ولداً كان أم بنتاً[3]، وهذا يصدقه قول الحسن –رضي الله عنه– حين يهنئ من ولد له ولد قال: "قل جعله الله مباركاً عليك، وعلى أمة محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–"[4].

وأخيراً من أراد الذرية وطلب النجاة برؤيتهم والتمتع بمآنستهم، فعليه بالاستغفار فهو الذي يجلب البركة والرزق بهم، وكذلك الإقلاع عن الذنوب، فبالاستغفار تهطل الأمطار، وبالاستغفار يكون المال والبنون، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَرًا﴾ [نوح:10–12].

---

(1) يُنظر: صقر، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (ج2/569–570).

(2) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، ذكر محبة المصطفى لابنه إبراهيم، 400/15: رقم الحديث 6950]، صححه الألباني.

(3) يُنظر: طعمة، نسيمات من عبق الروضة (ص92–93).

(4) الطبراني، الدعاء (ص294).

المطلب الثالث

أصنافُ الوَحْي

قال تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى:51-53].

- **المعنى الإجمالي:**

ذكر الله في الآيات الوحي وأقسامه، فما صحَّ لأحدٍ من البشر أيَّاً كان أن يكلمه الله إلا بطريق الوحي أو بالإلهام؛ لأنَّ رؤيا الأنبياء حقٌ كما وقع للخليل إبراهيم -عليه السلام-، أو يكلمه من وراء حجاب كما كلَّم موسى -عليه السلام-، أو يُرسل مَلَكاً فيبلغ الوحي إلى الرسل بأمره تعالى ما يشاء تبليغه، كما نَزَلَ جبريل -عليه السلام- على الأنبياء، إنَّ الله تعالى متعالٍ عن صفات المخلوقين، حكيمٌ في أفعاله وصنعه تجري أفعاله بموجب الحكمة[1].

وبين الله الوحي بالقرآن الكريم إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وعن مَبلغ النعمة التي أنعم الله بها على نبيه عندما اختاره لختم الرسالة من بين خلقه، فأنزل عليه الروح وهو القرآن؛ لإحياء النفوس البشرية، فهو أصل الهداية للذين فقدوا مقومات الحياة، فأنت يا محمد تهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ، وهو الصراط الذي رضيه رب العزة سبحانه، فهو الذي تصير إليه أمور العباد[2].

- **المناسبة بين الآيات:**

"بعد أن بيّن الله دلائل كمال قدرته وعلمه، وحكمته ونعمته مما هو محسوس، أتبعه ببيان أنواع وحيه وكلامه إلى أنبيائه من النعم الروحيّة، التي اختص الأنبياء بها دون سائر الناس، وأوضح أن

---

(1) يُنظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج3/135-136).

(2) يُنظر: الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (ج5/463-464).

الوحي إلى النبي بالقرآن المشتمل على الشرائع التي تُصلح البشر، وتهديهم إلى الحق هو مثل الوحي إلى الأنبياء السابقين، وهذا الختام للسورة مشابهٌ لما بُدئت به، لينسجم البدء مع الختام"[1].

- **أسباب النزول:**

قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا**﴾ [الشورى:51]، نزلت هذه الآية في سؤال اليهود للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث قالوا له: ألا تُكلمُ الله وتنظر إليه، إن كنت نبياً كما كَلمه موسى–عليه السلام– ونظر إليه؟ فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال "لم ينظر موسى إلى الله"، ونزلت هذه الآية[2].

- **المفردات اللغوية:**

1- وَحْياً: الواو والحاء والحرف المعتلُّ: أصلٌ يدل على إلقاء علمٍ في إخفاء، فالوحي:هو الإشارة ويأتي بمعنى الكتاب والرَّسالة، وهو كل ما ألقيته إلى غيرك حتى عَلِمَه، فهو وحيٌ كيف كان[3]. ومعناه في الآية: ﴿**إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ**﴾ [الشورى: 51]، إلا أن يوحي إليه وحياً فيُعْلِمَه بما يَعْلَمُ البشر أنَّه أعْلَمَه، إما إلهاماً أو رؤيا، وإما أن يُنزل عليه كتاباً كما أُنزل على موسى–عليه السلام–، وكلُّ هذا إعلامٌ وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها[4].

2- من وراء حجاب: الحجب: المنع، وهو الشيء الذي يُحجب به، ومعنى الآية أي من حيث لا يراه مُكَلِّمُه ومبلّغه[5].

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج105/25).

(2) يُنظر: الواحدي، أسباب النزول (ص375).

(3) يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج93/6).

(4) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (ج381/15).

(5) يُنظر: الحلبي، عمدة الحفاظ (ج373/1).

- **الجوانب البلاغية:**

1- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، إسناد فعل يكلمه إلى الله إسنادٌ مجازيٌّ عقلي، وإطلاق هذا الفعل على جميعها من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه على طريقة استعمال المُشْتَرك في معانيه[1].

2- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، المقصود بالروح هنا: القرآن وهَدْي الشريعة، وسمّاه روحاً؛ لأنَّه يُحْيِي به البشر والعالَم، كما يَحيا الجسد بالروح، وهذا على جهة التشبيه[2].

3- قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾، المراد بالإيمان هنا: شرائع الإسلام وأحكامه كالصلاة والصوم، وإلا فالأنبياء مؤمنون بالله، قبل أن يُوحى إليهم بأدلة عقولهم[3]. إن هذا النص مع إيجازه يرمي إلى ثلاث حقائق، **الأولى:** ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم علم الكتابة، فلم يكن قارئاً ولا كاتباً، وعبر عنها بالدراية؛ لأن علم الدراية يأتي بالتعلُّم والممارسة؛ فهو عِلْمٌ كسبيٌ، وما كان يعلم بالدراية الإيمان، لكنه كان مؤمناً منذ بلغ التمييز، وكان موحداً، مع عدم معرفته بالصلوات والزكوات، وبهذا يفسر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:6-7]، **الثانية:** أن في هذا الكلام السامي حجة على أن القرآن من عند الله، وأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- لم يأت به من عنده، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:48]، **الثالثة:** ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ الدراية داخلة على الاستفهام، ففيها مُتَّجهٌ إلى الحقيقة فما كان يدري حقيقة الكتاب، ولا تفصيل الإيمان[4].

---

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج141/25).

(2) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج44/5).

(3) يُنظر: السنيكي، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (ج511/1).

(4) يُنظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن (ص97-98).

4- ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، هذا من توافق الفواصل، وهو من المحسّنات البديعية، وهو كثيرٌ في القرآن[1].

5- قال تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾، "أي جميع الأمور صائرة على الدوام إلى الله تعالى، وفيها وَعْدٌ ووعيدٌ للمطيعين والمجرمين"[2].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-كيفيةُ اتصالِ اللهِ بِرُسُلِهِ -عليهم السلام-:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾، إنَّ هذه الصور الثلاث يذكرها الله تعالى في كيفية وحيه لمن يشاء من خلقه، فقد تكون إلهاماً أو تكليماً مباشراً من وراء حجاب، أو إرسالاً للرسول جبريل -عليه السلام-.

أمَّا عن المشهد الأول من مشاهد الوحي، وهو أن يُلقي الله عن طريق المَلَك في قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يريد إيحاءه له، فعن عبد الله بن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم_ قال: "إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفثَ في رَوْعِي أَن نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا"[3].

وهذا مصداقُه قول الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:193-194]، وقد تم الوحي بالقرآن الكريم بلفظه ومعناه جميعاً على الأسلوب والكيفية الأولى، والتى هي أكثر الوحي شيوعاً، حيث قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:97].

ففي هذه الكيفية كان ينزل جبريل بصورته الملائكية النورانية -الغيبية- فلا يُرى، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يجدُ فيها جهداً ومشقة بالغة، وما كان خبر السماء يهبط به أمين الوحي

---

(1) يُنظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج173/3).

(2) المقدسي، فتح الرحمن في تفسير القرآن (ج203/6).

(3) [الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، 149/1: رقم الحديث 2085].

جبريل، فيصل عالم الغيب بعالم الشهادة إلا أمراً بالغ الخطر عظيم الشأن، هيَّأ الله تعالى له نبيّه وأعدَّه لاستقباله، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:124][1].

والمشهد الثاني من الوحي وهو تكليم الله لنبيه من وراء حجاب، وهذه لم تحصل إلا لنبي الله موسى –عليه السلام– وكانت في دار الدنيا مع العلم أنَّ موسى لم يرَ ربه، مع أنه سأل الله ذلك، والقصة مذكورةٌ كاملة في سورة الأعراف، حيث قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف:143].

وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–، قال: قال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَبِيكَ؟**" قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: "**مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ**"[2].

ولكن فيما لو سَألَ سائل، كيف ننفي الكلام مباشرة بين الله وموسى–عليه السلام– ونثبتها لوالد جابر–رضي الله عنه–؟ نقول: بأنَّ كلام الله لعبد الله بن حرام في دار البرزخ، فحكمها لا ينطبق على دار الدنيا، أما موسى –عليه السلام– فقد كلم الله من وراء حجاب في الدنيا، وكلنا يعلم بأن أحكام الدنيا تختلف عن أحكام البرزخ والآخرة.

والمستلهم من قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ أنَّ النبي موسى–عليه السلام – يسمع كلاماً مفهوماً يُلقى عليه، فيَعيَهُ دون أن يرى من يلقيه مع شعوره أنَّه الله –عزَّوجل–، وهذا اتصال خارجي، وليس باطنياً وقلبياً كالسابق، لكن لا بد لنا من بيان أنَّنا نفسر العبارات الواردة، ولا نعلم حقيقة الاتصال، ولا حتى فهم مكنوناته، فإدارك وفهم هذه الحقيقة تخصّان الذين يصطفيهم الله تعالى لوحيه وصلته وكلامه، وهذا مما أخبر به الأنبياء، ولا بد من الإيمان بها؛ لأنهم صادقون فيما أخبروا به[3].

---

(1) يُنظر: زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه (ص67–68).

(2) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الجهاد/ فضل الشهادة في سبيل الله، 936/2: رقم الحديث 2800]، حسّنه الألباني.

(3) يُنظر: دروزة، التفسير الحديث (ج485/4).

لكنَّ صور الوحي وأشكاله تختلف عند نزولها على النبي –صلى الله عليه وسلم–، وإن من أشدها عليه صلصلة الجرس(*)، فعن عائشة –رضي الله عنها–، أنَّ الحارث بن هشام –رضي الله عنه– سأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**"، قالت عائشة –رضي الله عنها–: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّدُ عَرَقاً(1).

وقد ورد في هذا الحديث أيضاً الصورة الثانية للوحي، وهي أن يتمثل المَلَك رجلاً فيراه النبي، ويكلِّمه ويبلِّغه بما أوحي إليه، ومعنى هذا الحديث أنَّه يتقدم قرع سمع النبي للوحي، فلا يبقى فيه متسعٌ لغيره، وفائدة هذه الشدة أنه يترتب عليها المشقة من زيادة الزُلْفَى ورفع الدرجات(2).

وهذا الحديث لم يذكر الرؤيا، والتي هي نوع من أنواع الوحي؛ ذلك لأنَّ سؤال الصحابي عن كيفية إتيانه في اليقظة، والرؤيا لم يُشكَل عليهم فيها، ولا سألوه عنها؛ لأنَّهم يعلمونها حق العلم(3).

فعن عبادة بن الصامت قال: "**كَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ**"(4)، وهذا إن دل فإنما يدل على شدة نزول الوحي على الحبيب النبي –صلى الله عليه وسلم– فلم يكن بالأمر الهيِّن الذي قد يتخيله المسلم في لحظة من اللحظات، أو أنها نزهةٌ كان النبي ينتظرها لينفِّسَ عن روحه، بل كانت حِمْلاً ثقيلاً وهذا ما بينه رب العزة سبحانه.

(*) صلصلة الجرس: مثل صوت الجرس، وهو كصلصلة الفَخَّار أو الطَّسْتِ، ومعنى يفصم عني: أي ينفرج ويذهب عني. يُنظر: القرطبي، الاستذكار (ج493/2).

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، 6/1: رقم الحديث 2].

(2) يُنظر: القسطلاني، إرشاد الساري (ج58/1).

(3) يُنظر: اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم (ج300/7).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/عرق النبي في البرد وحين يأتيه الوحي، 1817/4: رقم الحديث 2335].

وكذلك كان ينزل عليه الوحي كَدَوِيِّ النّحل، فكانت هذه الصور على اختلافها لحكمةٍ في ذلك؛ وهي أنَّ الباري سبحانه وتعالى كان يُقلِّبُ عليه هذه الأحوال؛ زيادةً في الاعتبار وقوَّةً في الاستبصار[1].

وأما المشهد الثالث من طريق الوحي وهو إرسال الرسول جبريل –عليه السلام– مَلَك الوحي، وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه رأى جبريل على هيئته الحقيقية مرتين.

فعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: "إِنَّ مُحَمَّداً –صلى الله عليه وسلم– لَمْ يَرَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، أَمَّا مَرَّةٌ فَإِنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ فِي صُورَتِهِ، فَأَرَاهُ صُورَتَهُ، فَسَدَّ الْأُفُقَ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَإِنَّهُ صَعِدَ مَعَهُ حِينَ صَعِدَ بِهِ"[2].

وإن المتأمل في حياة النبي مع الوحي ليعلم علم اليقين بأنَّ عالم الملائكة والغيب عالَمٌ عظيمٌ لا يكتمل إيمان العبد إلا به، ونقول للوجوديين من أبناء جلدتنا الذين لا يؤمنون إلا بكل شيءٍ موجود، وينكرون عالم الغيب ارجعوا إلى أنفسكم فاسألوها، ألا يصح أن نستدل على وجود الشيء من آثاره، أم أنه لا بد من رؤيته ومعاينته، فإن أقررتم بذلك فاعلموا أنكم على ضلالٍ وانحراف، والأولى بكم أن تعودوا لرشدكم ولدينكم قبل فوات الأوان.

2–هدايةُ النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى صراطٍ مستقيمٍ:

قال تعالى: ﴿**نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ**﴾ [الشورى: 52]، في هذه الآية بين الله –عزَّوجل– أن لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– هدايةً، وقد أكدّها بمؤكدات: حرف التوكيد (إنّ)، واللام في الفعل للتأكيد، وكذلك الفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار، أي: أنك لا تزال تهدي إلى ذلك حتى يتوفاك الله –عزَّوجل–، لكن يا ترى ما معنى هداية النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولن ينكشف لنا المعنى جليَّاً إلا بعد بيان أنواع الهداية.

قال القرطبيّ: الهُدَى هُدَيَان: الأول "هُدَى دلالة، وهو الذي تَقْدِرُ عليه الرُسُل وأتباعهم، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ**﴾ [الرعد:7]، فأثبت لهم الهُدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه، والنوع الثاني: هُدى التأييد والتوفيق، وهو ما تفرّد به الله سبحانه، فقال جلَّ وعلا: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهۡدِي**

(1) يُنظر: ابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، (ج387/3).

(2) عبد الجبار، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، (ج224/1)، حسَّنه الألباني في كتاب الإسراء والمعراج.

مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:56]، فالهُدَى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، وكذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [البقرة:5]"[1].

أما عن هداية الله للإنسان، فهي على أربعة أضرب:

الأول: الهداية التي عَمَّ بها كَلَّ مكلّفٍ من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، بل عمّ بها كل شيء من المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: 50].

الثاني: الهداية التي جُعلت للناس بدعائه إيّاهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:73].

الثالث: التوفيق الذي اختص به من اهتدى وهو المَعْنِيُّ بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:17].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنَّة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:43].

فهذه الهدايات الأربع مترتبة على بعضها، فإن لم تحصل الأولى لا تحصل الثانية، بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة[2].

إذن فهداية النبي –صلى الله عليه وسلم– من النوع الأول وهو هُدَى التعريف بنجْدَيِ الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب لها، ولهذا ينبغي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:17][3].

وقد أمر الله عباده بأن يسألوه الهداية في أفضل أحوالهم مراتٍ متعددة في اليوم والليلة، وبيّن أنَّ أهل هذه الهداية هم المختصون بنعمته دون المغضوب عليهم والظالمين، فلما فرغ الله من الثناء والتوحيد والدعاء شُرِعَ له أن يطبع على ذلك بطابعٍ من التأمين، في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:6-7][4].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج160/1).

(2) يُنظر: الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز (ج213/5-214).

(3) يُنظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (ج37/2).

(4) يُنظر: السلمان، موارد الظمآن لدروس الزمان (ج216/1).

ومن الأمثلة التطبيقية من حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– في سؤاله الهُدَى وهذا بمثابة تعليمٍ لأمته من بعده، أنَّه كان يدعو به في صلاته، فعن عبد الله بن مسعود، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه كان يقول: "**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**"[1].

فالهداية بيد الله وحده، من شاء أن يهديه الله وجَبَ عليه أن يسير في طريق الهداية، فالله جلَّ جلاله قد نفى عن رسوله هداية التوفيق والإعانة، فقال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ**﴾ [القصص:56].

"قد أخرج الله أمر الهداية من حصة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وجعله خاصاً بإرادته سبحانه وتقديره، وما على الرسول إلا البلاغ والدلالة، وما على الداعين بعده إلا النصيحة، فالقلوب بعد ذلك بين أصابع الرحمن، والهدى والضلال وفق ما يعلمه من قلوب العباد، واستعدادهم للهدى أو الضلال"[2].

ولو أن الهداية بيد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لهدى أحب الخلق إلى قلبه عمَه أبا طالب، فعن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه أخبره: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَبِي طَالِبٍ: "**يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**" فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "**أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**"[3].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، 2087/4: رقم الحديث 2721].

(2) قطب، في ظلال القرآن (ج2703/5).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، 95/2: رقم الحديث 1360].

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– عرض على أبي طالب الإسلام عند وفاته، وذكر له وجوب حقه عليه فأبى أبو طالب؛ خوفاً أن يعيّره بها المشركون، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: لأستغفرن لك حتى أُنهى عن ذلك[1].

وقد أخبر الله النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنَّ عليه البلاغ فقط، ونفى عنه النتائج، قال جلَّ شأنه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:272].

اعلم بأنه لن يهتدي للسعادة ولن يجدها ولن ينعم بها إلا من اتبع الصراط المستقيم الذي تَرَكنا عليه محمد –صلى الله عليه وسلم–، قال تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:68]، وهذا العبد يجد السعادة في سلوكه هذا الصراط؛ لأنه يعلم أنَّ له إلهاً، وأمَامَهُ أُسوةً، وبيده كتاب، وفي قلبه نوراً، وفي خُلْدِهِ واعظاً وهو ذاهب إلى نعيم، وعاملٌ في طاعة، وساعٍ إلى خير، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الأنعام:88][2].

"ومن أسماء الله تعالى الهادي، فالهداية في صفة الحق هي بمعنى توفيق الله تعالى لمن أراد من عباده، بأن يخلق الاهتداء فيه فيصير مهتدياً به"[3].

قال الزَّجاج: الهادي: "هو الذي هدى خلقه إلى معرفته وربوبيته وهو الذي هدى عباده إلى صراطه المستقيم، ودلّهم على سبيل الخير والأعمال المقرّبة منه –عزَّوجل–"[4].

لكننا نجد وللأسف في زماننا شبابٌ وما أكثرهم! تعجُّ بهم الطرقات والكافيهات من إذا نصحته بأن يصلي، أو أن يلتزم بالدين لم ينتصح، بل يقول لك: ادعو لي يا شيخ أن يهديني الله، أو يقول: لمَّا ربنا يريد إن شاء الله نهتدي، وكأن الأمر يخرج عن إرادته واختياره، فليعلم كل من يريد الهداية أنها لن تكون إلا إذا أرادها صاحبها وسعى لها، فمن طرق الباب يوشك أن يفتح له، ومن أدلج بلغ المنزل، فلن يهتدي العبد إلا إذا نوى في قلبه وعزم على أن يسلك طريقها.

وقد صدق فيهم قول أبي العتاهية:

ترجو النجاةَ ولم تَسْلُك مسالِكَهَا ... إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ[5]

---

(1) يُنظر: الغيتاني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج181/8).

(2) يُنظر: القرني، لا تحزن (ص216).

(3) القاري، شرح الشفا (ج516/1).

(4) عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ج3568/8).

(5) أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية (ص230).

وعن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن بن عوف، قال: سألت عائشة أمّ المؤمنين: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: "**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**"[1].

فإذا كان هذا النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي قد هداه الله، كما جاء بقوله تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ**﴾ [الضحى:7]، وقد زكَّاه الله في سمعه وبصره وعقله وخُلُقه، يسأل الله الهداية، أليس الأَوْلى بسؤال الهداية هو ذاك العبد العاصي، الشقي المذنب! الذي يعيش في الدنيا وكأنَّه خالداً فيها، هو الأولى بأن يكثر من سؤال الله الهداية في الليل والنهار؛ لعل الله يكتبه في صفوف المهديين، ويفوز بجنة رب العالمين.

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، في قيام الليل/ ذكر سؤال المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ربه جل وعلا الهداية، 335/6: رقم الحديث 2600]، حسَّنه الألباني.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (1 - 23)

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (1-11)

المطلب الأول

نزولُ القرآنِ بلغةِ العربِ

قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف:1-4].

- **المعنى الإجمالي:**

يقول الحق جلّ جلاله: يا محمد، وحق الكتاب المبين لمَّا أُنزل عليهم؛ لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم؛ ليبين لهم ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة، فقد جعلناه عربياً؛ لكي يفهموه، ويحيطوا بما فيه من النظم الرائق، والمعنى الفائق، ويقفوا على ما تضَمّنه من الشواهد القاطعة بخروجه عن طَوْق البشر، ويعرفوا حق النعمة في ذلك، فتنقطع أعذارهم بالكلية، فالقرآن مثبتٌ عند الله في اللوح المحفوظ، فهو أصل الكتب السماوية، شريفُ المنزلة؛ لكونه معجزاً من بينها، ذا حكمةٍ بالغةٍ محكماً لا ينسخه كتاب[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

قد جاء في ختام سورة الشورى، الحديث عن وحي الله لنبيه القرآن الكريم، وأنَّه سبيل الهداية والنجاة للعباد جميعاً، ثم ذكر في مفتتح سورة الزخرف بياناً لهذا النور، الذي يهدي إلى صراطٍ مستقيم، وهو القرآن الكريم، الذي نزل بلسان عربي مبين، فهو نعمة جليلة أنعم الله بها على العرب الذين كان معهم وحدهم مفاتيح الطريق إلى هذا النور، وكان بيدهم قيادة الناس جميعاً إلى الهدى[2].

---

(1) يُنظر: ابن عجينة، البحر المديد (ج233/5).

(2) يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج102/13).

- **المفردات اللغوية:**

1- حم: قد سبق الحديث عن فواتح السور، وما المراد منها ممَّا يُغني عن الإعادة[1].

2- المبين: من بَيَن بَوْن: يُقال: بَان الحقُ يَبين بياناً؛ فهو بائن، وأبان يُبين إبانةً؛ فهو مبين بمعناه؛ ومعنى الآية: هو مبيِّنٌ لكل ما يُحتاج إليه، قال الزّجاج: إنه مُبين خيره وبركته، ومبيّنٌ أن نُبوة الرسول حق[2].

3- قرآناً عربياً: أي نزل بلغة العرب.

4- لعلكم تعقلون: العقل من الفهم والفقه أي: لكي تفهموا معانيه أيُّها العرب.

5- أمُّ الكتاب: أي "في اللوح المحفوظ"[3]، وعن أبي عُبيدة أنَّه قال: أمُّ الكتاب أي: "الكتاب كله والعرب تقول أصل كل شيءٍ أُمُّه"[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾، "أقسم الله بالكتاب المبين، وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من وادٍ واحد"[5]. "وفيه تنويهٌ بشأن القرآن إذ جعل المقسم به هو المقسم عليه، وهذا ضربٌ عزيزٌ بديعٌ؛ لأنَّه يُومِئُ إلى أن المقسم على شأنه بلغ غاية الشرف"[6].

2- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، استعارة تصريحية حيث استعار لفظ الأم للأصل، وهو اللوح المحفوظ، وهذا هو المشبَّه المحذوف، وتكون هذه الاستعارة؛ لأجل تمثيل ما ليس بمرئي، حتى يصير مرئياً ويفيد الظهور؛ لأنَّ الأمّ أظهر للحس من الأصل[7].

---

(1) ينظر: نص الرسالة (ص46-47).

(2) يُنظر: الهروي، تهذيب اللغة (ج355/15).

(3) الفراهيدي، العين (ج426/8).

(4) ابن سيده المرسي، المخصص (ج116/4).

(5) الزمخشري، الكشاف (ج236/4).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج159/25).

(7) يُنظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج64/25).

3- قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، "مستعارٌ لمعنى الإرادة، وغرضه التعريض بأنَّهم أهملوا التدبر في هذا الكتاب"[1].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **عربيَّةُ القرآنِ الكريمِ:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3]، إنَّ من فضل الله ومنَّته على أمة الإسلام أن أنزل عليهم كتاباً يذكِّرهم بربهم، أنزله بلسانهم حتى لا يكون حجة على الله بعده.

وكما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:4].

فهذه قاعدةٌ تؤكد أن لغة الرسالة التي يحملها الرسول، هي لغة قومه الذين يدعوهم إليها حتى تتحقق الغاية منها، وقد جاء القرآن عربياً؛ لأنَّ الله تعالى أنزله على النبي العربي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهذه حقيقةٌ واضحةٌ لمن قرأ القرآن أو سمعه، وقد بلغ عدد الآيات الكريمة التي تؤكد نزول القرآن باللغة العربية أكثر من عشر آيات[2].

وقد قرَّر الشاطبيُّ أنَّ عربية القرآن تدلل على عربية الشريعة، إذ إنها لا مدخل فيها للألسن الأعجمية، فمن أراد فهم خطاب الشريعة، فمن جهة لسان العربي يُفْهم من قواعدها الدلالية والبيانية، وقد بيّن المحققون من أهل الفقه بالقرآن على أنَّ القرآن الكريم جاء بأصفى ألفاظ اللغة العربية، وأعذبها وأفصحها، مما لا يمكن أن يخدش عربية لغة القرآن، فلا تجد لفظاً واحداً إلا وله أصالةٌ في العربية[3].

وممَّا يعين على فهم القرآن الرجوع إلى شعر العرب ودواوينهم، وهم الأقدر على تفسير القرآن وفهمه، وإنَّ العلم بلغة العرب واجبٌ على كل مُتعلِقٍ من العلم بالقرآن والسنة والفُتْيا بسببٍ، فلا غَنَاء بأحدٍ منهم عنه، وذلك أنَّ القرآن نازلٌ بلغة العرب، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- عربيٌ، فمن

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج161/25).

(2) يُنظر: قدوري، محاضرات في علوم القرآن (ص40).

(3) يُنظر: أبو عاصي، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات (ص34).

أراد معرفة ما في كتاب الله –جلَّ وعلا–، وما في سنة رسول الله من كل كلمةٍ غريبةٍ أو نظمٍ عجيب، لم يجد من العلم باللغة بُدَّاً[1].

وليس أدل على ذلك من قول عثمان –رضي الله عنه– للرهط القُرَشيين الثلاثة: "**إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ**" ففعلوا[2].

ولقد كان منهج أئمة التفسير منذ عصر السلف، ومنهم الصحابي الجليل حَبْر الأمة عبد الله ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه كان يتفقد لغة القرآن في كلام العرب، ويستشهد بنثرهم وشعرهم، فقد قال: كنت لا أدري ما ﴿**فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ**﴾ [الأنعام:14]، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها، وكان يقول: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنَّه ديوان العرب[3].

لكن لا بد من الإشارة إلى أنَّه لم يتم الإجماع على عربية القرآن أو خلوه من الكلمات الأعجمية، بل كان هذا موضع خلافٍ بين القدماء، بعضهم نفى الأعجمية عن القرآن، وآخرون أثبتوها وكلٌ له أدلته، التي لا مجال للتوسع فيها أو ذكرها، والراجح في كل الأقوال أنَّ القرآن الكريم كله عربي إلا بعض أسماء الأعلام الأعجمية فقط، وهذا لا يتعارض مع عربية القرآن، وأنَّه نزل بلسانٍ عربي مبين؛ لأنها كلمات عربية، ومسجلة ومترجمة إلى العربية بحروف عربية، ومن هذه الأسماء التي أوردوها أسماء الأنبياء كآدم، لوط، وإبراهيم –عليهم السلام–[4]. فهذه الأسماء دخلت إلى اللسان العربي وأصبحت عربية الاستعمال.

ومن الجدير ذكره أن أكثر ما في القرآن بلغة أهل الحجاز؛ لأنها مهبط الوحي، وبلغة أهل قريش؛ لأنَّها قبيلة النبي –صلى الله عليه وسلم– وعشيرته، لكن توجد بعض الكلمات في القرآن وردت على غير لغة الحجاز وبغير لغة قريش، وقد نسبها بعض الصحابة إلى أصحابها نذكر منها على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿**وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ**﴾ [النجم:61]، نسبها ابن عباس إلى اليمن، وكذلك كلمتي ﴿**ٱلْأَرَآئِكِ**﴾ [يس:56]، ﴿**مَعَاذِيرَهُۥ**﴾ [القيامة:15][5].

---

(1) يُنظر: الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص40–41).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، فضائل القرآن/ جمع القرآن، 183/6: رقم الحديث 4987].

(3) يُنظر: العنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص308–309).

(4) يُنظر: الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان (534/1–535).

(5) يُنظر: القيعي، الأصلان في علوم القرآن (ص307).

وكان من مزية عربية القرآن وفضله على العرب أمران عظيمان، هما:

الأول: إن تعلم القرآن والنطق به على أصوله يقوّم اللسان، ويفصّح المنطق، ويصحّح الكلام، ويساعد على فهم لغة العرب، إذ ليس هناك شيء يشبه القرآن في تقويم الألسنة.

والثاني: كان للقرآن الفضل الأكبر في الحفاظ على اللغة العربية في مسيرة القرون الأربعة عشر الغابرة، بما اشتملت عليه من فترات ضعفٍ وتخلفٍ وتسلطٍ للمستعمرين على بلاد العرب والمسلمين، بل إن القرآن كان عاملاً أساسياً في توحيد العرب، وإعادة الصحوة الإسلامية إلى أوطان العرب والإسلام، وربط المسلمين برباط الإيمان والعاطفة القوية[1].

يقول الشافعي –رحمه الله–: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبيٍ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ... ثم قال: فعلى كل مسلمٍ أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح والتَشهد ...، فالقرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنَّه لا يُعلم من إيضاح جُمل عِلْم الكتاب أحدٌ، جَهِل سَعَةَ لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجِمَاع معانيه وتَفرقَها"[2].

لكن لا بد من توضيح أمرٍ غايةً في الأهمية، حيث يرى الزُحيليُّ أن ليس إنزال القرآن باللغة العربية دليلاً على أنَّه خاصٌ بالعرب دون العجم؛ لأنَّ نصوصه قاطعة الدلالة على عالمية الإسلام للناس كافة[3]. لكن هل يجوز قراءة القرآن بغير اللغة العربية؟

قد اتفق العلماء على أنَّ القرآن الكريم هو اسم للنظم والمعنى، وهذا هو الصحيح، فلا ينطبق حد القرآن على المعنى فقط، بل حد القرآن ينطبق على مجموع العبارة والمعنى، وجماهير أهل العلم قد منعوا قراءة القرآن بغير اللغة العربية في الصلاة وخارجها، حيث إن ترجمة القرآن لا تسمى قرآناً، وقد أُمرنا بقراءة القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [المزمل:20][4].

---

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج1/36-37).

(2) الرسالة (ج1/46-47).

(3) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج25/118).

(4) يُنظر: عفانة، فتاوى يسألونك (ج9/18).

المطلب الثاني

عقابُ المُسْتهزئِينَ بِالأنبياءِ

قال تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:5-8].

- **المعنى الإجمالي:**

يوبّخ الله الكافرين فيقول: هل نترككم أيها العرب وغيركم من غير تذكير ولا وعظ، ولا أمر ولا نهي؛ لأنكم مسرفون في الإنكار والتكذيب؟ أو نهملكم ونبعد الذكر عنكم، ونمسك عن إنزال القرآن عليكم؛ لأنَّكم تجاوزتم الحدود المعقولة في أعمالكم، ثم يخاطب نبيه ألا يعجب من إعراض قومه عن رسالته، فهذه سيرة الأولين الغابرين؛ فإنهم قد كذَّبوا بكل نبيٍ ورسولٍ كان يأتيهم، كتكذيب قومك واستهزائهم بك، فلقد أهلكنا قوماً هم أشد قوة من هؤلاء المكذبين لك، وعرفت سنة الله فيهم، فلينظروا في مصائر المتقدمين ليحذروا وقوعه بهم[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

تحدثت الآيات السابقة عن كتاب الله وتعداد مزاياه، وبيان أنَّه منزلٌ من عند الله، ثم اتجهت الآيات إلى خطاب المنحرفين عن الحق من المشركين والكافرين، مستفسرةً منهم: هل من الخير أن يتركهم الحق سبحانه هَمَلاً، فلا يبعث إليهم الرسل، ولا ينزل عليهم الكتب؟[2].

قال أبو السعود: "بعدما بيَّن علو شأن القرآن العظيم، وحقق أنَّ إنزاله على لغتهم، ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه، عقّب ذلك بإنكار أن يكون الأمر بخلافه"[3].

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط (ج3/2353-2354).

(2) يُنظر: الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (ج5/464-465).

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج8/40).

- **المفردات اللغوية:**

1- أَفَنضْرِبُ: أصل الضَّرب إيقاع شيء على شيءٍ، ولتصوّر اختلاف الضّرب خولف بين تفاسيرها، كضرب الشيء باليد[1]. ومعناه في الآية: "أنهملكم فلا نُعَرِّفكم ما يجب عليكم؛ لأنَّكم أسرفتم"[2].

2- الذِّكْر: الحفظ للشيء وتذكره، والذِّكْرُ: جري الشيء على لسانك، وتعني الشرف والصوت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، وهو الكتاب الذي فيه تفصيل الدين[3]. وهو القرآن الكريم والموعظة به على الراجح.

3- صَفْحاً: "من الصَفْح، وصفحت عن الرجل أصفح صفحاً: إذا عَفَوْتُ عن جُرْمِه، وأضربت عن هذا الأمر صفحاً، إذا تركته"[4]. وهي مصدرٌ تعني في الآية: أنعرض عنكم ونصفح، وضَرْبُ الذكر: رَدُّه وكَفُّه[5].

4- مسرفين: وهو من الإسراف والإفراط، وتجاوز الحد في الشيء. "وتعني مشركين"[6].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ [الزخرف: 5]، "الفاء لتفريع الاستفهام الإنكاري على جملة إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون"[7]. وتشير هذه الآية إلى سُنّة الله في الإرسال والتذكير، فمع كمال هذا القرآن فإنه قد وُجِد من يعرض ويكذب به[8].

2- قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 6]، فيه تسليةٌ لنبيه -صلى الله عليه وسلم- وذكرُ أسوةٍ له، ووعيدٌ وتهديدٌ لهم على تكذيبهم[9]. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾ اسمٌ دالٌ

---

(1) يُنظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص505).

(2) معاني القرآن وإعرابه (ج406/4).

(3) يُنظر: الفراهيدي، العين (ج346/5).

(4) ابن دريد، جمهرة اللغة (ج541/1).

(5) يُنظر: الهروي، تهذيب اللغة (ج151/4).

(6) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (ج3281/10).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج163/25).

(8) يُنظر: حوى، الأساس في التفسير (ج5124/9).

(9) يُنظر: المقدسي، فتح الرحمن في تفسير القرآن (ج206/6).

على عددٍ كثير مبهم، وأصله اسم استفهام لكنه نُقِل من الاستفهام إلى الإخبار على سبيل الكناية[1].

3- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾، "حكاية حالٍ ماضيةٍ مستمرة"[2].

4- قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾، الكناية في منهم ترجع إلى المشركين المخاطَبين بقوله ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾، فكنّى عنهم بعد أن خاطبهم[3]. "وفيها ما يسميه علماء البلاغة الالتفات من الخطاب للغيبة"[4].

- **القراءات:**

اختلف القرَّاء في ﴿أَن كُنتُم﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا﴾: فقد قرأها كل من نافع وأبو جعفر، وحمزة والكسائي، وخلف العاشر بالكسر في الهمزة ﴿إن كُنتُمْ﴾ على أنَّ (إن) حرف شرط وجوابه يفسره ما قبله. والمعنى: إن كنتم قوماً مسرفين نترككم، ونضرب عنكم الذكر صفحاً، وقرأ الباقون بفتح همزة ﴿أَن كُنتُمْ﴾ على أنه مفعول من أجله، والمعنى: أفنضرب عنكم الذكر صفحاً من أجل أن كنتم قوماً مسرفين[5].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **الانتقامُ منَ الجَبَابرةِ سُنَّةٌ كونيةٌ:**

قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 8]، الكفر ملة واحدة في كل زمان ومكان، وقد توعد الله الكفار بالانتقام منهم على مر العصور والدهور، فالكافر لا بد له من عقاب عاجلاً أو آجلاً حتى يكون عِبرة لغيره.

وتعريف الانتقام: "إنزال البلاء بأهل العُتوّ والإجرام، فالله عزيز ذو انتقام، ينتقم من كل ظالم وكافر، في الدنيا والآخرة"، وقد انتقم الله -جلَّ جلاله- من كل من كفر وأشرك وكذّبَ، وعاند رُسُلَه

---

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج165/25).

(2) الزمخشري، الكشاف (ج237/4).

(3) يُنظر: القرطبي، تفسير القرطبي (ج63/16).

(4) الشنقيطي، أضواء البيان (ج82/7).

(5) يُنظر: محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر (ج211/3).

من الأمم السابقة، حيث قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:47][1].

وقد وضَّح الله عاقبة الأمم السابقة، وسرَدَها في القرآن؛ ليعتبر بها أولو الألباب، ويستخلصوا منها الفوائد والعبر، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:111]، وقد ساق الله قصصهم في القرآن، وأمر رسوله –صلى الله عليه وسلم– أن يُذَكِّر الناس بأيَّام الله، فقال جلَّ شأنه: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم:5] كيف أن الله أهلك السابقين الغابرين![2].

ولقد كان كفر الكافرين وجحد الجاحدين، أنَّهم لم يتأملوا آثار الأمم السابقة، بل تركوا التفكر في نهايتهم، فلو تأملوا ذلك لكان حريّاً بهم أن يردهم إلى الصواب، ويحملهم على التصديق بالوحدانية والإيمان بالبعث، ولكن أنّى لهم ذلك، وقد صاروا كالبهائم لا عقل لهم ولا إدراك، ولو كانوا يعقلون لما فاتهم استخلاص العبر والوصول إلى النتائج[3].

يقول جلّ وعلا: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف:109].

إنَّ الكافرين لم يؤمنوا بآخرة يعودون إليها، ولا يعلمون متى يعودون؛ فليأخذوا الدنيا مِقْياساً؛ ولينظروا في رقعة الأرض؛ وليتفكروا فيما حدث للمكذّبين بالرُسُل، سيجدون أنَّ الهلاك والعذاب قد حاق بكل مكذِّب، ولو أنهم ساروا في الأرض، ونظروا نظرة اعتبار، لرأوْا قرى من نحتوا بيوتهم في الجبال كيف عصف الله بها، وكيف أنَّه قد صبّ سَوْط العذاب على قوم عادٍ وآل فرعون، فإن لم تخف من الآخرة؛ فعليك بالخوف من عذاب الدنيا[4].

لكن هناك لطيفة ذكرها ابن تيمية فقال: "ليس من أسماء الله الثابتة الحسنى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– اسم المنتقم، وإنما جاء المنتقم في القرآن مقيَّداً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:22]، وجاء معناه مضافاً إلى الله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾

---

(1) يُنظر: التويجري، موسوعة فقه القلوب (ج353/1).

(2) يُنظر: صقر، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (ج44/1–45).

(3) عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ج846/3).

(4) الشعراوي، الخواطر (ج7131/12).

[إبراهيم:47]، وهذه نكرة في سياق الإثبات، والنكرة في سياق الإثبات مطلقةٌ، ليس فيها عمومٌ على سبيل الجمع[1].

إنَّ النظر في آثار الغابرين يهزُّ القلوب، حتى قلوب المتجبرين، ولحظات الاسترجاع الخيالي لحركاتهم وسكناتهم، وخلجاتهم وتصورهم أحياء يروحون في هذه الأمكنة ويجيئون، يخافون ويرجون ثم إذا هم ساكنون، لا حس لهم ولا حركة، آثارهم خاوية على عروشها، طواهم الفناء وانطوت معهم مشاعرهم وأفكارهم، ودنياهم الماثلة للعيان، إنَّ هذه التأملات لتهز القلب البشري هزَّاً، مهما يكن غافلاً قاسياً، ومن ثم يأخذ القرآن بيد القوم ليوقفهم على مصارع الغابرين بين الحين والحين[2].

"وفي هذه الآية مزيدٌ من إدخال السرور والطمأنينة على قلبه –صلى الله عليه وسلم– ووعده له بأنَّه ناصره على قومه، كما فيه من الوعيد بالويل والهلاك لهؤلاء الذين عاندوا رسول الله، وكذبوه واستهزءوا به وسخروا منه، وقد سبق وسلف في القرآن الكريم في غير موضعٍ منه قصصهم العجيبة في التكذيب والعقوبة، التي أنزلها الله بهم، والتي من حقها أن تسير سير المَثَل شُهْرةً وذيوعاً"[3].

فهذه دعوة نبعثها نملأ بها الأرجاء لكل كافر وجاحد وعاصٍ، لا يغرنَّك تقلب الذين كفروا في البلاد، لابد لهم من موعد لن يُخلفوه، فانتبه إلى ما يرسله الله إليك من الرسائل ولتستعد للقائه، فربك قادرٌ أن يقصمك وأنت على المعصية، فأسلم تَسلَم.

ونقول للذين أوذوا من المسلمين على يد الجبابرة لا تستعجلوا عقوبة الله للمفسدين، فقد جهدوا أن يهدموا دعوة الإسلام، ويؤذوا جنوده الصادقين، فأمهلهم الله بضع سنين، وأمدهم بالمال ومظاهر الجاه والنفوذ، حتى إذا انكشفوا على حقيقتهم مغرورين مجرمين، كاذبين في إدعاء الورع والغيرة على الدين، أذاقهم الله العذاب الأليم[4].

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج95/17).

(2) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن (ج2035/4).

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج786/9–787).

(4) يُنظر: طنطاوي، هكذا علمتني الحياة (ص306).

المطلب الثالث

دِقَّةُ صُنْعِ اللهِ للأرضِ والسَّمَاواتِ

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف:9-11].

- **المعنى الإجمالي:**

يخاطب المولى -عزَّوجل- نبيه قائلاً له: لئن سألت يا محمد قومك من خلق السماوات والأرض، لأقرُّوا بأنه الله تعالى، واعترفوا بأنه عزيزٌ عليمٌ، ومع هذا يعبدون غيره، وينكرون قدرته على البعث؛ لفرط جهلهم، ثم ابتدأ الله تعالى دالاً على نفسه سبحانه بذكر مصنوعاته، فقد خلق الأرض وجعلها ساكنةً ممهَّدةً؛ ليمكِّن الإنسان من الانتفاع بها؛ لكي يهتدي بها إلى مقاصده في أسفاره، وهو الذي ينزل الماء من السماء بقدرٍ محدد فيحيي به الأرض الموات، وفي ذلك عبرةٌ لكم كيف ستخرجون من قبوركم[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

أوردت الآيات السابقة عاقبة المكذبين من الأمم الغابرة، وذكَّرت الكافرين بعاقبتهم إن استمروا على كفرهم، ثم بيَّنت هذه الآيات للمشركين المسرفين في أعمالهم وإعراضهم عن القرآن، بأنهم أقروا بوجود الخالق، وذكَّرهم بنعمه ومصنوعاته الدالة على عظمته، ومع ذلك يكفرون ويكذبون[2].

يقول ابن عاشور: "لما كان قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف:6]، موجهاً إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- للتسلية والوعد بالنصر، عطف عليه خطاب الرسول صريحاً بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾، لقصد التعجيب من حال الذين كذَّبوه وادعوا إلهاً غيره، ومع ذلك يقرُّون بأنه الخالق"[3].

---

(1) يُنظر: الخازن، لباب التأويل (ج106/4).

(2) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج122/25).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج167/25).

- **المفردات اللغوية:**

1- مَهْداً: الميم والهاء والدال أصلٌ يدل على توطئةٍ وتسهيلٍ للشيء، ومنه المهد، ومهَّدْتُ الأمر: وَطَّأْتُهُ، وجمعها مُهْدٌ[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ:6]، أي بساطاً ممكَّناً سهلاً للسُّلوك في طُرُقها[2].

2- سُبُلاً: جمع سبيل، وهو الطريق الذي فيه سهولة[3]، "ويطلق على وسيلة الشيء، ويصح إرادة المعنيين؛ لأن في الأرض طُرُقَاً يمكن سلوكها"[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾، "كرَّر الفعل للتوكيد"[5]، "وفيها فن الحذف، حيث حذف الموصوف وهو رب العزة سبحانه، وأقام صفاته مقامه؛ لأنَّ الكلام مُجزَّأ، فبعضه من قولهم، وبعضه من قول الله تعالى"[6].

2- قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾، "تشبيهٌ بليغٌ حذفت منه الأداة، ووجه الشبه – السهولة– فأصبح بليغاً"[7].

3- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: 11]، فيها التفاتٌ، فقد وقع الانتقال من كلامهم إلى كلام الله –عزَّوجل–، حيث جاء أوله على لفظة الغيبة، وآخره على الانتقال منها إلى التكلم، في قوله ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ افتناناً في أفانين البلاغة ولتسجيل المنَّة على عباده، وقرع أسماعهم بها[8]. والنشر هنا: مجازٌ؛ لأنَّ الإحياء للأرض مجازٌ ووصفت البلدة، وهي مؤنث بالميّت وهو مذكر؛ لكونه

---

(1) يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج281/5).

(2) مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج191/9).

(3) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص395).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج170/25).

(5) الحلبي، الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون (ج575/9).

(6) صافي، الجدول في إعراب القرآن (ج70/25).

(7) الصابوني، صفوة التفاسير (ج156/3).

(8) يُنظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج69/9).

على زنة الوصف الذي أصله مصدر، فَحَسُنَ تجريده من علامة التأنيث[1]. وفيها استعارة تبعية، حيث شبّه الأرض قبل نزول المطر بالإنسان الميّت، ثم أنشرها الله بالمطر[2].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **توحيدُ الرُّبوبيةِ عندَ المشركين:**

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9]، إنَّ العبادة هي التوحيد، وهو أول مطلب طلبه الخالق من المخلوقين، فالخصومة منذُ الأزل بين الأنبياء –عليهم السلام– وأممهم كانت على التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: 36].

فالتوحيد ثلاثةُ أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكلاهما يسميان بتوحيد العلم والاعتقاد، أما توحيد الألوهية فهو توحيد القصد والطلب.

توحيد الربوبية: هو الذي أقرَّ به الكفار على زمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، لكنَّه لم ينفعهم ولا حتى أدخلهم الإسلام، ولم ينجهم من قتال رسول الله لهم، واستحلال دمائهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله جلّ وعلا، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَيُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31][3].

وقد أَكْثَرَ العلماء من وضع تعريفاتٍ له، ولكننا سنقتصر على هذا التعريف الشامل، حيث عرّفه بعض العلماء بقولهم: هو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كُل شيءٍ ومالكه، وخالقه ورازقه، وأنَّه المحيي المميت، النافع الضار، المنفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، له الأمر كله بيده الخير كله، ليس له شريك في ذلك[4].

---

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج171/25).

(2) يُنظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج156/3).

(3) عبد الوهاب، الرسالة المفيدة (ص39–40).

(4) يُنظر: عبد الوهّاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص17).

إن شرك العرب الأوائل أنَّهم كانوا يفردون الله بالربوبية، ويشركونه في الألوهية، فتجد الواحد منهم يعلم بأن الله هو الرازق والمحيي والمميت فلا يدعوا غيره، لكنَّه إذا عبد الله أشرك معه الآلهة، وقد أخبر الله عنهم، فقال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]، وكانوا يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: 18]، ولم يقولوا: إنَّ آلهتهم تُحْدث شيئاً أو تدبر أمراً من دون الله، فكان شركهم في الألوهية مع اعترافهم بالربوبية، فقد احتج الله بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان شركهم في توحيد الألوهية، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106][1].

فلا يقبل الله إيمان عبدٍ وتوحيده، إلا إذا أقرَّ بالتوحيدات الثلاثة وهي: الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فهي كالمثلث القائم بثلاثة رؤوس، لا يقوم بواحدٍ أو اثنين.

ووحدانيته تعالى في ربوبيته تستلزم وحدانيته تعالى في ألوهيته، فالمنفَرد بالخَلْق والرزق، والعطاء والمنع، ودفع الضر وجلب النفع، هو الذي يجب أن يُفرد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذل مع الفقر والحاجة للعزيز الغني القادر المُنْعِم، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 21-22][2].

"ومما يناقض ويضاد توحيد الربوبية، اعتقاد متصرّفٍ مع الله -عزَّوجل- في أيّ شيءٍ من تدبيرِ الكون من إيجادٍ أو إعدامٍ، أو إحياءٍ أو إماتة، أو اعتقاد منازعٍ له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب والعظمة والكبرياء، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: 107]"[3].

---

(1) يُنظر: أبابطين، الرد على البردة (ص15-16).

(2) يُنظر: ابن باديس، العقائد الإسلامية (ص83).

(3) الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ص24-25).

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما يحكى عن الله –جلّ وعلا–، قال: "**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**"(1).

لكنَّ الخطأ الشنيع في أن بعض الغافلين الجُهّال، الذين فسروا توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية والعكس، وزعموا أن الغاية العظمى من بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– هو توحيد الربوبية، وهؤلاء لا شك في كفرهم وبطلان شركهم؛ لأنهم أنكروا ما عُلِمَ بالكتاب والسنة.

ولم ينكر أحدٌ معلومٌ من بني آدم، توحيد الربوبية وهو ما اتفق عليه اليهود والنصارى ومشركو العرب، فلم يقل أحدٌ من الخلق: إنَّ للعالَم خالقَين متساويَين، فلم يجحده أحدٌ لا على سبيل التعطيل، ولا على سبيل التشريك إلا ما حصل من فرعون؛ فإنَّه أنكره على سبيل التعطيل مكابرةً منه، وإنكاراً لوجوده سبحانه، وقد قال الله حكايةً عنه: ﴿**فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ**﴾ [النازعات: 24]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى**﴾ [القصص: 38]، وهذا مكابرة منه فهو يعلم بأنَّ الربَّ غيره، كما قال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا۟**﴾ [النمل: 14]، وكذلك أنكر المجوس توحيد الربوبية على سبيل التشريك، حيث قالوا: إنَّ للعالَم خالقين هُما الظلمة والنور، ولم يجعلوا هذين الخالقين متساويين(2).

ولا عجب في إثبات كل الخلق توحيد الربوبية؛ لأنَّ دليل الفطرة أوجبه في نفوسهم، وقد دلل النبي –صلى الله عليه وسلم– على هذا المعنى، فعن عِيَاض بن حمار المُجَاشِعِيّ، أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، قال ذات يومٍ في خطبته: "**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**"(3).

---

(1) [ابن حبان: صحيح ابن حبان، البر والصلة/ذكر الإخبار بأنَّ من تقرب إلى الله قدر شبر أو ذراع، 35/2: رقم الحديث 328]، وصححّه الألباني.

(2) يُنظر: ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (ج9/1).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها/الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، 2197/4 رقم الحديث 2865].

ومعنى هذا الحديث أنَّ الله خلقهم مُيَّلاً إلى ما خُلقوا له، فكانوا بذلك حُنَفَاء، وكان في خَلْقِهِ لهم أن كتَبَ بعضهم سعيداً، وبعضهم شقياً، فالشقي من أطاع الشياطين فيما دعته إليه، والسعيد من خالفهم، وتَمَسَّك بما خلقه الله –عزَّوجل–، وترك الميل إلى سواه[1].

ويحق للمسلم أن يعجب من مشركي هذا العصر كيف أنَّ الواحد منهم ينال الدرجات العلا من الشهادات والترقيات، وهو محسوبٌ على جملة المسلمين يأتي فيقول: نحن نؤمن بالله وحده، وبأنه خالق ومالك هذا الكون، لكننا نضع أيدينا في أيدي إخواننا–أعدائنا– لمصالح عديدة، وحتى يعمَّ السلام البلاد والعباد، ونُطَبّع معهم الاتفاقيات والمعاهدات من أجل نشر السَّلام، وأن يعم الأمن والأمان، فيعبدون أمريكا ومن والاها من دون الله –عزَّوجل–، بل هم أدوات كالدُمَى في يديْها، تحركهم كيفما شاءت، فيعيثون بأمرها خراباً ودماراً في بلاد المسلمين، ويستحلُّون قتل الموحدين والعبَّاد، وسفك دمائهم بغير وجه حق، وليس ببعيد عنا مشهد قتل المصلين الراكعين الساجدين في المسجد الإبراهيمي وفي الميادين العامة؛ لعلهم بفعلهم هذا ينالون حظوة عند أسيادهم وبعض فتات من أموال المُغَيبين من أغنياء العالم وأمرائها.

ولله درُّ أبي العتاهية حيث اتهم بالزندقة، فقالوا له: ماذا تقول في ذلك؟ قال والله ما ديني إلا التوحيد، فقالوا له قل شيئاً نتحدث به عنك، فقال:

ألا إنّنا كلَّنا بائِدُ	وأيُّ بني آدمٍ خالدُ
وبَدؤُهُم كان من ربهمُ	وكلٌّ إلى ربّه عائدُ
فيا عجباً كيف يُعصى الإلهُ	أم كيف يجْحَده الجاحدُ
ولله في كلّ تحريكةٍ	وفي كلّ تسكينةٍ شاهدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ	تدلُّ على أنَّهُ واحدُ[2]

بل إنَّ مشركي هذا العصر هم أعظم شركاً ممن بُعث فيهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقد وصلت بهم سفاهة عقولهم، وعِظَمُ شركهم، ما لم يصل إليه شرك السابقين، فهم يخلصون الدعاء والإنابة، ويتضاعف ذلهم وخضوعهم لمن يدّعون لهم الولاية، عندما يقعون في الشدائد، بل

(1) الطحاوي، شرح مشكل الآثار (ج7/10).

(2) أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية (ص122).

وجعلوا الشرك الذي هو أعظم الذنوب أفضل أعمالهم، ورموا من أنكر عليهم ذلك بالجفاء، وبأنهم خوارج يكفِّرون المسلمين؛ وذلك لأنهم جهلوا معنى العبادة الحقيقية[1].

(1) يُنظر: الغنيمان، أول واجب على المكلف عبادة الله (ج62/54-55).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (12-14)

المطلب الأول

خَلْقُ اللهِ للأزواجِ والفُلْكِ والأنعامِ

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الزخرف: 12].

- **المعنى الإجمالي**:

إنَّ الله الذي خلق الأصناف كلها من حيوان ونبات، وليل ونهار، وذكر وأنثى، وصيَّر للإنسان من السفن والأنعام ما يركبونه في أسفارهم، فيركبون السفن في البحر، ويركبون الأنعام في البر[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

بعدما تحدثت الآيات السابقة عن الامتنان بخلق وسائل الحياة من سماوات وأرضين، ومياه الأمطار، انتقل هنا إلى الاستدلال بخلق وسائل الاكتساب لصلاح المعاش، وتسخير وسائل المواصلات من سفنٍ وأنعام، وذكر وسائل الإنتاج فيهما[2].

- **المفردات اللغوية:**

1- الأزواج: جمع زَوْج، وهو الاثنان، فكل اثنين زوج، قال الله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام: 143]، أي ثمانية أفراد، والأصل فيه الصنّف والنوع، وكل شيءٍ مُقترنَيْن[3].

2- الفُلك: أي السفينة، وهي واحدٌ وجمع يذكر ويؤنث، منه قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: 119]، فأُفرد وذُكِّر فقال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾

(1) يُنظر: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن (ج490/1).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج172/25).

(3) يُنظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس (ج22/6).

[البقرة: 164]، فأنّثَ وقد تجمع كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: 22][1].

3- الأنعام: "جمع النَّعَم، وهي مختصة بالإبل، وسُمِّيت بذلك؛ لكون الإبل عندهم أعظم نعمةٍ، ولكنَّ الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعامٌ حتى يكون في جملتها الإبل"[2].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾، جيء بالفعل جعل مراعاةً؛ لأنَّ الفُلك مصنوعةٌ وليست مخلوقة، والأنعام قد عرف أنَّها مخلوقةٌ لشمول قوله: خلق الأزواج إيَّاها[3].

2- قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ﴾، "مِنْ هُنا: للتبعيض"[4].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **نِعْمةُ الأنعامِ:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢﴾ [الزخرف: 12].

إنَّ نعم الله على الإنسان تَتْرى، من حواسٍ وأرضٍ وما عليها من النعم، وسماءٍ وما فيها من الآلاء المسخرة، ولا شك أنَّها تحتاج لشكر خالقها، ومنها نعمة الأنعام العظيمة الشأن في كل عصور الإنسان وحياته.

- **نعمةُ التذليل:**

إنَّ النعمة الأولى في الأنعام هي نعمة تذليلها؛ لأنَّ الله وحده الذي جعلها مقهورةً ذليلة، لا تمتنع على صاحبها عند الحاجة إليها في تسييرها وتوجيهها؛ للرعي أو للطُرُق وللوقوف والحمل،

---

(1) يُنظر: الرازي، مختار الصحاح (ص243).

(2) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص815).

(3) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج173/25).

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج47/5).

فهذا التذليل ضرورة لتمام الانتفاع بها، ويرتبط بتذليلها كونها جمالاً وزينة في رجوعها من المَرعى عشيَّاً، فتكون شَبِعَة وخواصرها ممتلئة، فيُسَّر صاحبها برؤيتها عَفيَّة، فلولا تذليل المُنْعِم لها لما كانت زينةً وجمالاً؛ لأنها ستكون نافرة مستعصية[1]، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**﴾ [يس: 71-72]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾ [النحل: 6].

وقد أفاض الله في ذكر النعم التي حباها الله عباده في الكون من حولهم، فالأنعام مظهرٌ من مظاهر هذه النعم من جِمَالٍ وأبقارٍ وأغنامٍ، وكذلك الخيل، والبغال والحمير خلقها لنا على نحو يُفيدُنا ويتناسب مع طبائعنا وتكويننا، قال جلَّ وعلا: ﴿**وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل: 5][2].

إنَّ الله فرَّقَ حوائج الخلق في أمكنةٍ بعيدة، وبينهم وبين أمكنة حوائجهم مفاوز وفيافي وبحار، فجعل لهم في المفاوز أنعاماً يركبونها؛ ليصلوا إلى حوائجهم، فيذكِّرَهم نعمه؛ ليتأدَّى بذلك شكرها، ويذكرهم قدرته أن مَنْ ملك هذا وقدَّره لا يعجزه شيء[3].

إنَّ الآيات التي ذكرت أنَّ الأنعام تُركَب محمولةٌ على بعض الأنعام، وهي الإبل، وهو من العام الذي أريد به الخاص، فهذا يدل على أن استعمال البقر للركوب غير لائق[4]، ومن الدليل على ذلك ما يُحَدِّثُ به أبو هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ بَقَرَةً، إِذْ قَالَتْ: لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "آمَنْتُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**"[5].

---

(1) يُنظر: ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص248).

(2) يُنظر: العتيبي، العقيدة في الله (ص101).

(3) يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج152/9).

(4) يُنظر: القرطبي، تفسير القرطبي (ج66/16).

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، المناقب/مناقب أبي بكر الصديق، 615/5: رقم الحديث 3677]، صحَّحَه الألباني.

- **نعمة الجلد وما فيه من صوفٍ وشَعْرٍ وَوَبَرٍ:**

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5]، وقال تعالى: ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: 80].

إنَّ هذه نعمٌ جليلةٌ أن نتخذ من جلود الأنعام بيوتاً خفيفة في الحمل بالأسفار، فهي تُضرب بسهولة؛ لتقينا الحرَّ والقَرَّ، وكلنا يعلم بأنَّ الدفء يأتي من الصوف والوبر والشعر، فالمتأمل في شعر المَعْز يجد كل شعرة بمفردها، لكنَّ الوبر الذي نَجزُّه من الجمل يكون مُلبداً؛ وهذا دليل على دِقَّةِ فَتْلته، أما الصوف فكل شعرةٍ منه أنبوبة أسطوانية قلبها فارغ[1].

أليس في هذه المخلوقات آيات عظام، وعجائب فريدة؟! إذا كان كل حيوان يمتلك شعراً يختلف عن الآخر بخصائص فريدة، ألا يدل ذلك على دِقَّة صنع صانع عظيم لها، ألا وهو الله جلَّ في علاه.؟ إنَّ الله جعل للإنسان من جلود هذه الأنعام ما يناسب الارتحال والتنقل، وانتجاع مواطن الكلأ، واستخفافها أي طلب خفتها: كالأخبية والفساطيط، فهي بيوتٌ محمولةٌ، وهذا يشمل الذين يقيمون في الخيام في الصحراء، فإنها موضع إقامة دائمة لهم ويسمون بأهل الوَبَر[2].

- **نعمةُ اللَّبَنِ:**

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ [النحل: 66]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: 73].

يقول ابن القيم في هذه النعمة: "تأمل كيف ينزل الغذاء من أفواهها إلى المعدة، فينقلب بعضه دماً بإذن الله، وما يسري في عروقها وشحومها ولحومها، فإذا أرسلته العروق في مجاريها إلى جملة الأجزاء، قَلَبَه كل عضوٍ أو عصب أو شعر وظفر إلى طبيعته، ثمَّ يبقى الدم في تلك الخزائن التي له إذ به قوام الحيوان، ثم ينصب ثقله إلى الكرش فيصير زَبِلاً، ثمَّ ينقلب باقيه لبناً صافياً أبيض سائغاً للشاربين، فيخرج من بين الفرث –الروث– والدم، حتى إذا أُنْهِكَت الشاةُ حَلْباً خرج الدم مشوباً بحُمْرةٍ، فصفّى الله سبحانه الألطف من الثَّفل بالطبخ الأول ... فينصب من تلك العروق إلى

---

(1) يُنظر: الشعراوي، الخواطر (ج7815/13).

(2) يُنظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج4234/8–4235).

الضَّرع، فيقلبه الله تبارك وتعالى من صورة الدم وطبعه وطعمه، إلى صورة اللبن فسل المُعَطِّل الجاحِد مَنِ الذي دبَّر هذا التدبير وقدَّر هذا التقدير، ولَطف هذا اللُّطف؟ سوى اللطيف الخبير"[1].

وقد استنبط القرطبي من هذه الآية عَشْرَ مسائل نذكر منها: أنَّ اللبن لم يَشْرَقْ به أحدٌ قط، وقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ما رواه ابن عباس فقال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا يُجْزِئُ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ**"[2].

قال العلماء: "كيف لا يكون ذلك وهو أول ما يَتغذى به الإنسان، وَتَنْمَى به الجثث والأبدان، فهو قوتٌ خَلِيٌّ عن المفاسد به قِوَامُ الأجسام، وقد جعله الله علامةً لجبريل على هداية هذه الأمة التي هي خير الأمم"[3].

فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**"، قَالَ: "**فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**"، قَالَ: "**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**"، قَالَ " **ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ...**"[4].

وهذا اللبن يتكون من أخبث شيئين في بطون الأنعام، وهما الفرث بعفونته والدم بلونه، فيُخرِجُ الله جلَّ وعلا منها اللبن بقدرته، ولذلك نسب الفعل إلى ذاته العلِيَّة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿نُّسۡقِيكُم﴾، فلا الفرث يؤثر بالعفونة ولا الدم يؤثر باللون، فيخرج اللبن أبيض ليس فيه رائحة ولا لون أحمر، خالصاً سائغاً للشاربين؛ لأنَّ يدَ ابن آدم لم تدخل فيه[5].

---

(1) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج251/1).

(2) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الأطعمة/الزيت، 1103/2: رقم الحديث 3322]، حسّنه الألباني.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج126/10–127).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، 145/1: رقم الحديث 162].

(5) يُنظر: المغامسي، تأملات قرآنية (ج23/26).

- **نعمة اللحم:**

قال تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: 21]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: 72].

"هذه النعمة خاتمة النعم في الأنعام، فرغم تعدد منافعها في حياتهم، فهي كذلك يؤكل لحمها وهو من أعلى أنواع الأطعمة، وعليه اعتمادٌ كبيرٌ في حياة الناس، بل إنَّ شعوباً بأكملها تعيش على الرَّعْي والتجارة بالأنعام اللاحمة"[1]. وفي الآية دلالة صريحة على جواز أكل الأنعام.

(1) ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص251).

المطلب الثاني

نِعَمُ اللهِ في رُكُوبِ البِحَارِ والأنعامِ

قال تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: 13-14].

- **المعنى الإجمالي:**

لقد سخر الله الأنعام والسفن؛ لكي يستقر الإنسان فوق ظهورها، ثمَّ يذكِّره بنعمة خالقه وقدرته عليه وعلى هذه الأنعام، وليقول استعظاماً لتذليلها العجيب، واعترافاً بالعجز عن ضبطها والتسلط عليها، سبحان الذي ذلَّل لنا هذا، وما كنا لتذليلها مطيقين. وإنَّا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة؛ ليُحاسب كُلٌّ على ما قدّمت يداه[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

بعدما تكلم الله في الآيات السابقة عن صفاته الفعلية الدالة على وجوده وقدرته، وعلمه المُوجِبَة لألوهيته، ذكر فيما بعدها دعاء ركوب هذه النعم، وكيفية شكر الله عليها الذي سخرها وجعل للعبد القدرة على التحكم فيها[2].

- **المفردات اللغوية:**

1- لتستووا على ظهوره: الاستواء هو: الإقبال على الشيء، وقال الأخفش: استوى أي عَلا، تقول: استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوته، واستوى على ظهر دابته: أي استقر[3].

2- مقرنين: من قَرَن، ومنه أقرنت لهذا البعير أو البرذون أي: أطعته، واشتق من قولك: صرت له قريناً أي: مطيقاً، ومعناه في الآية مطيقين[4].

---

(1) ينظر: لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص723-724).

(2) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج630/4).

(3) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (ج414/14).

(4) يُنظر: الفراهيدي، العين (ج143/5).

3- لمنقلبون: أصلها من القلب: بمعنى تحويل الشيء عن وجهه، أي: قلبه يقلبه قلباً[1]. وإذا تعدَّى الفعل بإلى فإنَّه يعني الرجوع، ومنه قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: 62]. ومعناه في الآية لراجعون[2].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 14]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 50]. ما الفرق بين الآيتين؟: آية سورة الزخرف تذكِّر العباد بإنعام الله عليهم؛ ليشكروا الله، فتُخالفوا الكفار بأن تُقروا بما أنكروه، فتؤمنوا بالبعث والحياة بعد الموت، وهذا خطابٌ لكل من كان في ذلك العصر، فالتوكيد لمثله لازمٌ، وفي الكلام الذي للتأييد واجبٌ، أمَّا آية سورة الشعراء فهو خبرٌ عن السّحَرة لما آمنوا ووصفوا حالهم واستهانتهم بتخويف فرعون، إذ كان منقلبهم إلى ربهم، فلم يحتج إلى التوكيد كسابقه[3].

2- قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾، ليس في هذه الآية إشارة إلى التحقير، بل هي تصويرٌ للحال، وفيها مزيدُ تقريرٍ لمعنى التعجب، والكلام وإن كان إخباراً، إلا أنَّه يُشْعِرُ بالطلب[4].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1- رُكُوبُ الدَّوَابّ:

لا شك أن الذكر من الأمور التي ينبغي لكل مسلم ألا يغفل عنه في كل أحواله وحركاته وسكناته، فقد امتدح الله الذين يذكرونه، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، فقد بيَّن الإسلام أن عبادة الذكر من أسهل العبادات التي لا تحتاج إلى طهارة أو استقبالٍ لقبلة، أو أي شرطٍ من شروط العبادة المعروفة، بل هي عبادةٌ عظيمة من

---

(1) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب (ج685/1).

(2) يُنظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1847/3).

(3) يُنظر: الإسكافي، دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل (ج1171/1-1172).

(4) يُنظر: الألوسي، روح المعاني (ج68/13).

أعظم عبادات الدين الإسلامي، جاءت سورة الزخرف لتتحدث عن ذكرٍ عظيمٍ من الأذكار والأدعية يقولها المسلم حين يمتطي دابته أو أي شيءٍ يُمْتَطى ظهره من سفينة أو حيوان، أو سيارة أو طائرة.

2-التعوذ عند ركوب الدابة:

فعن أبي لاسٍ الخزاعي قال: حملنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إبلٍ من إبل الصدقة ضعافٍ لحج فقلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا نَرَى أَنْ تَحْمِلَنَا هَذِهِ. فَقَالَ: "**مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا عَلَى ذُرْوَتِهِ شَيْطَانٌ. فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِذَا رَكِبْتُمُوهَا كَمَا أَمَرَكُمْ، ثُمَّ امْتَهِنُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّهُ**"[1].

وهذه وصيّة من الذي لا ينطق عن الهوى بأنَّ المسلم إذا ركب الإبل، وجب عليه ذكر الله كما ورد في القرآن، ولا ينظر المسلم لهزالها وعجزها؛ لأنَّ الذي يحملهم عليها هو الله جلَّ في علاه[2].

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-، قال: "**إِذَا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ فَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ رَدِفَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهُ: تَغَنَّ فَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ قَالَ لَهُ: تَمَنَّ**"[3].

ودلالة هذا الحديث أن المُتَحصّن بذكر الله عند ركوب دابته، يمنع الشيطان من مصاحبته له في سَيْرِه، وهذه فائدةٌ جليلةٌ وإن دلّ فإنما يدل على أن من يتبعه الشيطان يأمره بالغناء، فإن كان لا يحسن الغناء، قال له: تمنَّ فلا يزال في أمنيته حتى ينزل[4].

3-الدعاءُ المأثور عند ركوب الدَّوابِ:

عن عليّ بن ربيعة، قال: شهدت علياً، أتى بدابةٍ يركبُها، فلما وضع رجله في الركاب، قَالَ: بِسْمِ اللهِ ثَلاَثًا، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ**﴾، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ ثَلاَثًا، اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلاَثًا، سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ. فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ:

---

(1) [ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، الزكاة/ إعطاء الإمام الحاج إبل الصدقة ليحجوا عليها، 73/4: رقم الحديث 2377]، حسّنه الألباني.

(2) يُنظر: ابن تاج العارفين، التيسير بشرح الجامع الصغير (ج359/2).

(3) [ابن راشد: جامع معمر بن راشد، باب ركوب الثلاثة على الدابة، 397/10: رقم الحديث 19481].

(4) يُنظر: الهندي، كنز العمال (ج69/9).

رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ[1]. فلا بد للمسلم أن يذكر نعمة الله عليه بتسخيرها له وانقيادها بأمره لها.

4–أحكامٌ تتعلق بالدابة:

- **صاحب الدابة أولى بصدرها:**

قول قيس بن سعد: إنّي سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "**صَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِصَدْرِهَا**"[2].

- **وجوبُ عَلْفِها ورعيها:**

مما لا شك فيه أنَّه يجب على مالك الدابة علفها ورعيها، وسقيها لحُرمة الروح، كما جاء عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا**"[3].

فإن لم تكن ترعى وجب عليه علفها وسقيها، وإن كانت ترعى لزمه إرسالها حتى تروى وتشبع، وإن احتاج إلى ماءٍ معه لطهارته، واحتاجت بهيمته للسقيا، سقاها وتيمم، فإن امتنع من العلف أجبر على البيع أو العلف، أو الذبح إن كانت تُأكل[4]. وهذا من رحمة الله بالحيوان.

- **النهي عن اتخاذ ظهورها منابر:**

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال: "**إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ**"[5].

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/ما يقول إذا ركب الدابة، 378/5: رقم الحديث 3446]، قال الألباني، حديثٌ حسنٌ صحيح.

(2) [عبد الجبار، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، (ج277/12)]، صحّحه الألباني.

(3) [البخاري: صحيح البخاري، المساقاة/فضل سقي الماء، 112/3: رقم الحديث 2365].

(4) يُنظر: عاشور، موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي (ص182).

(5) [أبو داود: سنن أبي داود، الجهاد/الوقوف على الدابة، 27/3: رقم الحديث 2567]، صحّحه الألباني.

قال الإمام أحمد: "وهذا فيمن ركبها من غير حاجةٍ إلى سيرٍ، أو إعلام الناس من كلامه ما يحتاج إلى إعلامه، ولم يكن هناك منبرٌ يصعده"[1].

5-رُكُوبُ البِحَارِ:

إنَّ البحر آيةٌ من آيات الله سبحانه وتعالى، وفيه من القوة ما لا يجهله أحد، ففيه الأمواج ما قد تغرقُ أقوى السفن، ومع ذلك ذلَّله الله سبحانه وسخره لبني آدم، فلو لم يذلِّل الله هذا البحر لإجراء السفن فيه لما قدر الناس عليه[2].

وكلنا يعلم بأن السفن نوع من أنواع ما يُركب، ورمزٌ للباقي كالطائرة والسيَّارة، ممَّا اخترعه الإنسان؛ لكي يستووا عليه فيقضي لهم حوائجهم[3].

وإنَّ في إخبار النبي بركوب البحار لهي معجزة للقرآن الكريم، إذ كان الكل قديماً يعلمون بأن المتاجر في بلاد العرب كانت تسير بالقوافل في باطن الصحراء، ويَنْدُرُ أنَّ أحداً من العرب قد رآه أو ركبه، ولكنَّ القرآن تنبأ بأنَّ الفلك ستكون هي الطريق لنقل البضائع من أقصى الأرض إلى أقصاها، واليوم نرى أن البلد يكون مقدار اقتصاده تبعاً لمقدار سواحله، ومقدار المنشآت التي تمر بمراسيه، فلا تكاد تجد سورة خلت من وصف البحر والجواري المنشآت فيه[4]، قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ**﴾ [إبراهيم: 32].

وقد علَّمنا القرآن دعاء ركوب البحر الذي ورد على لسان نوحٍ -عليه السلام-، حيث قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ**﴾ [هود: 41].

قال مجاهِد عن هذه الآية: "سَمُّوا الله حين تركبون وحين تَجْرُون، وحين تَرْسُون"[5].

وقد استنبط ابن العربي من هذه الآية: أنَّها نصّت على ذكر الله في كل حال، وعلى كل أمرٍ، واستشهد بأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يذكر الله في كل أحيانه[6].

---

(1) البيهقي، شعب الإيمان (ج424/13).
(2) يُنظر: المُقدَّم، تفسير القرآن الكريم (ج101/10).
(3) يُنظر: الحجازي، التفسير الواضح (ج386/3).
(4) يُنظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج4419/8-4420).
(5) مجاهد، تفسير مجاهد (ص387).
(6) يُنظر: ابن العربي، أحكام القرآن (ج16/3-17).

لكن ما وجه السُّنة في ركوب السفينة أن نقول ذلك القول فنذكر المبدأ والمنتهى؟

الحكمة تكمن في أن السفينة لا يحصل الغرض منها إلا بالبلاغ، فلو سافرت ما شاء الله، ثم عطبت في آخر السفر، لم يحصل شيء من الغرض، قلَّ أو جلَّ، فتوقف أول السفر على آخره في حصول الغرض أَوْجَبَ أن تكون التسمية إلى آخره جامعةً للأول والآخر[1].

إنَّ هذا الذكر في سورة الزخرف ﴿وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾، يذكِّرنا بأنَّ للإنسان سفرين: سفرٌ في الدنيا من بلد إلى بلد، وسفرٌ طويل إلى الله –عزَّوجل– حتى تصل إلى الجنَّة في النهاية. ولا شك أنك حين تسافر لا بد لك من التزود، فتزود للسفر الأكبر حتى ترجع إلى ربك من باب أولى[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾، هذا هو الأدب الواجب في حق المُنْعِم، يوجهنا الله إليه، لنذكره كلما استمتعنا بنعمة من نعمه التي تغمرنا، والتي نتقلب بين أعطافها ثم ننساه، والأدب الإسلامي في هذا وثيق الصلة بتربية القلب وإحياء الضمير، فليس هو مجرد طقوس تُزاول عند الاستواء على ظهور الفُلك، ولا مجرد عبارات يتلوها اللسان، إنما هو استحياءٌ للمشاعر لتُحس بحقيقة الله، وحقيقة الصلة بينه وبين عباده، وتشعر بيده وتدبيره في كل ما يحيط بالناس، وكل ما يستمتعون به ممَّا سخَّره الله لهم، هو محض الفضل والإنعام بلا مقابل منهم، ثمَّ لتبقى قلوبهم على وجلٍ من لقائه في النهاية لتقديم الحساب، فلا تغفل عن مراقبة الله، ولا تجمد بالغفلة والنسيان[3].

---

(1) يُنظر: الدماميني، مصابيح الجامع (ج244/8).

(2) يُنظر: حطيبة، تفسير أحمد حطيبة (ج444/6).

(3) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن (ج3180/5).

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الزخرف من الآية (15-23)

المطلب الأول

المشركونَ يَعْبدونَ المَلائكة

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ۝١٦﴾ [الزخرف: 15-16].

- **المعنى الإجمالي:**

اعترف المشركون بأنَّ الله خالق السماوات والأرض، ومع ذلك جعلوا له من عباده جزءاً فوصفوه بصفات المخلوقين -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، فقالوا: بأن الملائكة بنات الله، فيرد الله عليهم قولهم بأن الإنسان جاحدٌ لنعم ربه التي أنعمها عليه بيَّنُ الكفر والضلال، ثم وبَّخهم الله كيف يتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات وأنتم لا ترضونه لأنفسكم، أم أنَّه أصفاكم بالبنين، فجعلهم لكم[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

"بعد بيان اعتراف المشركين بأنَّ الله خالق السماوات والأرض، ذكر الله في هذه الآيات ما يناقض ذلك، وهو ادعاؤهم أنَّ الملائكة بنات الله، فلم يقتصروا أن جعلوا لله ولداً، بل خصوه بالإناث من الملائكة، فرد الله عليهم بأجوبة ثلاثة: نفورهم من الإناث، وضعف الإناث، وجهلهم بحقيقة الملائكة"[2].

- **المفردات اللغوية:**

1- ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ﴾: "إشارة إلى قولهم الملائكة بنات الله، فجعلوهم بعضه؛ لأن الولد جزءٌ من والده، وقال قتادة: عِدْلاً"[3]. ولا شك بفساد قول من قال بأن جزءاً تعني البنات. قال

---

(1) يُنظر: الطبري، جامع البيان (ج578/21).

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج130/25).

(3) الحلبي، عمدة الحفاظ (ج323/1).

الزمخشري: "ومن بدع التفاسير تفسيرهم الجزء بالأنثى، وما هو إلا كذبٌ على العرب، ووضعٌ مستحدثٌ منحول"[1].

2- أصفاكم: "أصل الصَّفاء: خلوصُ الشيء من الشّوب"[2]، وفي الآية: أخصكم ربكم بالبنين دون البنات وخصّهم بكم.

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾، كفور مبين، صيغ مبالغة على وزن فعول وفعيل. وقد جاءت بمؤكدات إنَّ واللام في ﴿لَكَفُورٌ﴾ للدلالة على شدة كفره وتنكُّره للنعم.

2- قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾، "أسلوب تهكمي للتوبيخ والتقريع، وبين البنات والبنين طباق"[3].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **بطلانُ نسبةِ البناتِ إلى ربِّ الأرضِ والسَّماوات:**

قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾، ويقول تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: 39]، يوبخ الله الكافرين وينكر عليهم، أما تستحيون من نسبة الإناث إلى ربكم، وأنتم إذا بُشِّرَ أحدكم بها إرْبَدّ وجهه، ونكّس رأسه، وذهب فوَأَدَها، أي: دفنها حية؛ لئلا يلحقه العار ببقائها، فكيف تكرهونه لأنفسكم؟ وترضونه لربكم جلَّ الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً[4].

ويقول الله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: 21-22]، ثم نفى الله عن نفسه الصاحبة، فقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: 101]، فالولادة لا تكون إلا من أصلين، فإذا امتنع أن تكون له صاحبة، امتنع أن يكون له ولد، وقد علموا كلهم أن لا صاحبة له من الجن أو الإنس، وهذا مما يُحتج به عليهم[5].

---

(1) الزمخشري، الكشاف (ج241/4).

(2) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص487).

(3) الصابوني، صفوة التفاسير (ج156/3).

(4) يُنظر: الصرصري، شرح مختصر الروضة (ج252/3).

(5) يُنظر: الخطيب، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (ج237/1-238).

فالله سبحانه لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه، واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا ضد له ولا ند، ذو العظمة والكبرياء الذي هو أَهْلٌ أن يُجَلَّ؛ فلا يُعصى، وَيُذْكر فلا يُنسى، ويشكر فلا يُكفر، ويُوَحَّد فلا يشرك معه غيره[1].

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصفات: 149-152]، طالبهم الله بالحجة على قولهم إن كانوا قد صدقوا على وجه التبكيت لهم إذ لا يجدون على ذلك حجةً أصلاً، فإن انتفاء الولد عن الله معلومٌ عقلاً لوجوب تقديسه عن سمات الحدوث[2].

وهذه الآيات تشتمل على أمرين:

الأول: إثبات البنات لله، وذلك باطل؛ لأن العرب كانوا يستنكفون من البنت، والشيء الذي يستنكف المخلوق منه، كيف يثبتونه للخالق؟

والثاني: إثبات أن الملائكة إناثٌ، وهذا أيضاً باطل؛ لأن طريق العلم إما الحس، وإما الخبر، أو النظر، أما الحس فمفقود ههنا؛ لأنهم ما شاهدوا كيفية خلق الله للملائكة، والخبر أيضاً مفقود، فهم كذَّابون أفّاكون، وأما طريق النظر فمفقود أيضاً، وبيانه من وجهين:

- إن دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب؛ لأن الله تعالى له الكمال المطلق، والأكمل لا يليق به اصطفاء الأخس، يعني إسناد الأفضل إلى الأفضل أقرب عند العقل من إسناد الأخس إلى الأفضل، فإن كان حكم العقل مُعتبراً في هذا الباب كان قولهم باطلاً.
- أن نترك الاستدلال على فساد مذهبهم، ونطالبهم بإثبات الدليل على صحة مذهبهم فإن لم يجدوا ذلك، ظهر ضده وهو بطلان قولهم[3].

إنَّ زعمهم أن الملائكة بنات الله كفرٌ، وفيه تمثيل لله بخلقه وتفضيلٌ لأنفسهم على ذاته العليّة سبحانه، فهذه الآراء الكافرة الكاذبة تُوجب لصاحبها الخلود في النار إذا مات وهو يعتقدها[4].

---

(1) يُنظر: الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج2/655-656).

(2) يُنظر: الطرطوشي، تحرير المقال في موازنة الأعمال (ج2/470).

(3) يُنظر: الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (ج2/554).

(4) يُنظر: ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص282).

وإنَّ من يدّعي أن لله البنات، سيحاسبه الله يوم القيامة على شهادته بذلك، فإن من أعظم الذنوب القول على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: 19]، ومن هنا وجب على المسلم أن يحذر من أن يتقوّل مثل هذه التُّرّهات بدون علم، وكذلك الذين يزعمون أن أصل الإنسان قرد، نرد عليهم بقوله تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾، ويقول تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: 51][1].

وقرّر ربُّ العزة سبحانه أن ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ﴾ [النحل: 60]، فهؤلاء الذين نسبوا إلى الله البنات وهم لا يؤمنون بالآخرة، لهم صفة السوء، وهي عبادة الأصنام من دون الله، والله له المَثَلُ الأعلى فهو كاملٌ لا نقص فيه، واحدٌ في ذاته، لا يشبهه شيء من خلقه[2].

(1) يُنظر: العتيبي، عالم الملائكة الأبرار (ج14/1).

(2) يُنظر: العتيبي، الله يُحَدِّث عباده عن نفسه (ص205).

المطلب الثاني

اسْوِدادُ وُجُوهِ المُشْرِكينَ مِنْ إنجابِ الأُنْثَى

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ أَوَ مَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ [الزخرف: 17-18].

- **المعنى الإجمالي:**

عجباً لهؤلاء المشركين يثبتون لله ولداً، ثم يقولون بعد ذلك إنه أنثى، وكيف يجعلون لله البنات، وهم إذا بشر أحدهم بالأنثى صار وجهه مسّوداً من الحزن والغمّ وهو كظيم، بل ويتوارى عن أعين القوم من سوء ما بُشّر به من البنت، فإن كان لا بد لله من ولدٍ فليكن ذكراً لا أنثى، لكنهم أعموا عيونهم وجعلوا لله ما من شأنه أن يتربى في الزينة والحُلِيّ، وأن يكون مقيداً في البيت، ولا يكاد يُبِين في الخصومة والجدال، وهذه أوصاف النساء[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

بعدما ذكر الله في الآيات السابقة افتراء من ادَّعى أن لله البنات، وضح في هذه الآيات كيف أنهم لا يقبلونه لأنفسهم، بل ويحزنون إذا وُلدت لهم أنثى، وهي الأنقص والأضعف في عقلها وبنيتها فكيف ينسبون لله ما يكرهونه لهم؟.

- **المفردات اللغوية:**

1- بُشِّرَ: "من التبشير، تعني: ما يُبَشَّر به الإنسان من البشارة، وتأتي في الخبر السار والخبر الضار على سبيل التهكم"[2].

2- مَثَلاً: "القصة العجيبة"[3].

3- كَظيم: "وفيه ثلاثة معاني، أولهما: حزين، وثانيهما: مَكْرُوب، ثالثهما: ساكِتٌ"[4].

---

(1) يُنظر: الحجازي، التفسير الواضح (ج3/388-389).

(2) الفراهيدي، العين (ج259/6).

(3) الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن (ج219/4).

(4) الماوردي، النكت والعيون (ج219/5).

4- يُنشأ في الحلية: أصله من إحداث الشيء وتربيته، ومنه نشأ السحاب، والآية تعني أنَّه تربى في الحلي والزينة، ويقصد بها النساء[1].

5- في الخِصَامِ: "مصدر خاصمته مخاصمةً وخصاماً"[2]. "ويُقال خصم فلاناً أي غلبه بالحجة"[3].

6- غَيْرُ مُبِين: "غير مبيناتٍ في الخصام لعجزهن، وقلما خاصمت امرأة إلا وخُصِمَت"[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ [الزخرف: 18]، "تكرير للإنكار، والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه"[5]. "وفيه التنبيه على نقصانها"[6].

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1-وَأْدُ البنَاتِ:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾ [الزخرف: 17]، إنَّ الله أرسل الرسل لأقوامهم بالدواء الشافي، لينقل الأمم من الخراب إلى العمران، ومن الأسقام إلى سلامة الأجسام، فجاءت شرائعهم تناسب أقوامهم وأزمنتهم التي بُعثوا فيها، فكان محمد -صلى الله عليه وسلم- رسولاً إلى العرب الذين غرقوا في أوحال الجاهلية من سفكٍ للدماء، وتقريب القُربان للآلهة والأصنام، ومن وأدهم للبنات وقتلهم للأولاد، فأنكر الرسول عليهم أفعالهم، ونهاهم عنها، وبين رأي الإسلام فيها، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ [الأنعام: 137].

وقد قامت الشياطين بتزيين هذه الأعمال لهم، ووأدهم لبناتهم على ثلاثة وجوه:

---

(1) يُنظر: الحلبي، عمدة الحفاظ (ج176/4).

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة (ج605/1).

(3) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج653/1).

(4) الحلبي، عمدة الحفاظ (ج508/1).

(5) أبو الفداء، روح البيان (ج358/8).

(6) تفسير الرازي (ج624/27).

الوجه الأول: إتقاء الفقر الواقع أو المتوقع، فالأول هو ما بينه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151]، أما الثاني هو ما بيَّنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: 31].

والوجه الثاني: إتقاء العار، وهو خاصٌ بوأد البنات، خشية أن يكنَّ سبباً للعار إذا كَبرن، فهم يصورون البنت لوالدها الجبار العاني، ترتكب الفاحشة أو تقترن بزوجٍ دونه في الشرف والكرامة، فتلحقه الخِسّة، أو تُسبى في القتال.

أما الوجه الثالث: التدين بنحر الأولاد للآلهة؛ تقرباً إليها بنذرٍ أو بغير نذر، وكان الرجل ينذر في الجاهلية لئن وُلد له ولدٌ لينحرنَّ أحدهم[1].

وهذا مما نُسِبَ إلى عبد المطلب بن هشام حين نَذَر لئن وُلِدَ له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة، فلما تَوَافى بنوه عشرة، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء به[2].

ولا شك أنهم خسروا بقتل أولادهم، وبوأد بناتهم خسراناً عظيماً، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 140].

يقول صاحب المنار: "وذلك أن خسران الأولاد يستلزم خسران كل ما يُرجى من فوائدهم من العِزّة والنُصرة، والبِر والصلة، والفخر والزينة والسرور، كما يستلزم خسران الوالد القاتل لعاطفة الأُبُوَّة ورأفتها، وما يتبع ذلك من القسوة والغلظة والشراسة، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق التي يضيق بها العيش في الدنيا، ويترتب عليها العقاب في الآخرة"[3].

إنَّ أول القبائل التي سَنّت هذه السُّنة هما: قبيلتي رَبيعَة ومُضر، كانتا تدفنان البنات وهُنَّ حيات، فأما بنو كنانة وسائرهم ما كانوا يفعلون ذلك[4].ولا شك أن وأد البنات من عظائم الذنوب التي تُهلك صاحبها في النار، وهي مما حرّمه الله تعالى، فعن المغيرة بن شعبة، قال: قال النبي –

(1) يُنظر: الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (ج2/764-765).
(2) يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج1/151).
(3) رضا، تفسير المنار (ج8/114).
(4) يُنظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج2/149).

صلى الله عليه وسلم-: "**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ**"[1].

ولا شك أن الحكم في الحديث عامٌ لكل من تسوّل له نفسه قتل أولاده سواءً كانوا ذكوراً أم إناثاً، وإنما خص البنات بتحريم وأدهن؛ لأنه هو الواقع فتوجه النهي إليه؛ لا أنَّ الحكم مخصوصٌ بالبنات[2].

إن السياق يرسم صورة منكرة لعادات الجاهلية في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [الزخرف: 17]، يكظم غيظه حين يراها وكأنها بليّة، والأنثى هبة الله له كالذكر، وما يملك أن يُصوّر في الرحم أنثى ولا ذكر، وما يملك أن ينفخ فيه حياة، وإن مجرد تصور الحياةناميةً متطورةً من نطفة إلى بشر -بإذن الله- ليكفي لاستقبال المولود -أياً كان جنسه- بالفرح والترحيب، وحسن الاستقبال لمعجزة الله التي تتكرر، فلا يُبْلي جِدَّتَها التكرار، لكنَّه الانحراف العقدي الذي يُنْشئ آثاره في انحراف المجتمع وتصوراته وتقاليده، قال تعالى: ﴿**أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [النحل: 59]، وما أسوأه من حكمٍ وتقدير[3].

وقد نهض من سادات العرب من حَالَ دون الوأد بما بذل من مالٍ جمٍّ، وسعيٍ حميدٍ ومن بين هؤلاء صعصعة بن ناجية التميميّ(*)، فقد كان يلتمس من مَسَّها المخاض -اقتربت ولادتها- فيغدو إليها ويستوهب الرجل حياة مولوده، إن كان بنتاً على أن له في سبيل ذلك بعيراً وناقتين عُشَرَاوين(**)، فجاء الإسلام وقد افتدى أربعمائة وليدة، ومنهم أيضاً زيد بن عمرو بن نُفيل

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، في الاستقراض وأداء الديون/ما يُنهى عن إضاعة المال، 120/3: رقم الحديث 2408].

(2) يُنظر: البكري، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (ج183/3).

(3) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن (ج2178/4).

(*) صعصة بن ناجية التميمي: هو صعصعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن مُجَاشِع بن دارم، جد الفرزدق الشاعر، سكن البصرة، وحدَّثَ عنه: الطفيل بن عمرو، وَفَد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأسلم. [يُنظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة (ج1527/3)، وابن سعد، الطبقات الكبرى (ص526)].

(**)عُشَرَاوين: العشراء هي التي أتى على حملها عشرة أشهر. [ينظر: ابن الجوزي، غريب الحديث (ج96/2)].

القُرَشيّ(*)، كان يضرب بين مضارب القوم، فإذا بَصُر برجلٍ يهمُّ بوأد ابنته قال: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها ويلي أمرها حتى تشب عن الطوق(1).

فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "**أَنَّهُ لَقِيَ زَيْدَ ابْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحَ(**)، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْوَحْيُ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سُفْرَةً فِيهَا لَحْمٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلَا آكُلُ إِلَّا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**"(2).

وعن أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنهما–، قالت: "**رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ**"(3).

ومما نظن بصحته والله أعلم أن زيد بن عمرو قد مات على دين إبراهيم، فقد نُسب قولٌ للنبي –صلى الله عليه وسلم– بأنه قال: يبعث أمةً وحده، لكنني بحثت عن هذه الرواية فلم أقف على حديث صحيح بهذا المعنى، وقد رواه البيهقي في كتابه دلائل النبوة، ولكن لا بأس في قولنا إذا قِسْنا فضل زيد بن عمرو على ورقة بن نوفل، فكلاهما كانا يدينان بالتوحيد الخالص لله دون معرفة الكيفية الصحيحة لعبادته، وقد ماتا على ذلك.

(*) زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العزى، كان على دين إبراهيم –عليه السلام–، ولم يعبد الأصنام ولا كان يأكل من القرابين، توفي قبل مبعث النبي –صلى الله عليه وسلم–. يُنظر: البغوي، معجم الصحابة، (ج2/442–444).

(1) يُنظر: الباجوري، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (ج1/45).

(**) بَلْدَح: بسكون اللام والحاء وهو وادٍ غربي مكة لبني فَزَارة، يُنظر: العسقلاني، فتح الباري (ج1/89).

(2) [ابن حنبل: مسند أحمد، المكثرون من الصحابة/ عبد الله بن عمر، (ج9/270) رقم الحديث 5369]. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(3) [البخاري: صحيح البخاري، مناقب الأنصار/باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، (ج5/41) رقم الحديث 3828].

أما عن قيس بن عاصم(*) فقد كان من المكثرين في وأد البنات، حيث وأد اثنتي عشرة بنتاً له، جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وكان قد أسلم فأمره النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يغتسل بماءٍ وسِدْر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: 8–9]، "والموؤدة هي البنت التي كان العرب يدفنونها حية من كراهتهم لها، ومن غيرتهم عليها، فتُسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها"(1).

لكن الغريب والعجيب في مجتمعاتنا أننا نجد من النساء من تتعصب للرجال، فنجدها تُجَنّ إذا رُزقت بأنثى أو رُزق أحد أولادها بها، فتكون كالهائجة الغاضبة لا ترى بعينها إلا السواد، بل وقد يتعدى الأمر إلى تطليق الزوجة المسكينة وردّها إلى بيت أبيها، فإن سألتها عن السبب، تقول لك: بأنها لا تلد إلا الإناث والبنات، سبحان الله! وأنت مَنْ؟ ألست أنثى، لو لم يُرزق والديك بك، لما أتت هذه الذرية من بعدك فنجد الجاهلية ما زالت آثارها متفشية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، يُفَرَّق بين الإناث والذكور حتى ونحن في القرن الواحد والعشرين.

إنها الجاهلية الأولى بثوبها الجديد وحُلّتها الجديدة، نسأل الله الثبات حتى الممات، والهداية حتى النهاية.

ومن الجدير ذكره أن عدم قتل الأولاد كان من الأمور المهمة التي بايع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عليها النساء، قال الله –جلَّ في علاه–: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 12].

(*) قيس بن عاصم بن سنان بن منقر، من بني تميم، وكان قد حَرَّم الخمر في الجاهلية، وفد على النبي –صلى الله عليه وسلم– في وفد بني تميم، فقال عنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "هذا سيد أهل الوبر"، وكان سَيّداً جواداً، توفي في البصرة وبها عقبه. يُنظر: ابن قانع، معجم الصحابة (ج348/2)، والبستي، مشاهير علماء الأمصار (ص68).

(1) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (ج456/2).

فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: " **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ". قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**"[1].

يُروى أن شيخاً من الأعراب تزوج جارية من رهْطِه، وطمع أن تلد له غلاماً، فولدت له جاريةً فهجرها وهجر منزلها، وسار يأوي إلى غير بيتها، فمر بخِبائها بعد حَوْلٍ، وإذا هي تلاعب بُنَيْتها وهي تقول:

"ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا ... ليس لنا من أمرنا ما شينا
إنما نأخذ ما أُعطينا
فألانه قولها ورجع إليها"[2].

2–طبيعةُ الأنْثَى بِخلافِ طَبيعةِ الرَّجُلِ:

قال الله تعالى: ﴿**أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ١٨**﴾ [الزخرف: 18]، إن إسلامنا العظيم حين جاء، أوصى بالمرأة خيراً، فكرَّمها أُمَّاً وبنتاً، وكرَّمها أختاً وزوجةً، وكرَّمها في كل أحوالها، ورفع من قدرها، وهذا ليس لأنها بلا قيمة، بل لأنها نصف المجتمع الذي يربي نصفه الآخر.

وإنَّ الله عنى بهذه الآية الجواري والنساء؛ لأن ذلك عقيب إخبار الله إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه سبحانه[3].

قال السَّمعاني: "الآية وردت في الإنكار عليهم جعلهم نصيب الله مثل هؤلاء، وجعلتم نصيبكم البنين"[4].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]، 18/6 رقم الحديث 4477).

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد (ج73/4).

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان (ج580/21).

(4) السمعاني، تفسير السمعاني (ج95/5).

إن الذي ينشأ في الزينة ويتربى في النعمة إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم، ومجاراة الرجال كان غير مبين أي ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان؛ وذلك لضعف عقولهن، فجعل النشأة في الزينة من المعايب التي وجب على الرجل تجنبها، وأن يتزين بلباس التقوى خيرٌ له[1].

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: هُنَّ النساء فرّق بين زيّهن وزي الرجال، ونقصهن من الميراث وبالشهادة، وأمرهن بالعدة، وسمَّاهنَّ الخوالف[2].

فالمرأة ناقصةُ الظاهر والباطن في الصورة والمعنى، فتُكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحُلِيّ؛ ليُجْبَرَ ما فيها من نقصٍ، وأما نقص معناها فإنها ضعيفةٌ عاجزةٌ عن الانتصار لنفسها[3].

قال قتادة: "معنى وهو في الخصام غير مبين أي: ما تكلمت المرأة تريد أن تتكلم بحجةٍ لها إلا تكلّمت بحُجةٍ عليها"[4].

ومما استنتجه العلماء من أحكام هذه الآية قول أبي العالية ومجاهد: "رُخّص للنساء في الذهب، ثم قرأ هذه الآية"[5].

فعن حذيفة –رضي الله عنه– قال: نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن لبس الحرير والذهب، وقال: "**هُوَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ**"[6].

وعن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– يقول: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: "**إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي**"[7].

قد أورد ابن عثيمين الحكمة من حُرمة الذهب والحرير للرجال، وهي أن الذهب من أعلى ما يتجمل به الإنسان، ويتزين به فهو زينة وحلية، والرجل ليس مقصوداً لهذا الأمر فهو كاملٌ بنفسه لما فيه من الرجولة؛ ولأنه ليس بحاجة إلى أن يتزين لشخص آخر لتتعلق به رغبته، بخلاف المرأة فإنها بحاجة إلى التجمُّل بأعلى أنواع الحُلِيّ حتى يكون ذلك مدعاةٌ للعِشْرة بينها وبين زوجها، فلهذا

---

(1) النسفي، مدارك التنزيل (ج268/3).

(2) يُنظر: السيوطي، الدر المنثور (ج370/7).

(3) يُنظر: الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير (ج287/2).

(4) العسقلاني، فتح الباري (ج567/8).

(5) الجصاص، أحكام القرآن (ج264/5).

(6) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، اللباس/كراهية لبس الحرير، 1187/2: رقم الحديث 3590] صححه الألباني.

(7) [أبو داود: سنن أبي داود، اللباس/في الحرير للنساء، 50/4 رقم الحديث: 4057]. صححه الألباني.

أُبيح للمرأة أن تتحلى بالذهب دون الرجل، وبهذا تتبين حكمة الشرع في تحريم لباس الذهب على الرجال[1].

لكن لا بد من التنويه إلى أمرٍ جَدُّ خطير وهو استهانة واستخفاف بعض الرجال بالنساء فيقولوا: إن الرجل أفضل من المرأة، أو هو أعلى منها مرتبةً في المجتمع، ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: 36]، لا شك أن مقصد هذه الآية بيان أن طبيعتها وخلقتها تختلف عنه، فالذكر ذكر والأنثى أنثى.

وليس هذا من الفضل في شيء فإن اعترض معترض بقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228]، قيل: إنما يكون هذا في حقوق الأزواج على الزوجات، ولا تُحمل على ظاهرها، وإلا لقلنا بأن كل يهودي مجوسي أو فاسق من الرجال أفضل من أمِّ موسى وأمِّ عيسى –عليهنَّ السلام– ومن نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– وهذا كفرٌ بإجماع الأمَّة[2].

فقد عرف الزمان نساءً بألفٍ من الرجال مشهورات بالذكاء والفطنة، ورجاحة العقل ما لا تجده عند كثير من الرجال إذن لا يمكن اعتبارها قاعدة، بل هي الغالب في النساء.

ومما ابتلينا به في زماننا، خروج غالب النساء بزينتها من حُليٍّ ومصاغ، وكأن الإسلام لما أباح لها لبسه، أباح لها أن تلبسه أمام الأجانب والرجال في الطرقات والأسواق والأماكن العامة.

ولِيتضح حُكم الإسلام في ذلك لا بد لنا من الرجوع إلى علماء الفقه لكي يوضحوا لنا هذه المسألة. فأما عن حكم إبداء المرأة زينتها:

فزينة المرأة قسمان: زينة ظاهرة وأخرى باطنة، فالزينة الباطنة: كالقلادة، والخلخال والسوار، والخاتم والكحل ونحوها، فهذا مما لا يجوز لها إبداؤه وإظهاره للأجانب، أما الزينة الظاهرة: فهي ما تتزين به المرأة خارج بدنها كظاهر الثياب ونحوها مما لا يمكن إخفاؤه، فهذا لا جُنَاح على المرأة إذا ظهر منها بدون قصد الفتنة، وقد ذكر الله الزينتين الظاهرة والباطنة، ونهى عن إبداء الزينة الظاهرة مطلقاً إلا ما ظهر منها كما أسلفنا، ونهى عن إبداء الزينة الباطنة مطلقاً إلا لمن استثناهم الله من المحارم، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ

(1) مجموعة من العلماء، فتاوى إسلامية (ج4/251–252).

(2) يُنظر: الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج4/103).

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: 31][1].

وإن الغالب ممن يَقُمْنَ بكشف زينتهن إما جهلاً منهنَّ بالحكم الشرعيّ في ذلك، أو دياثةً في محارمها الذين يغضون الطرف عن ذلك، وكأن الأمر لا يعنيهم، فترى الرجل يخرج بزوجته وقد أظهرت كل مفاتنها يسير معها في الطرقات فلا ينهاها، بل إن أشباه الرجال ليشعر بمفخرةٍ وسرورٍ بأن زوجته أجمل من الأخريات ويرى نفسه على أقرانه بها، فيعرضها كالسلعة.

وإنا لندعو كل مسلم عارف بربه أن يقف عند حدود مسئولياته، فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته. نسأل الله الهداية والسلامة لنا ولجميع المسلمين، وأن يحفظ بناتنا ونساءنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(1) يُنظر: التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي (ج4/91-92).

المطلب الثالث

وَصْفُهُم الملائكةِ بالإناثِ

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزخرف: 19-20].

- **المعنى الإجمالي:**

يخبر الله عن المشركين أنهم سمّوا الملائكة الذين هم عباد للرحمن إناثاً، وقد كفروا بجعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله، وهم الملائكة أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً، وقد ردَّ الله عليهم بقوله: أشهدتم خلقهم حين خلقتهم، فرأيتم أنَّهم إناث، وإنما يعلم ذلك بالمشاهدة، وهو تجهيلٌ لهم وتهكمٌ بهم، فإنهم إنما سمعوه من آبائهم لكن سيكتب الله شهادتهم ويسألهم عنها في الآخرة، ثمَّ احتجوا بالقدر فقالوا: لو شاء ربنا عدم عبادتنا لهم لما عبدناهم، فإنه قادر على أن يحول بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التي هي على صورة الملائكة، لكن الله نفى صحة ما يقولون، وأخبر أنهم كاذبون في زعمهم[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

"إن هذه الآيات متصلةٌ بسابقاتها اتصال سياق وموضوع وتعقيب"[2]، فبعد بيان الله جَوْرَ المشركين قسمتهم البنات لله، ولهم البنون، وما ذُكِر من كون الأنثى أقل رتبة من الذكر في البيان، وضّح الله في الآيات كونهم قد تمادوا في غيّهم وجهالتهم بجعل الملائكة إناثاً، وكيف أنهم لم يشهدوا خلقهم، بل ادّعوا أن الله قد رضي بعبادتهم لهم واحتجوا بالقدر على ذلك.

---

(1) يُنظر: الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان (ج6/207-211).

(2) دروزة، التفسير الحديث (ج4/496).

- **المفردات اللغوية:**

1- يخرصون: "من خَرَصَ يَخْرصُ خَرْصَاً، واخترص القول وتخرَّصه: افتَعله"[1]. ومعنى يخرصون: يكذبون على الله فيما ينسبون إليه[2].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ [الزخرف: 19]، "هذا استفهام على سبيل الإنكار، وهو مما لا سبيل إلى معرفته بالدلائل العقلية"[3].

2- قوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ [الزخرف: 19]، بدل اشتمال من جملة أشهدوا خلقهم؛ لأن ذلك الإنكار يشتمل على الوعيد، وكتابة الشهادة كناية عن تحقق العقاب على كذبهم، والسين فيها للتوكيد[4].

- **القراءات:**

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: 19]، قرأ نافع، وابن عامر، وابن كثير (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن) بالنون وحجتهم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: 206].

وقرأ الباقون: عباد الرحمن -جمع عبدٍ- وحجتهم، قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]، فقد جاء بالأمرين جميعاً[5].

وحجة من قرأها (عند الرحمن) بنون ساكنة بعد العين مع فتح الدال ظرف مكان، وفي ذلك دلالة على جلال قدر الملائكة وشرف منزلتهم[6].

---

(1) الزمخشري، أساس البلاغة (ج240/1).

(2) أبو البقاء، الكليات (ص989).

(3) الرازي، تفسير الرازي (ج625/27).

(4) يُنظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج184/25).

(5) يُنظر: حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام (ص221).

(6) يُنظر: محيسن، الهادي شرح طيبة النشر (ج212/3).

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

1- عبادُ اللهِ المُكْرَمون:

مما لا شك فيه أن الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان عبدٍ بدونه، وهذا لما سأل جبريل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أركان الإيمان فأجابه.

فالملائكة هم عباد الله المكرمون، والسفرة بين الله تعالى وبين رُسُله -عليهم السلام- الكرام خَلْقاً وخُلُقاً والكرام على الله تعالى، البررة الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً، المطيعين لله -عزَّوجل- وهم عباد من عباد الله -عزَّوجل-، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتاً لله -عزَّوجل- ولا أولاداً ولا شركاء معه، ولا أنداداً، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون عُلوَّاً كبيراً[1]، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 26-29].

والإيمان بالملائكة: هو الإيمان بوجودهم إيماناً جازماً لا يتطرق إليه شك ولا ريب، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285]، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بهم إجمالاً، وأما تفصيلاً، فبمن صح به الدليل ممن سمَّاه الله ورسوله، كجبريل الموكَّل بالوحي، وميكائيل الموكَّل بالمطر، وملك الموت الموكَّل بقبض الأرواح[2].

- **تسمية الملائكة:**

وسمِّي الملك مَلَكاً من المَأْلُكة وهي الرسالة؛ لأن الملائكة عباد الله المكرمون، الذين يحملون مآلِك الله: أي رسالاته فيبلغونها لأنبيائه[3].

---

(1) ينظر: الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول (ج2/657).

(2) مجموعة من الباحثين، الموسوعة العقدية (ج3/61).

(3) يُنظر: الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (ج1/294).

- **مسكن الملائكة:**

إنَّ مسكن الملائكة السماوات، وينزلون في مناسبات، أو حين يُوَكّلون بأمور، كنزولهم ليلة القدر، يقول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: 4]، وينزلون للقتال مع المسلمين، كما حدث في بدر، والله –جلَّ وعلا– يكلفهم بما شاء[1].

- **صفة الملائكة:**

قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]، فمن صفاتهم أنهم يخافون ربهم سبحانه مع علو قدرهم، وبعدهم عن المعاصي والذنوب، فالملائكة الذين هم فوق بني آدم، وفوق ما في الأرض، يخافون الله مع علو رتبتهم، فَلِأن يخاف مَنْ هم دونهم أولى[2].

وقد اتفق العلماء على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وهذا يخالف ما يعتقده بعض العامة من أنهم يأكلون فحين تسأل عن شخص تعرفه أين هو؟ يُقال لك: أنَّه يأكل الأرز مع الملائكة، وهذا مما لا شك في مخالفته للشرع، ولِما ثبت من انتفاء شهوة البطن عند الملائكة، وهي من المخالفات القولية العقدية.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38]، وهذه صفة أخرى لهم أنهم يشفعون لمن رضي الله لهم أن يشفعوا له.

لا نزاع في أن الملائكة أشد قوةً وقدرةً من البشر، ويكفي في صحة الاستدلال هذا القَدْر من التفاوت، فإنَّه تعالى يقول إن الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على أجرام السماوات والأرض، وأَمْنِهِم من الهِرَم والمرض، وطول أعمارهم، لا يتركون العبودية لحظة واحدة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 19–20] [3].

---

(1) يُنظر: الخضير، دروس الشيخ عبد الكريم الخضير (ج9/3).

(2) يُنظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج65/3).

(3) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج430/2).

وكذلك هم معصومون من الخطأ والزلل، والدلائل على ذلك أكثر من أن تُحصى، يقول الحق سبحانه: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50]، فهذه الآية تشمل جميع الملائكة في فعل جميع المأمورات، وترك جميع المنهيات؛ لأن كل من نُهي عن فعل فقد أُمر بتركه[1].

وقد سُمِّيت سورة فاطر بسورة الملائكة ووجه تسميتها بذلك؛ أنه ذُكر في أولها صفة الملائكة من وصف أجنحتهم وعظَمَة خلقهم، ولم يقع في سورة أخرى[2].

2-إِبْطالُ الاحتجاجِ بِالقدرِ عَقْلاً وَنَقْلاً:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: 20]، كلنا يعلم أن الكفار خالدون مخلدون في نار جهنم، فليس لهم مجال للاعتذار والتبرير، وهم وإن احتجوا بهذا القول، فلن يشفع لهم عند ربهم؛ لأنَّ الله أعذرهم فلم ينزجروا، ونهاهم فلم ينتهوا، إذن حُقَّ عليهم العقاب دون ظلم أو محاباة.

وقد احتج القرشيون والكفار من بعدهم بالقدر، فكل من احتج بالقدر بدليل عقلي، فإنه يلزمه البقاء عليه في كل أحواله، وقد تبين عقلاً أنه لا يستطيع أي أحد أن يحتج بالقدر في كل أحواله فمثلا: نقول من الناحية العقلية لو سلمنا لكم بصحة هذا الاحتجاج، هل تقبلونه بكل أحوالكم؟ قطعاً لن يقبلوا، وبالمثال يتضح المقال، فلو أنك أتيت أعراض المشركين وانتهكتها، أو أموالهم فسرقتها، هل سيقبلون احتجاجك بأنك ما انتهكت أعراضهم، وسرقت أموالهم، إلا بقدر الله؟، طبعاً لا بل سيعاقبونك ويثأرون لأنفسهم، إذن بطل الاحتجاج بالقدر عقلاً في هذا المثال، ويمكن أن تقيس عليه أموراً كثيرة[3].

فلا حجة لهم في هذه الآية؛ لأن الله -عزَّوجل- لا يتناقض كلامه، بل يُصدق بعضه بعضاً، وقد أخبر الله أنه لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وأنه لو لم يشأ أن يشركوا ما أشركوا، فالله لا يريد أن يطهر قلوبهم، فمن المحال الممتنع أن يكذب الله -عزَّوجل- قوله الذي أخبر به وصدقه، وإن في الآية التي ذكروها بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان، وهو أنه لم يقل الله تعالى أنهم كَذَبُوا في قولهم ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ﴾ [الزخرف: 20]، وإنما أخبر أنهم قالوا ذلك بغير علمٍ عندهم،

---

(1) يُنظر: مناهج جامعة المدينة، الدخيل في التفسير (ص57).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج247/22).

(3) يُنظر: المغامسي، سلسلة محاسن التأويل (ج72/4).

لكن تَخَرُّصَاً، وقد كذَّب الله –عزَّوجل– من قال الحق الذي لا حق أحقُ منه إذ قاله غير معتقدٍ له، قال الله –عزَّوجل–: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1][1].

"وقد ذمهم الله في الآية حيث جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله، كما ذمَّ إبليس حين أضاف الإغواء إلى الله، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 39]"[2].

"ولا يُحْتَجُّ بالقدر في الذنوب، بمعنى لا يُلقي الإنسان التبعة على القدر، ويقول أنا مسيّر لا مخير؛ لأنَّ حجة الله قائمةٌ على الخلق بالتمكُّنِ والاختيار، والدلالة الفطرية والدلالة الشرعية"[3].

قال ابن سعدي: "وهذه حجة باطلة، فإنها لو كانت حقاً ما عاقب الله الذين من قبلهم، حيث أشركوا به فعاقبهم أشد العقاب، فلو كان يحب ذلك منهم لَمَا عذَّبهم، وليس قصدهم بذلك إلا ردُّ الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله، فإن الله أمرهم ونهاهم، ومكّنهم من القيام بما كلفهم، وجعل لهم قوةً ومشيئةً تصدر عنها أفعالهم، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل"[4].

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: 148]، فهذا يشير إلى أن جذور هذا القول ضاربة في أعماق الأمم المشركة، ويدل دلالة واضحة وصريحة على أن من شأن المشركين والكافرين من بني الإنسان، التعلل بالقدر والميل إلى الجبر؛ لتبرير شركهم وكفرهم، أو على الأقل للتنصُّل من جريرة ذلك ومسئوليته[5].

قال القرطبي: "وهذا منهم كلمةُ حقٍ أُريد بها باطلٌ، وكل شيءٍ بإرادة الله، وإرادته تجب وكذا علمُهُ، فلا يمكن الاحتجاج بها، وخلاف المعلوم والمراد مقدورٌ وإن لم يقع، ولو عبدوا الله بدل

---

(1) يُنظر: الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج86/3).

(2) الأذرعي الصالحي، شرح الطحاوية (ص104).

(3) ابن باديس، العقائد الإسلامية (ص95–96).

(4) البدر، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص95–96).

(5) يُنظر: باعبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق (ص368).

الأصنام لعلمنا أن الله أراد منهم ما حصل منهم، ومصداقه قولهم ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ [الأنعام: 148]"[1].

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149]، يقول الله لنبيه –محمد صلى الله عليه وسلم– قل لهم يا محمد أن الله له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى، وإضلال من أَضَلَّ، وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين، ويبغض الكافرين، قال الضّحاك: لا حجة لأحدٍ عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده[2].

وأما عن نقض قولهم نقلاً ففي الآية التي بعدها الرد عليهم، حيث يقول الله تعالى: ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ﴾ [الزخرف: 21]، وهي شارحة لنفسها لا حاجة لتفسيرها تبين كذب ما افتروه وادَّعوه على الله –جلَّ في علاه–.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج73/16).

(2) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج358/3).

المطلب الرابع

عَرْضُ مُفترياتِهِم والرَّدُ عليهَا

قال تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: 21-23].

- **المعنى الإجمالي:**

ينكر الله على المشركين قولهم بأنه ما آتاهم من كتاب ولا جاءهم قبل محمد من نذير، إذاً فلا حجة لهم إلا التقليد الأعمى للآباء والأجداد الجُهّال الضلّال، وهو أنهم متبعون مقتفون لآثارهم، ثم يخبر الله محمداً أنه ما أرسل رسولاً قبله إلا قال له مترفوا هذه القرى، أنهم متبعون لأجدادهم، وهذه سنة الأمم قبل أمتك، فلا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يقولون ويعتقدون ويفعلون[1].

- **المناسبة بين الآيات:**

قال ابن عاشور: "الآية إضرابٌ انتقالي عُطِفَ على جملة ما لهم بذلك من علمٍ، فبعد أن نفى أن يكون قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم مُسْتَنِداً إلى حجة العقل، انتقل إلى نفي أن يكون مُسْتنِداً إلى حجة النقل عن إخبار العالِم بحقائق الأشياء التي هي من شئوونه"[2].

- **المفردات اللغوية:**

1- أُمَّة: "قال مجاهد على أمة أي: على إمام، وهم كل قوم في دينهم من أُمّتهم"([3]). قال الخليل: "الأُمَّة: الدِّين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22][4].

---

(1) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج634/4).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج186/25).

(3) الفراهيدي، العين (ج427/8).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج27/1).

2- آثارهم: جمع أثرة، وهو ما بقي من رسم الشيء، ومنه سنن النبي -صلى الله عليه وسلم-: آثاره[1]، "وآثار الأعمال: ما بقي منها، ومعناها في الآية: أي سُنَنَهم في الدين"[2].

3- مترفوها: التّرف في أصله: التَنَعُّمُ، ورجل مُتْرَف: مُوَسَّعٌ عليه، ومَعناه في الآية أي: أولو التُّرْفَة، وأراد: رؤساؤها وقادة الشرِّ منها[3].

4- مُقتدون: من قَدَو والقدوة اسمٌ من اقتدى إذا فعل مثله تأسِّياً، قال ابن فارس: إن القدوةَ الأصلُ الذي يتَشّعب منه الفُروُع[4].

- **الجوانب البلاغية:**

1- قوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: 21]، أم هنا تتضمن معنى استفهام الإنكار، أن الذي زعمه الكفار من أنهم على حق في عبادتهم الأوثان، فأنكر عليهم هذا مع التوبيخ والتقريع[5].

2- قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ [الزخرف: 23]، خصَّ الله المترفين بالذكر؛ لأنهم القادة الذين صرفهم التنعم وحب الجاه والسلطان، عن النظر والتدبر والاستماع للحق، وجعلهم يستحبون العمى على الهدى[6].

3- قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]، فيه تسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ودليل على أن التقليد في نحو ذلك ضلالٌ قديمٌ[7].

---

(1) يُنظر: ابن فارس، مجمل اللغة (ص86).

(2) الحميري، شمس العلوم (ج175/1).

(3) يُنظر: ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم (ج476/9).

(4) يُنظر: أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج494/2).

(5) يُنظر: الشنقيطي، أضواء البيان (ج98/7).

(6) يُنظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج71/13).

(7) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل (ج89/5).

- **تحليل الأهداف والمقاصد:**

- **ذمُّ التقليدِ الأَعْمَى:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]، إن الله ميَّز الخلق بالعقل عن باقي المخلوقات، فالذي يعطل هذا العقل يقع في المحظور، ويتشبَّه بالأنعام التي لا تعقل وقد ذمَّ الله التقليد الأعمى الذي يبنى على وَهْمٍ وظنون، ولا أصل له من الصحة.

إذا كان التوحيد هو مقتضى الفطرة، كما أن من مقتضاها الميل إلى النظر والاستدلال وطلب الحق بالدليل، فإنَّ الشرك والتقليد من أكبر المفسدات لهذه الفطرة، فالتقليد يحصر السلطة الغيبية العليا في بعض المخلوقات التي يستكبرها الإنسان، ويعيا في فهم حقيقتها بادئ الرأي، فهذا التقليد يحول بين العقول التي كمَّلَ الله بها فطرة البشر، وبين عملها الذي خُلِقَت لأجله، وهذا النظر والاستدلال؛ لأجل التوصل إلى معرفة الخير والحق[1].

يقول صالح الفوزان: "إنَّ شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفاً عن سلفٍ، تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم، وهي حجةٌ يلجأ إليها من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه، وهي حجةٌ داحضةٌ، لا يقام لها وزنٌ في سوق المناظرة، فإن هؤلاء الآباء الذين قلدوهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك لا تجوز متابعته والاقتداء به، قال الله ردّاً عليهم: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: 24]، وهذه الشبهة متغلغلة في نفوس المشركين، يقابلون بها دعوات الأنبياء -عليهم السلام-، فقوم نوح قال لهم نوح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 23-24]"[2].

ويدخل في هذا النوع من التقليد الأعمى: أكثر الملحدين الماديين، فإن علومهم عند التحقيق تقليد لزعمائهم، إذ قالوا مقالة قبلوها كأنها وحيٌ منزلٌ، وإذا ابتكروا نظرية خاطئة ساروا خَلْفهم في حال اتفاقهم وحال تناقضهم، وهؤلاء فتنة لكل مفتون لا بصيرة له[3].

---

(1) يُنظر: متولي، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص282).

(2) الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص62).

(3) يُنظر: الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ج1/317-318).

إن التمسك بميراث الآباء، لا شك أنه خطرٌ عظيمٌ، وخاصة في مسائل الاعتقاد لذلك وجب على المسلم أن يعبد ربه على سريرةٍ بيضاءَ، فلا يبقى على ما ولد عليه وتوراثه من آبائه، بل لا بدَّ أن يكون حصيفاً يفنّد الصالح منها ويعمل به، ويترك ما دون ذلك فلا يقع في أوحاله، وإن من الأسباب الرئيسة لترك الحق واتباع الباطل هو: إيثار العمى على الهُدى، وإهمال منافذ العلم والعرفان وتعطيلها، وهذا ما فعله السابقون من الكافرين والمشركين[1].

إننا وللأسف الشديد أصبحنا نبني قناعاتنا الدينية من منطلق ما وجدنا عليه آباءنا لا من منطلق التجرد للحق وأتباعه، فالدين والمذهب بالنسبة لكثير من المسلمين اليوم كأثاث المنزل، أو كالأموال والأراضي، ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، وهم على خطاهم سائرون، هذا إن لم يكن الدين في حياتهم أقل من الدينار والدرهم، ومتاع الدنيا الزائل[2].

قال ابن كثير في تفسيره للآية: "ليس لهم مُستَنَدٌ فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد، بأنهم كانوا على دينهم، فمقالتهم هذه قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل"[3].

يقول الشوكاني: "إن من أعجب الغفلة وأعظم الذهول عن الحق اختيار المُقَلِّدة لآراء الرجال مع وجود كتاب الله، ووجود سنة رسوله، ووجود من يأخذونهما عنه، ووجود آلة الفهم لديهم وملكة العقل عندهم"[4].

لو تأملنا حال المجتمعات اليوم، ومنها مجتمعنا الذي نعيش فيه لتضح لنا كذب هؤلاء في إدعائهم التقليد لآبائهم، فإذا تأملنا الأجيال المختلفة نجد كل جيل له تطلعات وآراء تختلف عن آراء آبائه السابقين، فالأولاد لهم رأي مستقل، فالولد يختار الكُلية التي يريدها، الملابس التي يُحبها، وإن خالف رأي أبيه، بل ويصل الأمر إلى اتهام الآباء بالتخلف والرجعية، إذن: لماذا لم تقولوا في مثل هذه الأمور: إنا وجدنا آباءنا على أمة؟ لماذا كانت لكم ذاتية ورأيٌ مستقل في أمور الدنيا دون أمور الدين؟، إنكم تتخذون الذاتية فيما يلبي رغباتكم وشهواتكم وانحرافاتكم، وتتخذون التقليد فيما يقلل

---

(1) يُنظر: جامعة المدينة العالمية، الأديان والمذاهب (ص65).

(2) يُنظر: الخضر، ثم أبصرت الحقيقة (ص18).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج224/7).

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج226/2).

تكليفكم؛ لأن التكليف سيقيد هذه الرغبات ويقضي على هذه الانحرافات؛ لذلك يتمرد هؤلاء على منهج الله وشرعه [1].

(1) يُنظر: الشعراوي، الخواطر (ج16/10008-10009).

الخـــــاتمة

الحمد لله الذي مَنَّ علي بتوفيقه، فأتممت رسالتي ليخرج البحث في أحسن صورة، وأرجو الله –عزَّوجل– الإخلاص والقبول، وأن ينفع بها كل من قرأها.

وقد اشتملت الرسالة على عدة نتائج وتوصيات، وهي على النحو التالي:

أولاً– النتائج:

1– علم المقاصد والأهداف من أهم العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم؛ لأنه يُطلع الباحث على غايات وأهداف آيات القرآن الكريم؛ لتتسع مداركه ويسير وفق منهج الله، ويظهر إعجاز القرآن وبلاغته.

2– إن اشتمال القرآن الكريم على كثير من القضايا العقدية، والأحكام والأخلاق، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن، كلها تصب في نهر واحد ليظهر أن القرآن وحي من الله.

3– إنَّ السور الثلاث فصلت والشورى، والزخرف تمثل عقداً فريداً صيغت حباته بنظم رائع فهي كحلقات السلسلة كل حلقة تُسلم التي تليها.

4– ركزت الآيات في هذه الدراسة على الجانب العقدي الذي هو طبيعة السور المكية، مما يؤكد على أهمية العقيدة أولاً وآخراً لصلاح الدنيا وفلاح الآخرة.

5– تظهر آيات سورة فصلت طبيعة الإنسان الضعيف الذي تتقاذفه أمواج الشهوات فتلقي به بعيداً عن طوق النجاة.

6– علم الغيب مما اختص الله به نفسَه، فلا يطلع عليه أحدٌ من خلقه، مهما وصل من المنزلة والحظوة عنده سبحانه، فلا يعبث المسلم بالكشف عن خباياه، أو البحث عن مكنوناته –جلَّ وعلا–، وليترك التفويض والتقدير لخالقه سبحانه.

7– يتقلب المسلم بين نعم ربه وتَفضله عليه، فلا بد للنعم من شكر مُنعِمِها كي تدوم لصاحبها، وهذا مما لا نجده من الكثيرين الذين يتقلبون في نعم الله صباح مساء.

8– التحذير من الاغترار بالدنيا فهي زائلة فانية، والدعوة إلى العمل للآخرة فهي الباقية الخالدة كانت رسالة الأنبياء من لدن آدم –عليه السلام– إلى محمد –صلى الله عليه وسلم–.

9– التأمل في خلق الله وملكوته سبيل الوصول إلى الخالق ومعرفته واليقين به، فكل ما في الكون يشهد بأن له رباً واحداً أبدع صنعه.

10- لن تصلح هذه الأمة إلا بما صلحت به أسلافها، فمفتاح التغيير يبدأ من الشخص الواحد إلى صلاح المجتمعات ومن ثم إلى الأمة.

11- لا يحق لبشري الحكم إلا بشرع الله ورسوله، فهي مما اختص الله به فهو الحاكم المُشرَّع سبحانه.

12- الكفر ملة واحدة والوثنية لم تعد تتمثل بصنمٍ أو إلهٍ يُعبد من دون الله، فقد تعددت الآلهة في عصرنا التي تعبد من دون الله مع علم أصحابها أنهم على ضلال.

13- الدعوة إلى التوحيد رسالة كل نبي ورسول لم يتخلف أحد منهم عنها، وهي ما أجمع عليه الأنبياء جميعاً -عليهم السلام-.

14- تأخير العذاب سنةُ الله في الكون، لكنها لا تعني إهمال الكافرين، بل هي فترة استدراج لهم، حتى إذا أخذوا لم يبق لهم عذر، ولا مفر لهم من عقابه.

15- الفرقة أساس هلاك الأمم السابقة وكذلك اللاحقة، إذا لم تعتبر بالأمم التي سبقتها، كبني إسرائيل، أهلكهم كثرة اختلافهم على أنبيائهم وعلى كتبهم.

16- الدعوة الجامعة لأصول الدين وفروعه هي الاستقامة، فمن استقام نجى، ومن لم يستقم هلك وتردى.

17- قيام الساعة واقع لا محالة، وقد كثرت الآيات التي تدلل على صدق وقوعها، وكثرة ورود أسمائها يدل على أهميتها وعظمتها، ولا بد للمسلم من العمل والاستعداد لها، وافتراق الناس في الإيمان بها فبعضهم يوقن بها، وآخرون ينكرون وقوعها.

18- إثبات صفات الكمال لله وحده، وأن البشر يعتريهم النقص والعجز، وأن الله سبحانه لطيف بعباده يرحمهم أكثر من رحمة آبائهم وأمهاتهم بهم.

19- الدعوة إلى الله واجبة في حق كل مكلفٍ، بعيداً عن اسمه ومسماه، أو عِلمه أو عَمله، فكل منهم على ثغرٍ من ثغور الإسلام فلا يؤتى من قِبَلِه.

20- المعاصي والذنوب هي ما سبب ما تمر به الأمة من هذه الأزمات الخانقة في المال والأولاد والمعاش، ولا صلاح إلا بعودتها لكتاب ربها، وسنة نبيها ليرفع الله هذه الغُمَّة السوداء.

ثانياً- التوصيات:

1- ضرورة اهتمام الدعاة وطلاب العلم بتدبر وتلاوة كتاب الله -عزَّوجل-؛ لاستخلاص الدروس والعبر، وربط كل ذلك بواقع المسلمين؛ سعياً لحل مشكلاتهم التي أنتجها العصر الحالي.

2- ضرورة اعتناء واهتمام الباحثين من طلبة العلم بعلم المقاصد والأهداف للسور، فهي تعمق الإيمان في قلب المسلم، وتزيد من ثقته ويقينه بربه سبحانه.

3- حثُّ المعلمين كلٌ في مجاله العلمي، بضرورة تربية الجيل الناشئ على العقيدة الصحيحة والأخلاق والعبادات، فالإسلام منهج حياة لا تنتظم الحياة إلا به.

4- وأذكر نفسي وإخواني والقرَّاء ممن يحملون همَّ الدين والدعوة إلى الله، بتقوى الله، والعمل على مرضاته، والثبات على الحق، واتباع هَدْي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى نلقاه على الحوض.

هذا وقد بذلت كل ما في وسعي ليخرج هذا البحث بصورته النهائية، فما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والغفران، فطبيعة البشر الخطأ والصواب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أبابطين، عبد الله بن عبد الرحمن. *الرد على البردة*. تحقيق: أبو عبد الأعلى خالد محمد. ط1. مصر: دار الآثار.

إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (د. ت). *المعجم الوسيط*. (د. ط). الإسكندرية: دار الدعوة.

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. (1424هـ - 2003م). *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة*. مراجعة وتقديم: عبد الرحمن بن صالح. ط1. الرياض: مدار الوطن للنشر.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك. (1399هـ 1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي. (د. ط). بيروت: المكتبة العلمية.

أحمد حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة. (د.ت). *تفسير الشيخ أحمد حطيبة*. (د. ط). (د. ن).

ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد. (د. ت). *بدائع السلك في طبائع الملك*. تحقيق: علي سامي النشار. ط1. العراق: وزارة الإعلام.

أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي. (1405هـ). *غريب الحديث*. تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد. ط1. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

أسعد حومد، أسعد محمود حومد. (1419هـ - 2009). *أيسر التفاسير*. ط4. دمشق: المكتبة العربية.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد. (1394هـ - 1974م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. (د. ط). مصر: السعادة.

الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1428هـ - 2007م). *الذريعة إلى مكارم الشريعة*. تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. (د. ط). القاهرة: دار السلام.

آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1422هـ). *تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن*. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الألباني، محمد ناصر الدين. (د. ت). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*. (د. ط). دمشق: المكتب الإسلامي.

إلكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري. (1405هـ). *أحكام القرآن*. تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

الألوسي، أبو المعالي محمود بن عبد الله. (1421هـ). *فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية*. تحقيق: محب الدين الخطيب. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد. (1412هـ - 1992م). *الزاهر في معاني كلمات الناس*. تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الإيجي، حمد بن عبد الرحمن بن محمد. (1424هـ - 2004م). *تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أيوب، حسن محمد. (1403هـ - 1983م). *تبسيط العقائد الإسلامية*. ط5. بيروت: دار الندوة الجديدة.

با عبد الله، محمد با كريم محمد. (1414هـ - 1994م). *وسطية أهل السنة بين الفرق*. ط1. القاهرة: دار الراية للنشر والتوزيع.

الباجوري، عبد الله بن عفيفي. (1350هـ - 1932م). *المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها*. ط2. المدينة المنورة: مكتبة الثقافة.

ابن باديس، عبد الحميد محمد. (1966م). *الْعَقَائِدُ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ*. ط2. الجزائر: مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما.

بَحْرَق، محمد بن عمر بن مبارك. (1386م). تحقيق: حسنين محمد مخلوف. (د. ط). مصر: مطبعة المدني.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. (1397هـ - 1977م). *التاريخ الأوسط*. ط1. حلب: مكتبة دار التراث.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1409هـ – 1989م). *الأدب المفرد*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط3. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1419هـ – 1998م). *الأدب المفرد بالتعليقات*. تحقيق: سمير بن أمين الزهيري. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. (1418هـ – 1998م). *الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة*. ط11. الرياض: مكتبة الرشد.

البريك، سعد. (د. ت). *دروس الشيخ سعد البريك* [Word]. 5 يناير 2016م، www.islamweb.net.

البُستي، محمد بن حبان بن أحمد. (1411هـ – 1991م). *مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار*. تحقيق: مرزوق على إبراهيم. ط1. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. (1423هـ – 2003م). *شرح صحيح البخارى لابن بطال*. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

البغدادي، الذهبي، ابن النجار، ابن الدمياطي. (1417هـ). *تاريخ بغداد وذيوله*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد. (1421هـ – 2000م). *معجم الصحابة*. تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني. ط1. الكويت: مكتبة دار البيان.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد. (1403هـ – 1983م). *شرح السنة*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني. (د. ت). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري. (د. ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط. (د. ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. (ب. ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. (1408هـ - 1987م). *مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ*. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

البكري، محمد علي بن محمد بن علان. (1425هـ - 2004م). *دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين*. تحقيق: خليل مأمون شيحا. ط4. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

البوطي، محّمد سَعيد رَمضان. (1420هـ - 1999م). ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله. (1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. (1401هـ). *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*. تحقيق: أحمد عصام الكاتب. ط1. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. (1423هـ - 2003م). *شعب الإيمان*. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط1. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

تاج العارفين، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف. (1408هـ - 1988م). *التيسير بشرح الجامع الصغير*. ط3. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (1395هـ - 1975م). *سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (1998م). *الجامع الكبير - سنن الترمذي*. تحقيق: بشار عواد معروف. (د. ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله. (د. ت). *موسوعة فقه القلوب*. (د. ط). الرياض: بيت الأفكار الدولية.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد. (1404هـ). *دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية*. تحقيق: محمد السيد الجليند. ط2. دمشق: مؤسسة علوم القرآن.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد. (1416هـ – 1995م). *مجموع الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (د. ط). المدينة المنورة: جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد. (1426هـ – 2005م). *العبودية*. تحقيق: محمد زهير الشاويش. ط7. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد. (د. ت). *تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم*. تحقيق: شحاتة محمد صقر. (د. ط). مصر: مكتبة دار العلوم.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (1407هـ). *الزهد والورع والعبادة*. تحقيق: حماد سلامة ومحمد عويضة. ط1. الأردن: مكتبة المنار.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. (1418هـ). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن أبي ثعلبة، يحيى بن سلام. (1979م). *التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه*. تحقيق: هند شلبي. ط1. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (1422هـ – 2002م). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن جامي، أبو أحمد محمد أمان. (1398هـ – 1978م). *العقل والنقل عند ابن رشد*. ط11. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ابن جبرين، عبد الله. (2010م). *شرح العقيدة الطحاوية* [Word]. 9 مارس 2016م. http://shamela.ws/browse.php/book-7724.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر. (1424هـ – 2003م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط5. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد. (1416هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل*. تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي. (1405هـ). *أحكام القرآن*. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

جغيم، نعمان. (1435هـ – 2014م). *طرق الكشف عن مقاصد الشارع*. ط1. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

جماعة من علماء التفسير. (1436هـ). *المختصر في تفسير القرآن الكريم*. ط3. المملكة العربية السعودية: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

الجمل، حسن عز الدين بن حسين. (2003م). *مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن*. ط1. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (1405هـ .– 1985م). *غريب الحديث*. تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (1418هـ 1998م). *المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ*. تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (1421هـ – 2000م). *صفة الصفوة*. تحقيق: أحمد بن علي. (د. ط). القاهرة: دار الحديث.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد. (1419هـ). *تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم*. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط3. المملكة العربي السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. (1408هـ – 1998م). *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. (1414هـ – 1993م). *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

حبش، محمد. (1419هـ – 1999م). *القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية*. ط1. دمشق: دار الفكر.

أبو حبيب، سعدي. (1408هـ – 1988م). *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*. ط2. دمشق: دار الفكر.

أبو الحجاج، مجاهد بن جبر. (1410هـ – 1989م). *تفسير مجاهد*. تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل. ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة.

الحجازي، محمد محمود. (1413هـ). *التفسير الواضح*. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: محب الدين الخطيب. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (د. ت). *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. (د. ط). القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (1406هـ – 1986م). *الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم*. المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحسينان، أبو عبد الملك خالد بن عبد الرحمن. (1430هـ – 2009م). *هكذا كان الصالحون*. (د. ط). مركز الفجر للإعلام.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. (1410هـ – 1990م). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط1. الدمام: دار ابن القيم.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. (1422هـ). *أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة*. تحقيق: حازم القاضي. ط2. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الحملاوي، عمر العرباوي. (1404هـ – 1984م). *التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد*. (د. ط). مصر: مطبعة الوراقة العصرية.

الحميرى، نشوان بن سعيد. (1420هـ – 1999م). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرين، ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. (1421هـ – 2001م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الحنبلى، مرعي بن يوسف بن أبى بكر. (د. ت). *قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن*. تحقيق: سامي عطا حسن. ط1. الكويت: دار القرآن الكريم.

حوّى، سعيد. (1424هـ). الأساس في التفسير. ط6. القاهرة: دار السلام.

حويش، عبد القادر بن ملّا. (1382هـ – 1965م). *بيان المعاني – مرتب حسب ترتيب النزول*. ط1. دمشق: مطبعة الترقي.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. (1403هـ – 1983م). *تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب*. تحقيق: سمير المجذوب. ط1. دمشق: المكتب الإسلامي.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي. (1992م). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. ط1. بيروت: دار الفكر.

الخادمى، محمد بن محمد بن مصطفى. (1348هـ). *بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية*. (د. ط). القاهرة: مطبعة الحلبي.

الخازن: علاء الدين علي بن محمد. (1415هـ). *لباب التأويل في معاني التنزيل*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (1407هـ – 1987م). *تصويبات في فهم بعض الآيات*. ط1. دمشق: دار القلم.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (1428هـ – 2007م). *القرآن ونقض مطاعن الرهبان*. ط1. دمشق: دار القلم.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق. (د. ت). *صحيح ابن خزيمة*. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. (د. ط). بيروت: المكتب الإسلامي.

الخضر، محمد سالم. (1428هـ – 2007). *ثم أبصرت الحقيقة*. ط2. (د. ن).

الخضير، عبد الكريم. (د. ت). *دروس الشيخ عبد الكريم الخضير* [Word]. 15 يناير 2016م. http://shamela.ws/browse.php/book-23349/page-815.

الخضيري، محمد بن عبد العزيز بن أحمد. (1429هـ – 2008م). *السراج في بيان غريب القرآن*. ط1. المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم. (1412هـ – 1992م). *شأن الدعاء*. تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق. ط2. القاهرة: دار الثقافة العربية.

الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف. (1383هـ – 1964م). *أوضح التفاسير*. ط6. مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها.

الخلدي، أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير. (1409هـ – 1989م). *الفوائد والزهد والرقائق والمراثي*. تحقيق: مجدي فتحي السيد. ط1. طنطا: دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد.(1994م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

الخميس، محمد بن عبد الرحمن. (د. ت). *أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة*. (د. ط). المملكة العربية السعودية: دار الصميعي.

الخنساء، تماضر بنت عمرو. (د. ت). *ديوان الخنساء*. (د. ط). بيروت: المكتبة الثقافية.

الخوارزمي، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم. (د. ت). *المغرب*. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

الداني، عثمان بن سعيد. (1414هـ – 1994م). *البيان في عدّ آي القرآن*. تحقيق: غانم قدوري الحمد. ط1. الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق. (1430هـ – 2009م). *سنن أبي داود*. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي. ط1. بيروت: دار الرسالة العالمية.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق. (د. ت). *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د. ط). صيدا: المكتبة العصرية.

دروزة، دروزة محمد عزت. (1383هـ). *التفسير الحديث*. ط1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. (1415هـ). *إعراب القرآن وبيانه*. ط4. بيروت: دار اليمامة.

ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن. (1987م). *جمهرة اللغة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر. (1430هـ – 2009م). *مصابيح الجامع*. تحقيق: نور الدين طالب. ط1. سوريا: دار النوادر.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد. (1417هـ – 1997م). *قصر الأمل*. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. ط2. لبنان: دار ابن حزم.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد. (د. ت). *العزلة والانفراد*. تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني. (د. ط). القاهرة: مكتبة الفرقان.

أبو ذر القلموني، عبد المنعم بن حسين. (1424هـ). *ففروا إلى الله*. ط5. القاهرة: مكتبة الصفا.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد. (1405هـ – 1985م). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد. (1419هـ – 1998م). *تذكرة الحفاظ*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد. (1427هـ .– 2006م). *سير أعلام النبلاء*. (د. ط). القاهرة: دار الحديث.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (1420هـ – 1999م). *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. لبنان: المكتبة العصرية.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد. (1413هـ – 1991م). *أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل*. تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى. الرياض: دار عالم الكتب.

ابن راشد، معمر بن أبي عمرو. (1403هـ). *الجامع*. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط2. باكستان: المجلس العلمي.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. (1424هـ – 2004م). *لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف*. ط1. لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر.

الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج. (1424هـ – 2004م). *منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام*. ط1. المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

رضا، محمد رشيد بن علي. (1990م). *تفسير القرآن الحكيم – تفسير المنار*. ط1. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

زرزور، عدنان محمد. (1419هـ – 1998م). *مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه*. ط2. دمشق: دار القلم، بيروت: دار الشاميه.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. (2002م). *الأعلام*. ط15. بيروت: دار العلم للملايين.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1419هـ – 1998م). *أساس البلاغة*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. *المعجزة الكبرى القرآن*. ط1. القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى. (1999م). *زهرة التفاسير*. ط2. القاهرة: دار الفكر العربي.

زواوى، أحمد بن عبد الفتاح. (د. ت). *شمائل الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–* . (د. ط).الإسكندرية: دار القمة.

أبو زيد، بكر بن عبد الله. (1417هـ – 1996م). *معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ*. ط3. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

السباعي، مصطفى بن حسني. (1418هـ – 1997م). *هكذا علمتني الحياة*. ط4. بيروت: المكتب الإسلامي.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد. (1425هـ – 2004م). *السر المكتوم في الفرق بين المالين المحمود والمذموم*. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. الإمارات العربية المتحدة: مكتبة وتسجيلات دار الإمام مالك.

سراج الدين الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي. (1419هـ – 1998م). *اللباب في علوم الكتاب*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو السَّرِي، هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب. (1406هـ). *الزهد*. تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي. ط1. الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد. (1410هـ – 1990م). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد. (1968م). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار صادر.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. (د. ت). *تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو سعيد، الحسن بن يسار البصري. (د. ت). *فضائل مكة والسكن فيها*. تحقيق: سامي مكي العاني. (د. ط). الكويت: مكتبة الفلاح.

ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم. (1414هـ – 1994م). *الطهور للقاسم بن سلام*. تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان. ط1. جدة: مكتبة الصحابة.

السلمان، عبد العزيز بن محمد. (1424هـ). *موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان*. ط30. (د. ن).

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد. (1421هـ – 2000م). *تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي*. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط3. دمشق: دار ابن كثير.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد. (د. ت). *بحر العلوم*. (د. ط). (د. ن).

السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار. (1418هـ – 1997م). *تفسير القرآن*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1. الرياض: دار الوطن.

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد. (د. ت). *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. ط1. دمشق: دار القلم.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. (1417هـ – 1996م). *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

سيد سابق. (د. ت). *العقائد الإسلامية*. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

سيد قطب ، إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). *في ظلال القرآن*. ط17. القاهرة: دار الشروق.

ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1417هـ – 1996م). *المخصص*. تحقيق: خليل إبراهم جفال. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1421هـ – 2000م). *المحكم والمحيط الأعظم*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1401هـ – 1981م). *الإكليل في استنباط التنزيل*. تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (2002م). *لباب النقول في أسباب النزول*. تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د. ت). *الدر المنثور*. ط1. بيروت: دار الفكر.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد. (1417هـ – 1997م). *الموافقات*. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. القاهرة: دار ابن عفان.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس. (1410هـ – 1990م). *الأم*. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس. (1427هـ – 2006م). *تفسير الإمام الشافعي*. تحقيق: أحمد بن مصطفى الفرَّان. ط1. المملكة العربية السعودية: دار التدمرية.

الشافعي، محمد بن إدريس. (د. ت). *ديون الإمام الشافعي – الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس*. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. (د. ط). القاهرة: مكتب ابن سينا.

الشحود، علي بن نايف. (1431هـ – 2010م). *أركانُ الإيمانِ*. ط4. (د. ن).

الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب. (1285هـ). *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*. ط1. القاهرة: مطبعة بولاق – الأميرية.

شرف الدين، جعفر. (1420هـ). *الموسوعة القرآنية – خصائص السور*. تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. ط1. بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. (1997م). *تفسير الشعراوي – الخواطر*. ط1. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (1415هـ – 1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. ط1. بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (1426هـ). *العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ*. تحقيق: خالد بن عثمان السبت. ط2. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

الشنقيطي، محمد. (2011م). *شرح زاد المستقنع* [Word]. 5 يونيو 2016م، الموقع: http://shamela.ws/browse.php/book-7696.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. دمشق/بيروت: دار ابن كثير.

الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرّار. (1394هـ - 1974م). *الجيم*. تحقيق: إبراهيم الأبياري. (د. ط). القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

الشيخ علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني. (1419هـ - 1999م). *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*. ط1. الغورية، مصر: دار ركابي للنشر.

الصابوني، محمد علي الصابوني. (1417هـ - 1997م). *صفوة التفاسير*. ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الصابوني، محمد علي. (1402هـ - 1981). *مختصر تفسير ابن كثير*. ط7. بيروت: دار القرآن الكريم.

صالح بن حميد وآخرون. (د. ت). *ضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم-*. ط4. جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن الكريم. (1407هـ - 1987م). *شرح مختصر الروضة*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

صقر، شحاتة محمد. (د. ت). *دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ*. (د. ط). البحيرة: دار الفُرْقَان للتُرَاث و الإسكندرية: دار الخلفاء الراشدين.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. *الإيمان بالقدر*. ط1. مصر: دار المعرفة للطباعة والنشر.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. *الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية*. ط1. القاهرة: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد. (د. ت). *الشورى فريضة إسلامية*. (د. ط). سوريا: دار ابن كثير.

أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية. (1426هـ - 2005م). *قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد*. تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. (1413هـ). *الدعاء للطبراني*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. (1420هـ - 2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة. (1415هـ، 1494م). *شرح مشكل الآثار*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد. (1289هـ - 1872م). *سراج الملوك*. (د. ط). مصر: من أوائل المطبوعات العربية.

طعمة، أمل أحمد. (1433هـ - 2012م). *نسيمات من عبق الروضة*. ط1. (د. ن).

طنطاوي، محمد سيد طنطاوي. (1998م). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط1. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الطيار، أحمد بن ناصر. (1433هـ). *حياة السلف بين القول والعمل*. ط1. الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. (1432هـ). *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*. ط1. الدمام: دار ابن الجوزي.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1425هـ - 2004م). *مقاصد الشريعة الإسلامية*. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. (د. ط). قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984هـ). *التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. ط1. تونس: الدار التونسية للنشر.

أبو عاصي، محمد سالم. (1426هـ – 2005م). *علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات*. ط1. القاهرة: دار البصائر.

أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي. (د. ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. (د. ط). بيروت: المكتبة العلمية.

عبد الجبار، صهيب. (2013م). *المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة*. (د. ط). (د. ن).

عبد الجبار، صهيب. (2014م). *الجامع الصحيح للسنن والمسانيد*. (د. ط). (د. ن).

عبد الكريم الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب. (1386هـ – 1967م). *التفسير القرآني للقرآن*. ط1. القاهرة: دار الفكر العربي.

عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد. (1423هـ – 2002م). *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد*. تحقيق: زهير الشاويش. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي.

عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد. الرسالة المفيدة. *تحقيق: محمد بن عبد العزيز المانع*. (د. ط). المملكة العربية السعودية: رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

ابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد. (1404هـ). *العقد الفريد*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم. (1406هـ – 1986م). *ديوان أبو العتاهية*. (د. ط) بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر. (1403هـ – 1983م). *عالم الملائكة الأبرار*. ط3. الكويت: مكتبة الفلاح.

العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر. (1425هـ – 2005م). *القضاء والقدر*. ط13. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر. (1435هـ – 2014م). *الله يحدث عباده عن نفسه*. ط1. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله. (1419هـ – 1999م). *العقيدة في الله*. ط12. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1423هـ). *تفسير الفاتحة والبقرة*. ط1. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1423هـ). *رسالة في القضاء والقدر*. (د. ط). المملكة العربية السعودية: دار الوطن.

ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1424هـ). *القول المفيد على كتاب التوحيد*. ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1424هـ). *فتاوى أركان الإسلام*. تحقيق: فهد بن ناصر السليمان. ط1. الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.

ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (د. ت). *شرح الأربعين النووية*. (د. ط). المملكة العربية السعودية: دار الثريا للنشر.

العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله. (1405هـ – 1984م). *تاريخ الثقات*. ط1. القاهرة: دار الباز.

ابن عجينة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي. (1419هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. ط1. القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر. (1424هـ – 2003م). *أحكام القرآن*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر. (1428هـ – 2007م). *المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك*. تحقيق: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني. ط1. بيروت: دَار الغَرب الإسلامي.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله. (1406هـ – 1986م). *قَانون التَّأوِيل*. تحقيق: محمّد السّليماني. ط1. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة.

ابن عرفة، محمد بن محمد. (2008م). *تفسير ابن عرفة*. تحقيق: جلال الأسيوطي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين. (1418هـ). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: أحمد شاكر. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الأوقاف السعودية.

العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل. (1428هـ – 2007م). *الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري*. تحقيق: محمد عثمان. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. (1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

عفانة، حسام الدين بن موسى. (1427هـ). *فتاوى يسألونك*. (د. ط). فلسطين: مكتبة دنديس.

عَلوي بن عبد القادر السقاف، وآخرين. (1423هـ، ربيع الأول). *الموسوعة العقدية*. (3 مارس، 2016م)، الموقع:(http://www.dorar.net/enc/aqadia).

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (1429هـ – 2008م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. ط1. الرياض: عالم الكتب.

عمر، أحمد مختار. (1429هـ – 2008م). *معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي*. ط1. القاهرة: عالم الكتب.

العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى. (1422هـ – 2001م). *المقدمات الأساسية في علوم القرآن*. ط1. بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1413هـ – 1993م). *المستصفى*. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الغزالي، أبو حامد محمد. (د. ت). *كيمياء السعادة*. (د. ط). (د. ن).

الغزالي، محمد بن محمد. (د. ت). *إحياء علوم الدين*. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

الغنيمان، عبد الله بن محمد. *أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل*. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (62). (45–51).

الغيتابى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى. (د. ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1407هـ – 1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء. (1399هـ – 1979م). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د. ط). بيروت: دار الفكر.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء. (1406هـ – 1986م). *مجمل اللغة لابن فارس*. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. (1420هـ). *مفاتيح الغيب – التفسير الكبير*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى. (د. ت). *روح البيان*. ط1. بيروت: دار الفكر.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. (د. ت). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. (د. ط). لبنان: دار ومكتبة الهلال.

أبو الفرج الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (1404هـ – 1984م). *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو الفرج الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (1422هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العرب.

الفِرْيابِي، أبو بكر جعفر بن محمد. (1418هـ – 1997م). *كتاب القدر*. تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور. ط1. مصر: أضواء السلف.

الفُلَّاني المالكي، صالح بن محمد بن نوح. (د. ت). *إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار*. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. (1420هـ – 1999م). *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*. ط4. الدمام: دار ابن الجوزي.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. (1427هـ – 2006م). *شرح الأصول الثلاثة*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426هـ – 2005م). *القاموس المحيط*. تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي وآخرون. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد. (1973م – 1996م). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

القاري، علي بن سلطان محمد. (1421هـ). شرح الشفا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد. (1418هـ). *محاسن التأويل*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلميه.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. (1415هـ – 1995م). *موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين*. تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني. *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب*. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي. (1418هـ). *معجم الصحابة*. تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي. ط1. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1398هـ – 1978م). *غريب القرآن*. تحقيق: أحمد صقر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

القحطاني، سعيد بن علي. (د. ت). *شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة*. (د. ط). الرياض: مطبعة سفير.

القحطاني، عبد المحسن بن محمد. (1427هـ). *خطوات إلى السعادة*. ط4. (د. ن).

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد. (1388هـ – 1968م). *المغني لابن قدامة*. (د. ط). القاهرة: مكتبة القاهرة.

ابن قدوري، أبو عبد الله غانم. (1423هـ – 2003م). *محاضرات في علوم القرآن*. ط1. عمان: دار عمار.

القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس. (د. ت). *أنوار البروق في أنواء الفروق*. (د. ط). الرياض: عالم الكتب.

القرضاوي، يوسف. (1393هـ – 1973م). *فقه الزكاة*. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1384هـ – 1964م). *الجامع لأحكام القرآن–تفسير القرطبي–*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. (1421هـ – 2000م). *الاستذكار*. تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد. (د. ت). *بهجة المجالس وأنس المجالس*. (د. ط). (د. ن).

القرني، عائض بن عبد الله . (د. ت). *لا تحزن*. (د. ط). الأدن: مكتبة العبيكان.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر. (د. ت). *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط3. بيروت: دار الجيل.

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر. (1323هـ). *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*. ط7. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن. (2000م). *لطائف الإشارات – تفسير القشيري*. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القطان، إبراهيم القطان. (د. ت). *تيسير التفسير*. (د. ط). (د. ن).

القطان، مناع بن خليل القطان. (1421هـ – 2000م). *مباحث في علوم القرآن*. ط3. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن. (1412هـ – 1992م). *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. ط1. بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن. (2003م). *نيل المرام من تفسير آيات الأحكام*. تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية.

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش. (1429هـ – 2008). *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي. ط1. جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

القيعي، محمد عبد المنعم. (1417هـ – 1996م). *الأصلان في علوم القرآن*. ط4. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1393هـ – 1973م). *الفوائد*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1398هـ - 1978م). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1409هـ - 1989م). *عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين*. ط3. دمشق: دار ابن كثير.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1415هـ - 1994م). *زاد المعاد في هدي خير العباد*. ط.27. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1416هـ - 1996م). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1418هـ - 1997م). *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء*. ط1. المغرب: دار المعرفة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1429هـ). *الداء والدواء - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*. تحقيق: مُحَمَّد أجمل الإصْلاَحي. ط1. جدة: مجمع الفقه الإسلامي.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1999م). *الوابل الصيب من الكلم الطيب*. تحقيق: سيد إبراهيم. ط3. القاهرة: دار الحديث.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (د. ت). *بدائع الفوائد*. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (د. ت). *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1420هـ - 1999م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي. (1387هـ - 1967م). *مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار*. ط3. حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد. (1356هـ - 1937م). *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين. (1407هـ). *الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد*. تحقيق: عبد الله الليثي. ط1. بيروت: دار المعرفة.

الكيلاني، ماجد عرسان. (د. ت). *أهداف التربية الإسلامية*. ط1. دمشق: دار القلم.

الكيلاني، ماجد عرسان. (2016م، 16 سبتمبر). *ماجد عرسان الكيلاني*. تاريخ الإصلاع: 15 مايو 2016م. الموقع: (https://ar.wikipedia.org).

لجنة من علماء الأزهر. (1416هـ - 1995م). *المنتخب في تفسير القرآن الكريم*. ط18. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. (1426هـ -2005م). *تفسير الماتريدي -تأويلات أهل السنة*. تحقيق: مجدي باسلوم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (1430هـ - 2009). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين. ط1. بيروت: دار الرسالة العالمية.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (د. ت). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد. (1986م). *أدب الدنيا والدين*. (د. ط). بيروت: دار مكتبة الحياة.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد.(د. ت). *تفسير الماوردي - النكت والعيون*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين. (1401هـ - 1981م). *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*. تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا. ط5. بيروت: مؤسسة الرسالة.

متولي، تامر محمد محمود. (1425هـ – 2004م). *منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة*. ط1. جدة: دار ماجد عسيري.

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. (1413هـ – 1992م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط3. مصر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

المحاسبي، الحارث بن أسد. (1391هـ – 1971م). *رسالة المسترشدين*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

المحاسبي، الحارث بن أسد. (د. ت). *آداب النفوس*. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. (د. ط). بيروت: دار الجيل.

محمود صافي، محمود بن عبد الرحيم صافي. (1418هـ). *الجدول في إعراب القرآن الكريم*. ط4. دمشق: دار الرشيد.

محيسن، محمد محمد سالم. (1417هـ – 1997م). *الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر*. ط1. بيروت: دار الجيل.

مدرسو جامعة المدينة العالمية. (د. ت). *الدخيل في التفسير*. (د. ط). ماليزيا: جامعة المدينة العالمية.

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي. (1365هـ – 1946م). *تفسير المراغي*. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق. (د. ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. (د. ط). مصر: دار الهداية.

المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل. (1415هـ – 1995م). *شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني*. تحقيق: جمال عزون. ط1. المملكة العربية السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية.

المزيد، أحمد بن عثمان. (1432هـ – 2011م). *تعظيم الله جل جلاله – تأملات وقصائد*. ط1. الرياض: مدار الوطن للنشر.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن. (1374هـ - 1954م). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

معبد، محمد أحمد محمد. (1426هـ - 2005م). *نفحات من علوم القرآن*. ط2. القاهرة: دار السلام.

ابن المعتز، عبد الله بن محمد. (د. ت). *طبقات الشعراء*. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. ط3. القاهرة: دار المعارف.

المغامسي، صالح. (2011م). *أعلام القرآن* [Word]. 17 يناير 2016م. http://shamela.ws/browse.php/book-37747.

المغامسي، صالح. (2011م). *سلسلة محاسن التأويل* [Word]. 20 مارس 2016م. http://shamela.ws/browse.php/book-37455.

المغامسي، صالح. (د. ت). *تأملات قرآنية* [Word]. 3 مارس 2016م. http://shamela.ws/browse.php/book-37454.

المغذوي، عبد الرحيم بن محمد. (1421هـ). *الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة* المسلم. (د. ط). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

المقدسي، مجير الدين بن محمد العليمي. (1430هـ - 2009م). *فتح الرحمن في تفسير القرآن*. تحقيق: نور الدين طالب. ط1. دمشق: دار النوادر - إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ.

المقدم، محمد. (2011م). تفسير القرآن الكريم [Word]. 15 مارس 2016م. http://shamela.ws/browse.php/book-37041.

المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة. (1404هـ). *الناسخ والمنسوخ*. تحقيق: زهير الشاويش ومحمد كنعان. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي.

ملكاوي، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل. (1405هـ - 1985م). *عقيدة التوحيد في القرآن الكريم*. ط1. مكتبة دار الزمان.

المنبجي، محمد بن محمد بن محمد. (1426هـ – 2005م). *تسلية أهل المصائب*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله. (1407هـ 1987م). *مختصر صحيح مسلم "للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط6. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن منقذ، بو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين. (1407هـ – 1987م). لباب الآداب. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط2. القاهرة: مكتبة السنة.

المهدي، القاضي حسين بن محمد. (2006م). *الشورى في الشريعة الإسلامية*. (د. ط). اليمن: مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي.

المهدي، حسين بن محمد. (2009م). *صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال*. تحقيق: عبد الحميد محمد المهدي. (د. ط). اليمن: وزارة الثقافة.

الناصري، محمد المكي الناصري. (1405هـ – 1985م). *التيسير في أحاديث التفسير*. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

النّحاس، أحمد بن محمد. (1409هـ). *معاني القرآن*. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

نخبة من أساتذة التفسير. (1430هـ – 2009م). *التفسير الميسر*. ط2. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

نخبة من العلماء. (1421هـ). *كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة*. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. (1419هـ – 1997م). *تفسير النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط1. بيروت: دار الكلم الطيب.

النسفي، عمر بن محمد بن أحمد. (د. ت). *طلبة الطلبة*. (د. ط). بغداد: مكتبة المثنى.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد. (1419هـ – 1998م). *معرفة الصحابة*. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط1. الرياض: دار الوطن للنشر.

النووي، أبو زكريا محيي الدين. (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوريّ، محمود بن أبي الحسن. (1419هـ – 1998م). *باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن*. تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي. ط1. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

النيسابوري، محمود بن أبى الحسن. (1415هـ). *إيجاز البيان عن معاني القرآن*. تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. (1421هـ – 2001م). *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*. إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد. (د. ت). *منازل السائرين*. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. (1375هـ – 1955م). *السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. (1412هـ – 1992م). *أسباب نزول القرآن*. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. ط2. الدمام: دار الإصلاح.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. (1415هـ – 1994م). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. (1415هـ). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. بيروت: الدار الشامية.

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى. (1987م). *إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

الوعلان، عبد المجيد بن محمد. (1432هـ). *الآيات الكونية دراسة عقدية – رسالة ماجستير غير منشورة*. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

وهبة الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله. (1414هـ – 1993م). *معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض. (1419هـ – 1998م). *شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم*. تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل. ط1. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات

سورة الفاتحة			
#	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.1	﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾	6	163
.2	﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ...﴾	7	163
سورة البقرة			
.3	﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾	5	163
.4	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ..﴾	21	181
.5	﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا..﴾	22	207،181
.6	﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ..﴾	97	159
.7	﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ..﴾	155	114
.8	﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ..﴾	161	45
.9	﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾	164	186،185
.10	﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي..﴾	179	17
.11	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ..﴾	183	17
.12	﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾	228	209
.13	﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ..﴾	269	89
.14	﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ..﴾	272	165
.15	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ..﴾	285	213
سورة آل عمران			
.16	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ..﴾	14	36
.17	﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾	36	209
.18	﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾	91	92
.19	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ..﴾	106	107

.20	﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾	110	88
.21	﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ..﴾	134	129
.22	﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	145	116
.23	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ..﴾	152	51
.24	﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ..﴾	159	131،130،123
.25	﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا..﴾	191	192
سورة النساء			
.26	﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ..﴾	59	54
.27	﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾	68	165
.28	﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾	77	89
.29	﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ..﴾	79	106
.30	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ..﴾	105	10
.31	﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾	147	116
.32	﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ..﴾	165	17
.33	﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ..﴾	166	40
سورة المائدة			
.34	﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ..﴾	3	54
.35	﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	23	123
.36	﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ..﴾	96	117
سورة الأنعام			
.37	﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	14	171
.38	﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ..﴾	19	40
.39	﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾	23	30
.40	﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ..﴾	36	91

.41	﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾	38	51
.42	﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ..﴾	59	28
.43	﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾	88	165
.44	﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾	101	198
.45	﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	124	160
.46	﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ..﴾	137	202
.47	﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾	140	203
.48	﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ﴾	143	185
.49	﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا..﴾	148	217،216
.50	﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ..﴾	149	217
.51	﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ..﴾	151	203
.52	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ..﴾	159	62
سورة الأعراف			
.53	﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ..﴾	17	116
.54	﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾	43	163
.55	﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ..﴾	96	100
.56	﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ..﴾	143	160
.57	﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ..﴾	180	57
.58	﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾	185	110
.59	﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ..﴾	199	127
.60	﴿قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾	203	60
.61	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾	206	212
سورة الأنفال			
.62	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ..﴾	46	63

سورة التوبة			
.63	﴿لَوۡ كَانَ عَرَضَا قَرِيبَا وسَفَرَا قَاصِدَا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾	42	12
.64	﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ..﴾	50	105
.65	﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ﴾	54	92
.66	﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ..﴾	55	154
.67	﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾	91	135
.68	﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ..﴾	105	142
.69	﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾	110	107
.70	﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ..﴾	128	38
سورة يونس			
.71	﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ..﴾	12	34
.72	﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾	18	181
.73	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾	22	186
.74	﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾	31	180
.75	﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾	101	110
.76	﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾	107	181
سورة هود			
.77	﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾	41	195
.78	﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ..﴾	88	225
.79	﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ..﴾	102	62
.80	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ..﴾	108	121
سورة يوسف			
.81	﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	18	114
.82	﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ..﴾	56	116

.83	﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ..﴾	62	192
.84	﴿إِنَّهُۥ لَا يَاۡيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ..﴾	87	32
.85	﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾	103	40
.86	﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾	106	181
.87	﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ..﴾	109	176
.88	﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾	111	176
سورة الرعد			
.89	﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾	7	162
.90	﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ..﴾	8	29
.91	﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم..﴾	31	107
سورة إبراهيم			
.92	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ..﴾	4	170
.93	﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾	5	176
.94	﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ..﴾	7	116
.95	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ..﴾	32	195
.96	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾	47	177،176
سورة الحجر			
.97	﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ..﴾	39	216
سورة النحل			
.98	﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾	1	70
.99	﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ..﴾	5	188،187
.100	﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾	6	187
.101	﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾	9	12
.102	﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾	17	74

.103	﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ..﴾	36	180
.104	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾	50	215،214
.105	﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾	59	204
.106	﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ..﴾	60	200
.107	﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم..﴾	66	188
.108	﴿مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا..﴾	80	188
.109	﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾	125	63
سورة الإسراء			
.110	﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾	18	78
.111	﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ..﴾	31	203
.112	﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ..﴾	44	109
.113	﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾	108	120
سورة الكهف			
.114	﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾	22	74
.115	﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾	29	141
.116	﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾	46	154
.117	﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾	51	200
.118	﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ..﴾	53	30
.119	﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾	54	40
.120	﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ..﴾	56	69
سورة مريم			
.121	﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ..﴾	90	109،44
.122	﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾	91	109،44
سورة طه			

123.	﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا..﴾	15	71
124.	﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ..﴾	50	163
سورة الأنبياء			
125.	﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ..﴾	19	214
126.	﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾	20	214
127.	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا..﴾	26	213،212
128.	﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾	27	213
129.	﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ..﴾	28	213
130.	﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن..﴾	29	213
131.	﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾	30	97
132.	﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾	73	163
سورة الحج			
133.	﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾	18	107
134.	﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ..﴾	65	109
سورة المؤمنون			
135.	﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾	21	190
136.	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ..﴾	23	220
137.	﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ..﴾	24	220
سورة النور			
138.	﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾	11	60
139	﴿بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ﴾	29	120
140.	﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ..﴾	31	210،92
سورة الفرقان			
141.	﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾	59	40

.140	﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا..﴾	74	155
سورة الشعراء			
.141	﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾	40	127
.142	﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾	50	192
.143	﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ..﴾	109	88
.144	﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾	119	185
.145	﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾	193	159
.146	﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾	194	159
سورة النمل			
.147	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ..﴾	14	182،38
.148	﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾	40	139
سورة القصص			
.149	﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ..﴾	38	182
.150	﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ..﴾	56	164،163
.151	﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ..﴾	77	81
.152	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ..﴾	76	101
.153	﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾	78	101
سورة العنكبوت			
.154	﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ..﴾	48	158
سورة الروم			
.155	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا..﴾	24	98
.156	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾	25	109
.157	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ..﴾	47	176
سورة لقمان			

.158	﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ..﴾	19	12
سورة السجدة			
.159	﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾	22	176
سورة الأحزاب			
.160	﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾	21	127
.161	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ..﴾	33	87
سورة سبأ			
.162	﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ..﴾	6	39
.163	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾	28	50
.164	﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ..﴾	37	154
سورة فاطر			
.165	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ..﴾	41	109
سورة يس			
.166	﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾	56	171
.167	﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا..﴾	71	187
.168	﴿وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ﴾	72	187،190
.169	﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾	73	188
سورة ص			
.170	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ..﴾	29	15
.171	﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ..﴾	44	115
.172	﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ..﴾	56	89
سورة الزمر			
.173	﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾	3	181
.174	﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾	36	123
سورة غافر			

175.	﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾	7	45
176.	﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ..﴾	57	108
177.	﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	60	91
178.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن..﴾	78	21
سورة فصلت			
179.	﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا..﴾	3	19
180.	﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾	6	66
181.	﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾	10	19
182.	﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ..﴾	11	110
183.	﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا..﴾	12	19
184.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ..﴾	17	163
185.	﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ..﴾	28	121
186.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾	30	66
187.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ..﴾	41	37
189.	﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾	45	37
190.	﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ..﴾	46	120،127
191.	﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ..﴾	47	29،27
192.	﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ..﴾	48	119،27
193.	﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ..﴾	49	31
194.	﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ..﴾	50	31
195.	﴿ إِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ..﴾	51	31
196.	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم..﴾	52	43،37
197.	﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ..﴾	53	38،37
198.	﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ..﴾	54	37

سورة الشورى			
.199	﴿حمٓ﴾	1	43
.200	﴿عٓسٓقٓ﴾	2	43
.201	﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ..﴾	3	60،49،45،43
.202	﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ..﴾	4	43
.203	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ..﴾	5	44،43
.204	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ..﴾	6	43
.205	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ..﴾	7	51،50،49،48
.206	﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ..﴾	8	48
.207	﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ ..﴾	9	48
.208	﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ..﴾	10	54،48
.209	﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم..﴾	11	57،55
.210	﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ..﴾	12	55
.211	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ..﴾	13	62،59
.212	﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ..﴾	14	62،59
.213	﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ..﴾	15	68،66،64
.214	﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ..﴾	16	70،68
.215	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَ..﴾	17	70،68
.216	﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ..﴾	18	74،73،69
.217	﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ..﴾	19	73
.218	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ..﴾	20	80،79،78
.219	﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ..﴾	21	78
.220	﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ..﴾	22	83
.221	﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ..﴾	23	86،85،84،83،23

.222	﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ..﴾	24	86،85،83
.223	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ..﴾	25	92،91،90
.224	﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ..﴾	26	91،90
.225	﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ..﴾	27	100،96،95،76
.226	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ..﴾	28	99،95،76
.227	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾	29	108،103
.228	﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا..﴾	30	105،104،103
.229	﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم..﴾	31	103
.230	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾	32	113،111
.231	﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ..﴾	33	113،112،111
.232	﴿ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾	34	113،111
.233	﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا..﴾	35	120،119
.234	﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ..﴾	36	147،120،119
.235	﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ..﴾	37	126،125
.236	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ..﴾	38	22،125،131، 132
.237	﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾	39	136،126،125
.238	﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ..﴾	40	136،127،125
.239	﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ..﴾	41	135،134
.240	﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ..﴾	42	135،134
.241	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ..﴾	43	136،135،134
.242	﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ..﴾	44	140،139،138
.243	﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ..﴾	45	14،139،138
.244	﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم..﴾	46	138

.245	﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ..﴾	47	146
.246	﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ..﴾	48	148،147،146
.247	﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ..﴾	49	153،152،151
.248	﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ..﴾	50	152،151
.249	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا..﴾	51	157،156
.250	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ..﴾	52	162،156
.251	﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ..﴾	53	156
سورة الزخرف			
.252	﴿حمٓ﴾	1	168
.253	﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾	2	168
.254	﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	3	170،168
.255	﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾	4	168
.256	﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا..﴾	5	174،173
.257	﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	6	174،173
.258	﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾	7	173
.259	﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا..﴾	8	175،173
.260	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ..﴾	9	180،178
.261	﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا..﴾	10	178
.262	﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا..﴾	11	179،178
.263	﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم..﴾	12	186،185
.264	﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ..﴾	13	191
.265	﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾	14	192،191
.266	﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ..﴾	15	197
.267	﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾	16	197

268.	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ..﴾	17	204،202،201
269.	﴿أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ..﴾	18	207،202،201
270.	﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ..﴾	19	212،200
271.	﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ..﴾	20	215،211
272.	﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ ..﴾	21	219،217
273.	﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ..﴾	22	218
274.	﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ..﴾	23	220،219،218
275.	﴿قَلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ..﴾	24	220
276.	﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾	34	24
277.	﴿وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ..﴾	35	24
278.	﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾	44	174
سورة الدخان			
279.	﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾	54	152
سورة الجاثية			
280.	﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾	26	46
سورة الأحقاف			
281.	﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ..﴾	45	144
سورة محمد			
282.	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى..﴾	17	163
سورة الذاريات			
283.	﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	21	39
284.	﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	56	34،16
285.	﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾	57	34
سورة الطور			

.286	﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾	39	198
سورة النجم			
.287	﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾	21	198
.288	﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾	22	198
.289	﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	39	81
.290	﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾	61	171
سورة القمر			
.291	﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾	46	62
سورة الحديد			
.293	﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ..﴾	20	36
.294	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا..﴾	25	69
سورة المنافقون			
.295	﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ..﴾	1	216
سورة التغابن			
.296	﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾	17	116
سورة الطلاق			
.297	﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾	1	126
.298	﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	3	123
سورة الملك			
.299	﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ..﴾	2	140
.300	﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	18	147
سورة القلم			
.301	﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾	22	79
سورة المعارج			
.302	﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾	5	114

سورة نوح			
.303	﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾	10	155
.304	﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾	11	155
.305	﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل..﴾	12	155
سورة الجن			
.306	﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾	26	30
سورة المزمل			
.307	﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾	20	172
سورة القيامة			
.308	﴿مَعَاذِيرَهُۥ﴾	15	171
سورة الإنسان			
.309	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾	30	140
سورة النبأ			
.310	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾	6	179
.311	﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ..﴾	38	214
سورة النازعات			
.312	﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	24	182
.313	﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾	27	109
.314	﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾	28	109
.315	﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾	40	36
.316	﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	41	36
سورة التكوير			
.317	﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾	8	206
.318	﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾	9	206
سورة المطففين			

.319	﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾	15	107
سورة البروج			
.320	﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾	1	109
سورة الطارق			
.321	﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾	11	109
سورة الأعلى			
.322	﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	17	36
سورة الفجر			
.323	﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ..﴾	15	114
.324	﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ..﴾	16	114
سورة الشمس			
.325	﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾	1	109
سورة الضحى			
.326	﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾	6	158
.327	﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾	7	158،166
سورة العلق			
.328	﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾	6	101
.329	﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾	7	101
سورة القارعة			
.330	﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾	10	70
.331	﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾	11	70
سورة العصر			
.332	﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾	1	144
.333	﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾	2	144
.334	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ..﴾	3	144

سورة الكوثر			
335.	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾	3	153

ثانياً: فهرس الأحاديث

#	طرف الحديث	رقم الصفحة
.1	لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان..	17
.2	مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ..	28
.3	مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ..	30-29
.4	أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ..	35
.5	تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ..	35
.6	الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا..	36
.7	إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا..	44
.8	الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى..	46
.9	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ..	52
.10	إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا..	52
.11	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا..	62
.12	قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا..	66
.13	اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا..	66
.14	بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ..	71
.15	كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ..	72
.16	ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة..	72
.17	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ السَّاعَةِ..	72
.18	يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ..	75
.19	يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ..	80
.20	مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ..	81
.21	إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة..	85-84
.22	فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ..	87
.23	التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ	92

.24	لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ..	93
.25	أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ..	98
.26	أصابنا ونحن مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مطر..	99
.27	إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ..	100–99
.28	إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي..	101
.29	مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ..	105
.30	إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ..	107
.31	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ..	114
.32	مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنْ اللَّهِ..	115
.33	يا رسول الله إنَّا نركبُ البحرَ ونحمل..	117
.34	أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ: الْحُوتُ، وَالْجَرَادُ	118
.35	مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْؤُسُ، لَا تَبْلَى..	121
.36	وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا..	122
.37	لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ..	123
.38	كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ..	128
.39	لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ..	128
.40	مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ..	129
.41	الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ	132
.42	ومَن استَشَارَهُ أَخُوهُ المُسلمُ فَأَشَار عَلَيهِ..	132
.43	مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ..	137
.44	ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ..	137
.45	لَلَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ..	140
.46	علَّمني جدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: كلماتٍ أقولهن..	142
.47	لوْ أَنَّ اللَّهَ عذَّبَ أهْلَ سَمَاوَاتِهِ وأهْلَ أرْضِهِ..	143

.48	لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ	148
.49	اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى..	149
.50	مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمُ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولُ اللَّهِ..	155
.51	إِنَّ رُوحَ القُدسِ نَفثَ في رَوْعِي أَن نَفْساً..	159
.52	يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبِيكَ؟..	160
.53	يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟..	161
.54	كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ..	161
.55	اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى..	164
.56	أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ..	164
.57	بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ..	166
.58	إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ..	171
.59	الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي..	182
.60	أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ..	182
.61	بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ بَقَرَةً، إِذْ قَالَتْ: لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا..	187
.62	مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ..	189
.63	أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ..	189
.64	حملنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على إبلٍ..	193
.65	إِذَا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ فَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ..	193
.66	أتى بدابة يركبُها، فلما وضع رجله..	193
.67	صَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِصَدْرِهَا	194
.68	عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا	194
.69	"إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ..	194
.70	إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ..	204
.71	رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا..	205
.72	أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ". قُلْتُ..	207

.73	نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن لبس..	208
.74	إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ..	208

ثالثاً: فهرس الأعلام

#	اسم العَلَم	رقم الصفحة
.1	ماجد عرسان الكيلاني	14
.2	أبو العتاهية	34
.3	إبراهيم الخوّاص	51
.4	صفية بنت شيبة	52
.5	الحسن بن يسار	54
.6	مصطفى عكرمة	75
.7	أبو حازم	80
.8	أبو سليمان الداراني	106
.9	سُليمان التَيْمِيّ	115
.10	المستورد بن شداد	122
.11	ابن شهاب الزهري	131
.12	ابن عقيل	142
.13	منصور الفقيه	154
.14	صعصة بن ناجية التميمي	204
.15	زيد بن عمرو بن نفيل	205
.16	قيس بن عاصم	206